بسم الله الرحمن الرحيم

تم رفع هذه المادة العلمية من طرف أخوكم في الله: خادم العلم والمعرفة (الأسد الجريح) بن عيسى قرمزلي. ولاية المدية

الجنسية جزائرية

الديانة مسلم

موقعي المكتبة الإلكترونية لخادم العلم والمعرفة للنشر المجاني للرسائل والبحوث على

www.Theses-dz.com

للتواصل: رقم هاتف 00213771087969

البريد الإلكتروني: benaissa.inf@gmail.com

حسابي على الفيسبوك: www.facebook.com/Theses.dz

جروبي: https://www.facebook.com/groups/Theses.dz

تويتر https://twitter.com@Theses_DZ

الخدمات المدفوعة

01- أطلب نسخة من مكتبتي



السعة: 2000 جيقا أي 2 تيرا !

فيها تقريبا كل التخصصات

أكثر من 80.000 رسالة وأطروحة وبحث علمي

أكثر من 600.000 وثيقة علمية (كتاب، مقالة، ملتقى، ومخطوطة...)

المكتبة مع الهرديسك بالدينار الجزائري 50.000.00 دج

المكتبة مع الهرديسك بالدولار: 500 دولار .

المكتبة مع الهرديسك بالأورو: 450 أورو

02- نوفر رسائل الأردن كاملة ب 500 دج أو 20 دولار للرسالة الواحدة على https://jutheses.ju.edu.jo/default2.aspx

لا تنسوني بدعوة صالحة بظهر الغيب: ردد معي 10 سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم

اللهم صل وسلم على نبينا محمد .... بن عيسى قرمزلي 2016.

وزارة الجامعات

المعهد الوطني العالي لأصول الدين بالجزائر

معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان

296-626هـ/909-1229م

بحث لنيل درجة الماجستير في العلوم الإسلامية

إعداد الطالب

عمر سليمان بوعصبانة

بإشراف

الدكتور محمد ناصر

السنة الدراسية : 1412هـ 91-1992م

بسم الله الرحمن الرحيم

ربّ أوزعني أن اشكر نعمتك التي أنعمت
عليّ و على والديّ و أن اعمل صالحا ترضاه
و أصلح لي في ذرّيّتي . اني تبت اليك
و اني من المسلمين.

صدق الله العظيم .

اهـــــداء

الـى كـل مـن أكلـــت جبهتـه أرض المسـاجد عبادة

الـى كـل مـن مجلـــت يداه بمقـابض السلاح جهادا

الـى كـل مـن ثفنـــت أنامله بالقلم اعلاء لكلمة الله

الى كل من سعى للاصلاح بين الأخوين ابتغاء وجه الله

الى روح والـــدي الكريمـــين في جـــوار اللـه

الى كـــل هـــؤلاء :

اهـــدي باكـــورة عمـــلي و ثمـــرة جهـــدي

س.ب. عـمر لقمان.

بسم الله الرحمان الرحيم

مقدمــــة :

كان تخصصي في العلوم الاجتماعية دافعا لي الى البحث عن التراث ولا سيما ما يتعلق منه بالتاريخ المغربي ، ولا سيما الاباضي . ومن خلال مطالعاتي أحسست أن جانبا كبيرا منه لا يزال مجهولا لدى الدارسين ولا سيما بعض الفترات الغامضة فيه .

ولفت نظري بصفة خاصة أثناء تدريسي بمدينة وارجلان ما تزخر به هذه المنطقة من آثار اسلامية ، دفعتني الى التساؤل عن كثير من أصول هذه الاثار الاسلامية بحثا في المكتب ، ومقابلات مع الشخصيات العلمية . وهالني أن ما كتب عن معالم الحضارة الاسلامية في الموضوع هزيل لا يغني ، بل ان بعض ما كتب يدفع الى تساؤلات أخرى لا تجد الجواب .

من هنا عزمت على البحث في هذا الموضوع بالذات فان كان هذا دافعا ذاتيا موضوعيا في الوقت نفسه الا أن هناك دوافع تأكدت لدي أثناء البحث وهي :

1) اهمال المؤرخين المسلمين وعدم ابرازهم أهمية المدن التي لعبت دورا حضاريا ولم ترق الى دور الحكم السياسي ، فقد سكتوا عن وارجلان رغم أهميتها الاقتصادية ودورها الريادي في نشر الاسلام في افريقيا .

2) اهتمام الغربيين بدراسة تاريخ منطقة وارجلان ومحاولتهم صبغها بالصبغة اليونانية والرومانية قديما ، وبحثهم عن العلاقات التي تربطهم بها محاولين ايجادها في لغة البربر ورسوماتهم واهمالهم للصبغة الاسلامية بها .

وقفت أمام هذه الاشياء كلها أتساءل :

ما السبب في ترك وارجلان في طيّ النسيان وهي التي كانت مركزا من مراكز الحضارة الاسلامية ، اذ دفعت بالاسلام جنوبا ، وبالذهب شمالا ، فتركت تكلس بجانب مدينة سدراتة الموؤدة فقسا عليهما الزمان ثم طواهما النسيان .

وبعد مطالعة واسعة في الموضوع استقر اختياري على العنوان الاتي : " معالم الحضارة الاسلامية بوارجلان " (1) وحددت الفترة الزمنية بـ (296 ـ 626 هـ) (2) من سقوط الدولة الرستمية وبناء سدراتة من طرف الرستميين النازحين الى وارجلان من تاهرت الى خرابها مع وارجلان على يد ابن غانية الميورقي . وذلك لما تتميز به المنطقة من انتعاش فكري واقتصادي في هذه الفترة . وحيث أن هذه الحركة تتميز بنشاطات كثيرة ومختلفة لا يمكن أن الم بها الماما تاما لتشعبها اخترت معالمها التي تعطي مؤشرات مبدئية لا تزال تخفي وراء ها الكثير ، وفي مجموعها كمعالم تبين أن للمنطقة ماضيا حضاريا اسلاميا عريقا .

---

(1) كان اختياري يشتمل سدراتة مع وارجلان في جميع المناحي ، ولعدم عثوري على المصادر الكافية المتحدثة عن سدراتة ولا سيما بعض المصادر الهامة التي لا يكتمل البحث بدونهما ، عدلت عن الموضوع وتحدثت عن وارجلان فقط معتمدا الفترة نفسها للاسباب المذكورة أعلاه .

(2) يرى الشيخ أعزام أن خراب وارجلان و سدراتة على يد الميورقي كان في سنة 264 هـ ، وتبعه في ذلك الشيخ علي يحيى معمر نقلا عنه ، أما ما ذكرناه فاستنادا الى قول الدرجيني في كتابه الطبقات وهو أقرب الناس من الحادث مكانا وزمانا .

قسمت البحث الى مقدمة ، ومدخل ، وأربعة فصول ، وخاتمة وملاحق ، وفهارس .

تناولت في المدخل تعريف الحضارة لغة واصطلاحا ، ثم عالجت اشكالية الحضارة والبداوة ، ونظرة الاسلام والمسلمين اليهما ، ثم عرّفت بوارجلان : تسميتها ، وتاريخ تأسيسها .

وخصصت الفصل الاول للحياة الاجتماعية والسياسية ، فخصصت له مدخلا جغرافيا . اذ أن الناحية الطبيعية تسهم اسهاما مباشرا في الوجود البشري هناك قديما وحديثا . ثم تكلمت عن القبائل البربرية اذ الحقبة الزمنية يغلب عليها الطابع البربري ، كما تناولت بعض معتقداتهم قبل الاسلام ابرازا لدور الاسلام في تصحيح العقائد . ثم تحدثت في الفصل نفسه عن دور مدينة وارجلان السياسي في الفترة المدروسة خارجا وداخلا ، وبينت أنها لم تكن يوما ما هي المعتدية على جيرانها بقدر ما كانت تتلقى الضربات من أعدائها ، ومنطلق هذا المسلك منطلق ديني يعطي صورة واضحة عن التصور الاسلامي الصحيح للعلاقات الخارجية مع الاقطار الاسلامية المجاورة .

وخصصت الفصل الثاني للعمارة الاسلامية فتحدثت عن التخطيط العام لمدينة وارجلان أولا ، ثم عن مساجدها المشهورة ، وأنواع أماكن العبادة بها من مسجد مبني وسط المدينة الى مسجد بدار الشيخ ، الى غيران يتعبد فيها ، الى قمم الجبال بعيدا عن المدينة وضوضائها .

ثم تناولت اشكالية الزخرفة لدى الاباضية وأقوال العلماء فيها ، ثم بينت أن العمارة الاسلامية تراعي مطالب شرعية من السترة والبساطة في البناء وأنها تكفل السعادة للافراد والجماعات بتوفر هذه الضوابط .

وخصصت الفصل الثالث للحياة الدينية والفكرية . فتحدثت أول الامر عن المذهب الاباضي ونشأته ، وبينت كيفية انتقاله الى المغرب

بواسطة أفراد قلائل يحملون العلم و الدين معا . فخصصت جزءا من الفصل للنظام التربوي الديني الذي أنشأه الاباضية ليكفل لهم الحفاظ على كيانهم الديني واستمرارهم الفكري .

ثم ذكرت أشهر مشايخ وارجلان في الفترة المدروسة و نتاجهم الفكري آملا أن يجلي ذلك صورة واضحة عن المستوى الثقافي الذي وصلت اليه وارجلان في ذلك العهد .

وأما الفصل الرابع والاخير فقد تحدثت فيه عن الحياة الاقتصادية وأغلبه يرتكز على التجارة مع السودان لوجود الذهب هناك ، فتتبعت المسالك وجزأتها الى أربعة مسالك كبرى ، ومجموع المدن الكبرى للمسلك الواحد من الشمال الى الجنوب عبرت عنه بمجموعة أسوان . و تتبعت وصفها ووصف المدن المهمة بها واستقصيت المصادر الاباضية عن علاقة الوارجلانيين بها ، وعن أبعد نقطة وصلوا اليها وسكتوا عما بعدها . ثم بينت أهم السلع المتبادلة كالذهب ، والملح ، والعبيد ، وغيرها . ثم تحدثت عن الزراعة ورعي الاغنام رغم شحة المعلومات .

أما الصناعة فسكتت عنها مثلما سكتت المصادر الا ما تحدثت عنه عرضا دون تفصيل لعدم توصلي الى المعلومات المؤسسة لفصل كامل . ثم تحدثت في خاتمة الفصل عن النتائج وركزت فيه على نشر الاسلام بواسطة التجار الاباضيين في السودان .

وفي خاتمة البحث لخصت نتائجه و صنفتها حسب ترتيب الفصول .
و للوصول الى نهاية هذا البحث تطلب مني ذلك سنوات من العمل المتواصل اعترضتني أثناءها صعاب احتاجت الى جهود كثيرة لتخطيها :

1) ندرة المصادر التي تتكلم عن وارجلان في جميع المناحي التي يحتاج اليها موضوع الرسالة أدى الى البحث عنها داخل الوطن و خارجه .

ففي داخل الوطن نذكر بعض المدن التي توجد بها مكتبات تخدم الموضوع من قريب أو من بعيد .

فمثلا مدينة وارجلان زرت مكتبة الشيخ أعزام الحاج ابراهيم ، ومكتبة الشيخ عمر بن داود بومحقل ، ومكتبة آل الفقيه ، وحول وارجلان قرية نقوسة وعجاجة ، ومكتبات أخرى بقرى وادي ميزاب ، وبعض مكتبات طريق التجارة الى السودان بتوات مثل مكتبات أدرار ، المطارفة ، ملوكة .

وفي شمال الوطن المكتبة الوطنية ، والجامعية .

أما خارج القطر فقد زرت مكتبات أوروبا ، ففي فرنسا زرت المكتبة الوطنية بباريس ، ومكتبة اللغات الشرقية ، ومكتبة السربون ، ومعهد العالم العربي بها ، ومصلحة الارشيف باكس ان بروفونس قرب مارسيليا ومكتبة برلين الغربية بألمانيا ، ومكتبة جاجلونيا بجامعة كراكوفيا ببولونيا ، ومكتبة المخطوطات واللغات الشرقية ببراغ تشيكوسلوفاكيا ، والمكتبة العلمية لجامعة لفوف بالاتحاد السوفياتي أخيرا .

وأما مكتبات البلدان العربية فمنها مكتبات القاهرة بمصر ، وأخص بالذكر منها : دار الكتب المصرية ، والهيئة العامة للكتاب . ومكتبات تونس منها مكتبة الشيخ سالم بن يعقوب ، والمكتبة البارونية بجربة . . ومكتبة الخاص بالمدينة المنورة ، ومكتبة الشيخ السالمي ببدية سلطنة عمان .

هذا دون التعرض لذكر مكتبات خاصة أخرى لا يسع المجال لذكرها .

2) صعوبة قراءة المخطوطات القديمة أو صوراتها فأغلبها قد أكلته الارضة أو بهتت كتابتها أو غمضت خطوطها .

3) مشقة تصوير ما أمكن تصويره مما كتبه الاوروبيون عن وارجلان من مختلف المكتبات والمراكز الثقافية بالخارج وجلبه الى أرض الوطن .

4) متاعب انجرت من اهتمام مؤلفي كتب طبقات المشايخ بذكر أسمائهم أو جزئيات عنهم دون الاهتمام بمراكزهم الاجتماعية أو انتاجهم الفكري .

5) صعوبة التوفيق بين الآراء الموالية للاباضيين ، والاراء الناقمة عليهم .

ومن الصعوبات التي لا يمكن تجاهلها كثرة الاسفار الى مكتبات شمال الوطن ، والانقطاع عن العمل من أجل التفرغ للبحث والابتعاد عن الالتزامات العائلية ، وانزالها من الضروريات الى الحاجيات .

ومع هذا كله لا أشعر الا بضآلة ما قدمت من مجهودات أمام التراث الاسلامي الضخم ، الذي يخص منطقة وارجلان وغيرها . فهو بحاجة الى استقصاء أوسع ، وجهود مكثفة أكثر من الافراد والجماعات والهيئات حتى يحفظ من الضياع ، والله من وراء القصد .

نقـــد المصـادر و المراجــــع

لقد استقيت معلوماتي في هذا البحث من مصادر و مراجــــع عديدة ، و بما أن الموضوع يمس منطقة وارجلان و هي ذات صبغــــة اباضية فان المصادر التي اهتمت بها في الغالب اباضية ، و لقد وردت الاشارات الى بعضهــا و التعريف بها خلال البحث ، و لذا فاننا سنعالج هنا مدى افادتنا من بعضها محاولين عدم تكرار ما سيأتي في محلـــه الا ما كان من باب التوضيـــح و الضرورة .

المصــادر الاباضيـــة :

تعد المخطوطات الاباضية من أهم المصادر التي يمكن الرجوع اليها لمعرفة أصول المذهب ، أو فقهه ، أو تاريخه ، أو تاريخ رجالاته . و ما يغلب على المخطوطات الاباضية تركيزها على الناحية الشرعيــــة وعدم اهتمامها الى حد كبير بالتاريخ أو بالفنون ، فاذا تناولــت التاريخ فمن باب الاعتبار ، فتذكر المشايخ ليتأسى الخلف بمناقبهـــم و تذكر العمارة للمحافظة على حقوق الجوار و هكذا ... .

و ان أقدم مؤلف اباضي في التاريخ أمكننا الاطلاع علـــى مضمونه هو كتاب شرائع الدين لابن سلام اللواتي ت 273 هـ/ 887 م و قد تناول شرائع المسلم في أسلوب حواري (بمجموعة أسئلة) يعلمــه فيها كيف يجيب عنها فيما اذا طرحت عليه . كما أفاد من وصف حال البربر المسلمين و تشوقهم لأخذ القرآن عن العرب السابلة ، و أورد أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه و سلم في فضل البربر و لعلها موضوعــة لغرض الترغيب ، و أوردنا واحدا منها دون التوصل الى تخريجه أو الحكم عليه ، لكون المؤلف القديم المغمور رأى النور حديثا هو المحديث لا يؤسس حكما و لا يعارض نصا قرآنيا .

كتاب السيرة و أخبار الائمة لأبي زكريا يحيى بن أبي بكر الوارجلاني و هو من أهم المصادر لكونه عاصر فترة مهمة من الحقبة المدروسة لحضارة وارجلان الاسلامية . كما اهتم بجميع المناطق الاباضية المغربية قديما و أخص بالذكر أريغ و أسوف ، وجبل نفوسة ، وجربة ، الى جانب وارجلان

و المؤلف من أقرب المؤلفين الاباضيين الى نشأة نظام حلقة العزابة و لذلك يعد كلامه عنهم من أوثق الاخبار ، اذ أنه من علماء الطبقة العاشرة (450 هـ ـ 500 هـ) كما روى جل أخباره و أحاديثه عن أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي المتوفى سنة 471 هـ/ 1078 م .
و المخطوط المحقق من طرف عبد الرحمن أيوب أوفى و أشمل من غيره .

كتاب سير أبي الربيع سليمان بن عبد السلام الوسياني . ألف في النصف الثاني من القرن السادس الهجري ، يهتم بالمسائل الفقهية الى جانب ذكر سير المشايخ ، و أسماء الاماكن القديمة و القرى المندثرة و لا يزال الكتاب مخطوطا الى حد اليوم .

و يعتبر كتاب الطبقات لأبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني المتوفى سنة 670 هـ/ 1271 م أهم كتاب يتناول الفترة المدروسة الى نهايتها . فقد ألفه سنة 650 هـ / 1253 م . و أهم ما تناول فيه ذكر مناقب المشايخ و طرق تحصيلهم على العلم ، و حلق الدراسة ، و رغم معاصرته لنهاية سدراتة و خراب وارجلان فانه لم يتوسع في وصف تلك الاحداث ، و لعل التزامه بطريقة معينة في التأليف فرضت عليه ذلك . اذ الكتاب أصلا كتب بطلب من اباضية عمان بغية التعرف على مناقب أسلافهم بالمغرب بعد أن عميت عليهم أخبارهم . و بما أن كتاب أبي زكرياء لم يف بالمقصود لضعف الاسلوب و التعبير كان على الدرجيني أن يؤلف هذا الكتاب متمما اياه ما وجده لدى كتاب أبي زكرياء .

كما كتب بعده البرادى كتابه الجواهر المنتقاة لما أخل به كتاب الطبقات ، مصححا لما وجده فيه من نقص فيه ، و من بين ذلك اضافة الطبقة الاولى تلتي أهملها الدرجيني من باب المعروف لا يعرّف . بينما عدّ البرادى ذلك هفوة . و من أبرز ما وضحه البرادى في كتابه نظام حلقة العزابة الى جانب ما كتبه للدرجيني .

أما كتاب السير للشماخي ت 928 هـ/ 1522 م فقد كان الى عهد قريب مطبوعا طبعة حجرية ، ثم تكلفت وزارة التراث القومي بسلطنة عمان بطبعه طبعة جديدة في مجلدين بتحقيق الشيخ أحمد بن سعود السيابي . غير أن الطبعة العمانية فيها أخطاء في الاسماء البربرية و الاماكن المحلية لبعدها عن المألوف العربي . كما أن المحقق لم يفصل بين الطبقات اذ الطبقة تعني مجموعة رجال عاشوا ضمن نصف قرن ، و القرن الاول مثلا يحتوى على الطبقة الاولى و الثانية .

و قد اهتم الشماخي بذكر مشاهد جبل نفوسة ، و مساجدها و ذكر مشايخ الاباضية ، و نسبتهم الى قبائلهم البربرية كزناتة ، و هوارة ، و تناوتة و غيرها .

و قد بدأ كتابه بسيرة الرسول صلى الله عليه و سلم و الخلفاء الراشدين و الصحابة و التابعين منتهيا الى عهده .

مخطوطة أصول الاراضين لأبي العباس أحمد بن محمد بن بكر ت 504 هـ ، و الكتاب فريد من نوعه في المغرب الاوسط و لا يزال مخطوطا الى حد الآن ، مهتما بالعمارة الاسلامية ، و من الممكن أنه استقى معلوماته من السنة المطاهرة ، و ذلك ما لمسناه من مطابقة الاعراف التي ذكرها في كتابه من الاحاديث التي وردت في كتاب الخراج ليحيى بن آدم القرشي المتوفى سنة 203 هـ .

ويعد كتاب الدليل والبرهان للشيخ أبي يعقوب يوسف بن ابراهيم الوارجلاني (500 ـ 570 هـ) من أهم الكتب التي جمعت شتى الفنون ، كالشريعة ، والتاريخ ، والفلك ، والهندسة وغيرها . كما وصف أبو يعقوب فيه الاماكن التي وصل اليها في أواسط افريقيا من بحيرة تشاد الآن . ويعد بجوهر دليل ومصدر عن تجارة العبيد والذهب والملح . ..

المصادر غير الاباضية

يعد كتاب أخبار الائمة الرستميين لابن الصغير (ق 3 هـ) أقدم مؤلف تحدث عن الدولة الرستمية ، وشهادات ابن الصغير على عدل الائمة الرستميين مصدر ثقة لأغلب الدارسين لكون المؤلف معاصر للامام أبي اليقظان (261 هـ ـ 281 هـ) ولعدم انتمائه مذهبيا الى الاباضية . ولقد برز الكتاب لأول مرة بعد انعقاد مؤتمر المستشرقين بالجزائر سنة 1905 م .

أما كتاب المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب ، وهو جزء من المسالك والممالك للبكري ت 487 هـ ـ 1094 م فقد وصف السودان الغربي : مدنه ومسالكه ، وعدد المراحل بين المدن . وقد اتفقت قصته لكيفية نشر الاسلام في السودان الغربي ، واسلام ملكها على يد التاجر المسلم مع ما أورده الدرجيني في كتابه طبقات المشائخ ، ومع ما أورده الباروني في كتابه الازهار الرياضية ، وأمكننا بفضل ما أورده د أحمد حسين الياس في محاضرته بندوة العلماء الافارقة بالخرطوم سنة 1983 م تحت عنوان : دور فقهاء الاباضية في اسلام مملكة مالي ، أن نتوصل الى حقائق أدق في معرفة انتشار الاسلام في السودان الغربي .

كما أن ابن بطوطة (704 هـ ـ 779 هـ / 1304م ـ 1377 ( ) تحدث كثيرا عما رآه وشاهده في رحلته التي كانت تسمى (تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار) وأبرز ذلك في أسلوب قصصي شيق . وتعرفنا من خلال حديثه

على مكان وجود الاباضيــة ، أي قريــة زاغاي قرب ايوالاتن ، حيث وجد قبليــة صفتغو من البيــة تسكــن الى جانب تجار السودان . و ملاحظاته تفيد الباحث و لكنها دائما في حاجــة الى تمحيــص ، لانها شهادات عابـــر .

أما ابن خلدون (ت 808 هـ ـ 1405 م) فقد كانت مقدمته و تاريخـــه بأجزائــه المتعددة و بالاخص (7 ـ 8 ـ 11 ـ 12 ـ 13) مصدرا لكثيـــــر من المعلومــات . فقد اهتم بالقبائــل البربريــة الموجودة بمنطقــة وارجلان ، و منهم عرب المعقــل . و قد بينت شهاداتــه بوضــوح الفرق بين عرب المعقــل ، و بيـــن أعراب بني هــلال و بني سليـم الذين عاثــوا فسادا . كما تابع ابن خلدون أخبــار الثائــر أبي يزيــد مخلد بن كيداد اليفرني ، وابن غانية الميورقــي ، بينما لم يهتــم بذكر الدولــة الرستميــة و هذا ما أخذ عليه جــل الدارسيــن .

المـــراجـــع الحديثـــة

من أهم المراجــع التي جمعت أقوال المؤرخين عن وارجلا ن قديما و حديثـــا مخطــوطــة فصن البان في تاريخ وارجلا ن للشيخ أعزام الحاج ابراهيم ت 1965م فقد تحدث عن وارجــلا ن مستعينا بوثائق كانت بين يديــه اضافة للمصادر البشريـــة التي روى عنها و بما رآه بنفسه . و يتعرض الكتاب في بعض الاحيان لجزئيات لا فائدة لذكرها البتة . وهو لا يزال مخطــوطـــا .

و قد تأثــر به الشيخ علي يحيى معمر الليبــي النفوسي و ألف كتابه الاباضية في الجزائــر و خصــص جانبــا منه عن وارجــلا ن ، و قسم تاريخها الى حقب زمنيــة متميــزة ، كما استطاع أن يحــلل و يناقش الافكــار و الحوادث التي تمــر عليــه فــي أغلــب كلا مه بذكاء و فكــر متفتــح نزيــه . و يضاف الى ذلك جميــع ما كتبه من حلقات الاباضيــة في موكب التاريخ ، و له صلة بالموضــوع مثــل حلقة ليبيــا ، و حلقــة تونـــس ففــي هذين الاخيريــن ورد ذكــر الشخصيــات الاباضيــة التي لها علا قـــــة وطيــدة بوارجـــــلا ن .

ويعد الجزء الثاني من كتاب الازهار الرياضية من المراجع المهمة لكثير من الباحثين وخاصة المهتمين بالدولة الرستمية ، ومن جملة ما تعرض لذكره المدن القديمة الموجودة على طريق القوافل .

ويعد كتاب الدولة الرستمية للاستاذ بحاز ابراهيم بكير أحسن كتاب استقصى الحقائق عن الدولة الرستمية بمنهجية جيدة ، وهو في الاصل بحث نال به صاحبه درجة الماجستير في بغداد . وتعد الفترة التي انتهى اليها بحثه بداية لانتقال النفوذ الاباضي من تاهرت الى وارجلان ، ونهاية لنظام الظهور قبل بداية نظام الكتمان الذى سيظهر بعد قرن من الزمان .

كما تحدث المؤرخ محمد علي دبوز عن نفس الفترة في كتابه " تاريخ المغرب الكبير " في الجزء الثالث ، وتعمد التعرض للحقائق التاريخية ضمن أسلوب أدبي بلاغي لتشويق المطالعين ، ولكنه قد لا يروق كثيرا من الباحثين الاكاديميين الذين يبحثون عن حقيقة بعينها .

كما يعد " كتاب نظام العزابة في جربة " للاستاذ فرحات الجعبيري دراسة مفيدة للتعرف على نشأة هذا النظام وتطوره في جربة ، غير أنه مقتصر على المكان الذى حدده الدارس له . وهو في الاصل بحث قدم لنيل درجة الدراسات المعمقة بتونس .

ولقد كتب الدكتور عوض خليفات كتابه "نشأة الحركة الاباضية " وهو من أهم الكتب من حيث التركيز والتدقيق ، ولقد اعتمد على مخطوطات مشرقية ومغربية كثيرة ، الى جانب تحريه الحقائق ومعالجته الافكار بموضوعية دون تحيز أو ميول . كما يعد كتابه " الاصول التاريخية للفرقة الاباضية " ملخصا للاول . و كتابه " النظم الاجتماعية والتربوية عند الاباضية في شمال افريقيا في مرحلة الكتمان " فانه يعد مرجعا مفيدا لنظام العزابة ، غير أن اعتماده الكبير على طبقات الدرجيني ، والجواهر المنتقاة للبرادى ، يدعو الباحث للرجوع الى المصادر المتوفرة أحسن .

ومن المصادر المفيدة في الموضوع " كتاب العلاقات الخارجية للدولة الرستمية " لجودت عبد الحكيم يوسف ، وهو كتاب أكاديمي جمع معلومات شتى من المصادر الاباضية وغيرها ، ومن المراجع الحديثة . ومن خلال دراسته للناحية الاقتصادية توجد تلميحات أهمية وارجلان التجارية .

كما أن كتاب " انتشار الاسلام في القارة الافريقية " لحسن ابراهيم حسن يعطي صورة عن انتشار الاسلام في القارة ، تفيد الباحثين لمعرفة الجهود المبذولة في هذا الصدد ، وأرفق المؤلف كتابه بخرائط توضيحية .

بعض المراجع الاجنبية

كما اهتم بوارجلان كثير من الكتاب الاجانب بشتى اللغات بالفرنسية والالمانية ، والبولونية .

فأبرز من خصص لوارجلان كتابا كاملا هو الاب " جون ليثيو " تحت عنوان : " وارجلان مدينة صحراوية من القديم الى مطلع القرن العشرين " وهو كتاب بالفرنسية تحدث بتركيز عن وارجلان من الناحية التاريخية ، وحاول قدر استطاعته نسبة أصول أسمائها البربرية الى البونيقية والرومانية ، ولم يركز على الفترة الاسلامية من حيث الاسهام الحضاري . وفي كتابه كما سنرى في بعض تفسيرات البحث معلومات غريبة لم نجدها في أي مخطوط كان ، وقد أثار بذلك اشكاليات لا تزال بحاجة الى استجلاء .

كما كتب عن وارجلان بالفرنسية والبولونية المستشرق " تاديوش ليفتسكي وهو معاصر استفاد من مجموعة " زيقمونت شموقورزفسكي (ت 1931م) وقد جمع هذا الاخير من ميزاب مخطوطات كثيرة بداية من سنة 1913 و 1925م رجع بها الى "لفوف" وبعد الحرب العالمية الثانية انتقل جزء منها الى كراكوفيا وهي تحت حوزة " تاديوش ليفتسكي " الآن ، وجزء بقي في " لفوف " بعد ضم هذه المدينة البولونية الى أراضي الاتحاد السوفياتي .

فكانت مقالات " تاد يوش ليفتسكي " انعكاسا عن ثروة المخطوطات التي هي بين يديه ، فكتب جلّ مقالاته بتركيز ، واصفا بدقة متناهية المسالك المنطلقة من وارجلان الى شتى الجهات ، في مقاله دراسات سودانية ومغربية ، كما كتب عن تراجم المؤرخين الاباضيين ، وعن الوسياني والشماخي في مجلة الدراسات الاسلامية .

كما كتب " لارجو " الفرنسي ، كتابه بالفرنسية عن بلاد أريغ ، ووارجلان واصفا اياها في رحلة عابرة ، ولكن الحقائق القديمة ، وخاصة عن نشأة وارجلان غير مركزة ، وفيها اعتماد كبير على أقوال العوام مما جعل معلوماته غير موثوقة .

وللاشارة الى ما اعتمد عليه الباحث في الموضوع تكفي الاشارة اليه في الهوامش والفهارس .

شكــــر وتقديـــــر :

ان المستحق الفريد للشكر هو الله تبارك وتعالى وحده ، فهو الذى أمدني بعونه ، وكلأني برعايته ، وأعانني بعنايته ، وحفظني بلطفه ، اذ لولاه لما استطعت أن أواصل هذا البحث المضني ، وأن أخطو ما خطوته ، فحمدو وحمده تبارك وتعالى المقصود بهذا العمل . اذ أنني ما قصدت الا للاعـــلاء لكلمته ، والاشادة بما قام به عباده الصالحون المسلمون ، ليعرف الخلق ما قام به السلف ، وهو بذلك عليم .

وبعد شكر المولى تعالى ، فان الموقف يستدعي مني أن أشكر كل من قدم لي يد العون ، وأخص بذلك المشرف الدكتور ... وقفة وقفها بجانبي وكل ارشاد أرشدني اليه ، فلولا توجيهاته لما توصلت الى ما توصلت اليه ، فلقـــد كانت استقبالاته لي كل مرّة ، واخلاصه للبحث العلمي دافعا قويا لي نحو الامام .

كما أني أشكر اللجنة الموقرة على قبول الاطلاع على البحث ، وعلى ما بذلته من جهد حتى ترشدني الى الهفوات التي ارتكبتها فأتجنبهــــا وأن تضع يدي على أماكن الخلل فأصلحها .

كما أنني أشكر المعهد الوطني العالي لأصول الدين ، وأشكـــر ادارته الرشيدة لجميع ما قدمته من أياد ، وأخص بالذكر التركيـــــات المتعاقبة للعمل ، في أجنحة المخطوطات بالمكتبات خارج الوطن .

كما أني أشكر جميع العلماء والباحثين ، ومسؤولي المكتبات العامة وأصحاب المكتبات الخاصة ، وجميع من قدم لي يد العون بين قليل أو كثيـــر فليعذروني على عدم ذكر أسمائهم جميعا فقائمتهم تطول ، والتفضيـــل بينهم صعب فليحتسب كل أجره عند الله . وهو خير المحسنين . " وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا . " صدق الله العظيم .

المختصرات

ت	توفي
تأ	تأليف
تحق	تحقيق
تر	ترجمة
ج	جزء
د.	دكتور
د.تا	دون تاريخ
ص	صفحة
ط	طبعة
ق	قرن
م	ميلادي
مج	مجلد
مخ	مخطوط
م.س	مصدر سابق
م.ن	مصدر نفسه
مط	مطبعة
هـ	هجري
../..	عن اليمين التاريخ الهجري،و عن اليسار التاريخ الميلادي.

مَدْخَل

تعريف الحضـــارة

أ) الحضارة لغة : حضر ، الحضور ، نقيض المغيب و الغيـبة . و الحضـر خلاف البدو .

والحاضر: خلاف البادى . ويستدل ببيت القطامي (1) اذ يقول :

فمن تكـن الحضارة أعجبتــه فأى رجال بادية تــرانـــا

وفي الحديث : " لا يبيـــع حاضر لباد " .ويقال فلان حضرى ، وفلان بدوى (2) .

وعند الغربيين : تطابق كلمة الحضارة التي تعني عند العرب ، التنعّم بسكنى المــدن ، فكلمة civitas اللاتينية (جمـــع civitates)

و civis تعني ساكن المدينة، ومنها اشتقت كلمـــة civilisation بالفرنسية . وكلمة civilization بالانجليزيـــة . و كلمـــــة zivlisation بالألمانيـــة .

ويقابلها في اليونانية القديمة مايعني الهمجية وهي كلمـــة Barbarus وغير المتحضّـــرين Barbari (3) .

ولقد وقع ارتباك كبير في استعمال الكلمات: حضارة ، مدينة ، ثـقافة . ولقد ربط البعـض كـلمـــة culture بالزراعـــة و أنها مدعاة للاستـــقرار .

---

(1) القطامي : هــو عمير بن شيم بن عمرو بن عباد ، شاعر غزل فحل توفي سنة 130هـ/747م .
ينظــر : الزركلي ، الأعلام ، ج 5 ، ص 264 (حرف القاف) .

(2) ينظر (حضر) عند : ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، 1375هـ/1955م ، ج 7 ، مج 4 ، ص 197 .
ابراهيم مصطفى ومن معه ، المعجم الوسيط ، مطبعة مصـــر 1960 ، ص 180 .
محمد فريد وجدى ، دائرة معارف القرن العشرين ، دار المعرفة بيروت ـ لبنان ، مج 3 ، ط 3 ، 1971م .

(3) عبد المنعم ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية في القرون الوسطى ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، 1963 ، ص : 10 ، 47 .

ويؤيد هذا ماوقع للانسان القديم حيث لم يستفد كثيرا من تجارب أخيه الانسان الآ بعد ان ارتبط بالأرض بواسطة الزراعة بعد أن كان صيادا يجري خلف الطرائد .

ب) **الحضارة اصطلاحا :**

لم يستعمل العرب كلمة الحضارة بمفهومها الحالي الذى تبلور بعد امتزاج الثقافات الغربية والشرقية ولم يكن لها شيوع على الألسن مثل ماهي عليه الآن .

فالقرآن الكريم مثلا لانجد فيه الآ كلمة "حاضرة" في قوله تبارك وتعالى : "واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر" (1)

ويقابل الحضر والاستقرار ،البداوة والبدو والأعراب . وقدوردت الكلمة الأخيرة في القرآن الكريم في أكثر من موضع.

فان لم ترد كلمة الحضارة في القرآن الكريم فهو مع ذلك ملىء بمدلولات الحضارة ، من رعاية للناحية النفسية ، والمادية ، والاجتماعية للبشرية كافة .

فالقرآن في أوامره ونواهيه ، في رعايته الشمولية للحياتين الدنيوية والأخروية يراعي أرقى مايمكن للانسان أن يصل اليه .

وبرعايته للناحية العقدية يخلّص الانسان من أخطر الدركات التي يتخبط فيها .

ويرى بعض الدارسين أن أول من عبّر من العرب عن معنى الحضارة باستخدامه مصطلح "العمران البشرى" هو ابن خلدون في مقدمته .(2)

---

(1) سورة الأعراف ، الآية 163 .

(2) سليمان الخطيب ، أسس مفهوم الحضارة في الاسلام ، الزهراء للإعلام العربي القاهرة . 1406 هـ/1986م ص 25 .

كما أن ابن خلدون يرى أن اساس التطور هو التحول من البداوة الى الاستقرار وكما عرّفها بأبسط من ذلك حيث يقول : " والحضارة انما هي تفنن في الترف واحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني ، والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله " (1)

ولعل مايقصده ابن خلدون في وقته من المباني ليس مانفهمه الآن من تعريف للمدينة . فقد يعني المرحلة الاولى من الاستقرار وسط مجموعة من الدّور بعد حياة البادية والخيام ، وهذه المجموعة من الدّيار لاترقى الآن الى أبسط قرية حسب مفهومنا .

وهذا مانلمسه من كلام الدكتور محي الدين صابر في تعريفه للحضارة حيث يقول : " فالحضارة في اللغة تدل على نوع خاص من الحياة ، هو الاستقرار والاقامة الدائمة ، وليس ضروريا أن يكون ذلك الاستقرار في مدينة ، بل الاستقرار نشأ تاريخيا في قرى صغيرة ، ثم تطوّرت القرى بعد ذلك واتسعت وجاءت نشأة المدن متأخرة سواء منها القديم أو الحديث " (2)

ويؤيد هذا مانراه بالنسبة للعواصم الحضارية القديمة على أهميتها في ذلك الحين فهي لاتعدو على مساحة القرى الحالية اليوم وهذه كلها معايير مادية مضطربة لاتصلح الى حدّ ما لتكون مقياسا للحضارة .

فقد يكون المستوى المادى الذى يتذمر منه المتخلفون اليوم هو نفسه أو أقل منه ، كان نعيما وسعادة لحضارة بادت .

ولذا فان المفهوم الحقيقي للحضارة يجب أن يرتبط بمفاهيم ذات ضوابط

---

(1) ابن خلدون ، المقدمة ، مطبعة دار القلم ، تونس 1984م ، ج 1 ، ص 223 .
(2) د/ محي الدين صابر ، التغيير الحضارى وتنمية المجتمع ، دار المعارف مصر ، 1962 ، ص 47 .

قارة ولا يتأتى ذلك الا بالتوازن بين الماديات و الروحيات.

ج) الحضارة و الاسلام:

لقد برزت حضارات قديمة تناولها العلماء بالتمجيد والدراسة مثل حضارة بلاد الرافدين ، وحضارة اليونان ، وحضارة مصر الفرعونية ، و الحضارة الرومانية ، والحضارة القرطاجية وغيرها .

واندهش العلماء لما تركته من آثار عمرانية ، وكتابة على الطين المشوى ، ونحت على الحجر الصلب وعلى ورق البردى وعلى جوانب المسلات البارزة ، وفي المغاور و الكهوف المظلمة .

وتناولوا دراسة معتقداتها ، و أفواج آلهتها و مقدساتها ، وظهرت كذلك دراسات للأديان السماوية بجمل اليهودية والمسيحية من ذوى الاختصاص ، فمجدت أعمال التابعين لهذه الديانات أكثر من تمجيدها للدين اليهودى أو المسيحي نفسه ، فصعدت البشر الى مرتبة القداسة حتى جرأت هؤلاء على توزيع صكوك الغفران التي كانت سببا في ظهور المحتجين (أى المذهب البروتستانتي) .

وشاءت العناية الالهية أن تجعل الاسلام محفوظ الرسالة وبالتالي تكون كل الأحكام التي تصدر عن نتائجها الحضارية ، ضوابط لا ينالها التغيير وقواعد سليمة صالحة لكل زمان و مكان .

فلقد أرسل الله تبارك و تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم برسالة تبدأ بتوحيد الخالق أولا و تنتهي برعاية حياة الفرد اليومية أخيرا . فقلبت هذه الرسالة السماوية الموازين في سرعة مذهلة فحولت البداة الى ناس متحضرين ، والوثنيين الى ناس يحملون عقيدة رفيعة تجعلهم دائما يتفكرون من زاويتها في كامل مناحي حياتهم: في صلتهم بالله تعالى ، في علاقاتهم بالعباد ، في لباسهم ،

وأ كلهم ، وشربهم ، في كل حركاتهم وسكناتهم .

فوضعوا عاداتهم وتقاليدهم البالية جانبا ، واعتمدوا على قوانين السماء مستقين كل ذلك من القرآن والسنة .

فنجحت حياتهم الفكرية ، والاقتصادية ، والعسكرية ، وجميع مناحي حياتهم الأخرى، فلم يكن أهمّ حافز لحياتهم تلك هو الدّافع الدنيوي فقط ، بل أهمّ حافز لذلك أيضا هو الحافز الأخروي ، بجانبيه الترغيبي والترهيبي .

ولا يمكن أن نغفل بحال من الاحوال تأثر العرب المسلمين بغيرهم من الأعاجم وذلك بعاملين :

1 ـ عامل الفتوحات الكبرى .

2ـ عامل دخول الأعاجم في الاسلام .

فأخذ المسلمون منهم ما يتلاءم والاسلام ، وتركوا غيره .

فانصهرت جميع هذه الحضارات في بوتقة الاسلام وذلك لما في الاسلام من مرونة .

ويرى الدكتور عبد المنعم ماجد أن وصف الحضارة الاسلامية بالعربية الاسلامية ، لا يعني ذلك نسبتها الى سكان الجزيرة العربية وحدهم بل المقصود بذلك جميع الشعوب والأمم التي تكلمت العربية وعاشت في ظل الاسلام وفي ظلّ الخلافة الاسلامية .(1)

ولعلّ من أهمّ النقاط المطروحة في شأن الحضارة هي مشكلة نسبة انحطاطها، اذ أن أسباب نجاحها لم يقع فيها كبير خلاف في أن المسلمين جميعا ساهموا في دفع عجلتها الى الأمام .

ولكن تهم الخراب يوجهها بعض المؤرخين الى العرب وحدهم دون غيرهم ، ولعله من الأحسن القاء بعض الضوء على هذه الاشكالية وازالة بعض اللبس في ذلك .

نجد ابن خلدون حينما يقيّم الحضارة الاسلامية يعزو خرابها الى الجنس

---

(1) عبد المنعم ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص 10 .

العربي .و يرى أن العرب أينما حلّوا أسرع الخراب اليه.(1) وأنه لايستقيم لهم أمر لغلظتهم وجفائهم .و لاتجتمع لهم كلمة الا اذا كانت النبوة فيهم . وأنهم ينزعون حجارة المباني لأثافي القدور ، وينزعون خشب المنازل ليعمدوا بها خيامهم .

وحسب ماورد من كلام ابن خلدون وخاصة الأخير منه ،كان يقصد الأعراب لا العرب(2) وهذا مالاحظه الدكتور عبد الوهاب عزام في تقديمه لكتاب تاريخ الحضارة الاسلامية لبارتولد .

و يؤيد هذا حكم الله فيهم على بذاءة أخلاقهم وكفرهم و نفاقهم حيث يقول عز و جلّ: " الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر أن لايعلموا حدود الله ما أنزل الله على رسوله" (3) مع وجود الاستثناء حيث يقول عز وجل : "و من الأعراب من يؤمن بالله و اليوم الآخر و يتخذ ماينفق قربات عند الله وصلوات الرسول" (4)

ويصفهم أيضا بضعف الايمان" قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا و لكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم" (5)

فالرسول صلى الله عليه وسلم يفخر بأنه عربي و ليس بأعرابي .

ولعل هذا الحكم الشديد على الأعراب في القرآن ينبه هؤلاء لنبذ أخلاق البادية

---

(1) ابن خلدون ، المقدمة، ج 1 ص 197

(2) للاطلاع على الفرق بينهما ينظر : د/ أحمد الشرباصي ، حديث العروبة في الاسلام، مجلة الهلال - القاهرة ، جويلية 1976 ص 5 - 15 .

(3) سورة التوبة ، الآية 97 .

(4) سورة التوبة ، الآية 99 .

(5) سورة الحجرات ، الآية 14 .

الشرسة وينبه للتحضر وعدم البقاء على صفات الاعرابية و قطع الطريق، وعلى عدم الاعتماد في الرزق على الطرق السهلة من السلب و النهب واستحلال الدماء .

أما العرب وخاصة الفاتحون منهم فقد قدّموا للاسلام مفاخر و تركوا في العالم مآثر اعتز بها كل مسلم عرّبه القرآن وهذّبه الاسلام .

وحسب هذا المفهوم تكون صفة "الأعرابية" صفة عارضة ـ وليست جنسا ـ ملتصقة بكل من اتصف بها .وبغير هذا المفهوم تكون اللعنة قد التصقت بهم الى الأبد من سبع سماوات .

وحينما تكون عارضة تكون قابلة للتحول الى "العروبة" وعاء الاسلام وحافظته في لغتها العربية الأصلية والى العقيدة الصحيحة للرسول عليه الصلاة و السلام و الصحابة والتابعين له باحسان .

ونجد من المفكرين المعاصرين الذين اهتموا بالحضارة الانسانية و الاسلامية مالك بن نبي : فهو يرى أن الفضل يرجع الى ابن خلدون في فكرة الدورة ونظرية " الأجيال الثلاثة" بالنسبة للحضارة .

فتبدأ الحضارة عادة في اتجاه صاعد الى الأوج ثم بمرحلة الاستقرار في خط أفقي ،ثم تبدأ في النزول ثم تأفل .(و رسم لها مالك بن نبي مخططا هندسيا) (1) ثم يتوصل الى نتيجة وهي أنه لقيام حضارة دينية اسلامية يجب أن تراعى ثلاثة أسس وهي : الانسان ـ التراب ـ الوقت .

فالانسان هو أداة الحضارة وقد أكرمه الله بالعقل حتى يسخّره لاستثمار ما أنعم به عليه .

و التراب : فقيمة الأرض تزداد مع التطور الحضاري، وتقل مع التخلف والاهمال،

---

(1) ينظر : مالك بن نبي ، شروط النهضة،تر / عمر كامل مسقاوي عبد الصبور شاهين، دار الفكر ، بيروت ـ لبنان، ط 3 ، 1966، ص 99 ، 214 .

وقيمتها اجتماعية أكثر منها مادية ، لذا يجب استغلالها وعدم تبذيرها واذا أردنا ذلك فعلينا بالكف عن الكلام و الثرثرة حتى نسمع صوت خطى الوقت الهارب. (1)

ومن هذه المقارنات يتبين لنا بوضوح أن الحضارة الاسلامية لا يمكن أن تطلق الا على الجوانب المادية التي اصطبغت بالدين الاسلامي ، وغير ذلك يعد خاليا من الروح . ومارقيه وازدهاره اذا خلا من هذا الاعتبار الا ازدهارا ماديا يحمل بين طياته بذور تهديم البشرية بأسرها .

فالتحضر اذا لا يقاس بالثراء الا اذا كان اكتساب المال له و انفاقه حسبما يأمر به الشارع . وبغير هذا الاعتبار سيكون الأغنياء الأنانيون أكثر تحضرا والبسطاء المتكافلون أكثر تخلفا وسنرى الى الدول الغنية اليوم ، والتي تعيش شعوبها في تردٍّ عقيدي ، وخلقي نظرة التطور و التحضر ، بينما نرى الى الدول المغلوبة على أمرها مع تكافلها الاجتماعي نظرة التخلف و التأخر.

فالحضارة اذا كما أسلفنا توازن بين الروح و المادة دون تغليب أحدهما على الآخر وذلك أمر الوسطية في الاسلام .

فدراستنا لمعالم الحضارة الاسلامية بوارجلان تتضح من هذا المنظور الى هذه القيم . فقيمة وارجلان الحضارية لا تكمن في غناها فقط ولا بكثرة علمائها ولا بهندستها المعمارية ، انما تكمن في الروح الاسلامية التي امتزجت بحضارتها . تبتلاؤم الاسلام مع البساطة بل بدعوته في كثير من الأحيان اليها ظهرت النتائج منعكسة على ضخامة النتاج الفكري و التلاحم الاجتماعي ، والاستقرار السياسي ، والرخاء الاقتصادي وجمال العمارة البسيطة .

---

(1) - مالك بن نبي ، شروط النهضة ، ص 214 .

- د .محمد فتحي عثمان " كيف تتحقق لنا حضارة اسلامية " ، مجلة الفيصل ، الرياض المملكة العربية السعودية ، ع 2 ، 4 ، 1980م ، ص 26 .

تعريف وارجلان

أ) أصل التسمية :

يعرّف ياقوت الحموى وارجلان قائلا : " ورجلان : بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح الجيم ، وآخره نون : كورة بين افريقية وبلاد الجريد ضاربة في البرّ كثيرة النخل والخيرات . . واسم مدينة هذه الكورة فجوهة ". (1)

ثم يقول في مكان آخر " جوهة بالضم ثم السكون وفتح الهاء الاولى بليدة بالمغرب في أقصى افريقية وهي قصبة كورة مجاورة لبلاد الجريد تسمى ورجلان " . (2)

ويقول الأستاذ أحمد توفيق المدني : " ورقلة ، واسمها الأصلي بني ورجلان قصر من أبدع القصور البربرية في الجنوب الجزائرى " (3)

ويرى الدكتور / سعد زغلول عبد الحميد : أن لها أسماء كثيرة حسب المؤرخين ومنها واركلاه واركلي ، واركلان وأن حرف الكاف قد تنطق كنطق الجيم المصرية . (4)

ويرى الشيخ ابراهيم أعزام أن من أسمائها ، وارجلان ، واركلان ، واركلا ، وارقلا ، وارقلة ، ورقلة ، وارقلان وقال ان المعروفة به الآن وارجلان ، وورقلة (5) كما استعمل الوسياني اسم كريمة وقصد به وارجلان . (6)

---

(1) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، منشورات الاسدى رقم 7 ، طهران ج 4 ، ص 920 .
(2) م . ن ، ج 2 ، ص 162 .
(3) أحمد توفيق المدني ، كتاب " الجزائر " المطبعة العربية ، الجزائر ، 1350 هـ ، ص 244 .
(4) د / سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي ، دار المعارف ـ مصر ، ص 73 .
(5) ابراهيم أعزام ، غصن البان في تاريخ وارجلان ، مخ ، ص 4 .
(6) الوسياني ، سير ، مخ ، كراكوفيا ورقة 37 A .

ب) معنى كلمة وارجلان :

يرى جو ن ليتيو JEAN LETHIELLEUX : أن كلمة "وار" عند البربر تعنى أولاد ، أبناء و تأتي في بداية الاسم مثل وارفجومة، وارفلا، وارسنيس. مأخوذة من كلمة - أرو - أرا - تعني النفاس ، الوضع. وآكلي ، ايكلان : فالاولى تعنى الأسود ، والثانية تعني جمع ذلك أى السود . عند اللغة الوارجلانية القديمة أى ابناء الزنوج ، أو ابناء السمر. (1)

بينما ينسبها (لارجو Largeau) الى امرأة يقول بأنها سكنت مكان المدينة حينما شنّت الغارة على جبل كريمة وخرب ماحوله فبنت كوخا وغرست نخلا فسميت المدينة باسمها.(2)

وخلاصة القول في هذا أن اسم (وارجلان) على هذا الشكل استعملته المصادر القديمة . فقد استعمله أبو زكرياء في كتابه السيرة وأخبار الأئمة ، والدرجيني في طبقاته ، والوسياني في سيره . وهم أهل المنطقة وهم أدرى بالاسم وبمدلوله . ولذا فاننا نرجّح استعمال اسم - وارجلان- في كامل صفحات الرسالة .

ج) تاريخ تأسيس وارجلان:

تضاربت الأقوال كثيرا حول زمن تأسيس مدينة وارجلان غير أن الأكيد كما هو معروف ، تواجد الانسان في هذه المنطقة منذ أمد بعيد ويرجعه العلماء الى العصر النيوليتيكي - أى العصر الحجرى الحديث - ولكن متى بنيت

---

(1) ينظر : Jean Lethielleux, Ouargla,Cité Saharienne, Paris. Paul Geuthner , 1984 , p 20 .

(2) Largeau , Le Pays de Rirha , p 156 .

ونرى في هذا القول خلطا كبيرا من لارجو اذ أن الذين حاصروا جبل كريمة هم العبيديون سنة 297هـ ووارجلان قائمة . وزيارته لوارجلان كانت عابرة ولا تكفي لأخذ الحقائق .

مدينة وارجلان التي نحن بصدد الحديث عنها .

يؤرخها الحسن بن محمد الوزّان الفاسي قائلا: "وركلة مدينة أزلية بناها النوراميديون في صحراء نوميديا" (1)

ويرى (ليتيو Lethielleux) : أن الشيخ حادور أتى مع جماعة من الزنجبار يين و بنوها وسمّيت نسبة الى سمرتهم كمامرو كان تشييدها سنة (726م / 108هـ).(2)

أما (دوفيرييي Duverier) فيرى أنها من أقدم مدن الصحراء ومن غير الممكن أن نحدد لها تاريخا مدققا .(3)

أما المؤرخ ابن خلدون فلم يحدد لنشأتها تاريخا ويرى أن بني وركلا بطن من بطون زناتة كانت مواطنهم قبلة الزاب واختطوا وارجلان على ثماني مراحل من بسكرة في القبلة عنها ميامنة الى المغرب بنوها قصورا متقاربة ثم استبحر عمرانها فصارت مصرا واحدا .(4)

---

(1) الحسن بن محمد الوزان، كتاب وصف افريقيا، تر/د محمد حجي، د. محمد الأخضر الشركة المغربية للناشرين المتحدين - المغرب، ط1، 1402هـ/ 1982م ص136 .

(2) J. Lethielleux, op. cit . , loc . cit

(3) Ibid. p. 35

(4) ابن خلدون كتاب العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب و العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني - لبنان 1981، ج 7، ص107 .

الفصل الأول
الحياة الاجتماعية والسياسية

مدخل جغرافي

كانت وارجلان وماجاورها في الأزمنة الماضية منطقة جذابة للسكان أكثر من كونها طاردة لهم .

فلقد عرفها الانسان في العهد النيوليتيكي وعاش فيها وترك فيها آلاته الحجرية الدقيقة التي كان يستعملها في حياته اليومية .(1)

ولم تكن المنطقة تعرف الفاصل الصحراوي بل كانت كلها غابات متلاصقة الأشجار بها من الأنهار العظيمة مثل نهر اغرغار والذى يرفده وادى مية .

فهذه الأودية اليوم أمحلت ونضبت مياهها وذلك بسبب التصحّر التدريجي .

ولم يبق لنا مصدر تاريخي لتلك العصور الا الرسوم التي خلفها الانسان في الكهوف الصحراوية بعيدا في الطاسيلي ، وجذوع الأشجار المتحجرة في الغابات القديمة، ولاتزال هذه شاهدة على وجود فترة من الخصب وحياة للانسان و الحيوان معا .

و بمرور الزمن بقي الانسان هناك يبحث عن الماء و الكلأ وينحسر انحسار الخصب والمطر فانعدمت حركته أو كادت في المناطق الجافة ونشطت حيث المطر أو الآبار الجوفية أو الينابيع الفوارة .

والخصب الذى رأته وارجلان وماجاورها وكان سببا في عمارتها ابان الفتح الاسلامي وبعده كان مصدره العيون الجارية والتي بلغ عددها احدى وخمسين والف عين .(2) ومنها خاصة عين الصفا التي تأتي مياهها من سدراتة الى وارجلان، وعين القبائل في ناحية يفرن، وعين الحواس بناحية نقوسة .

GINETTE AUMASSIP, Neolithique Sans Poterie de la Région(1.) de l'Oued Mya (Bas Sahara), Alger, SNED, 1972, p.138.

(2) اوراق مخطوطة من كراكو فيا (في حوزة تاديوش ليفتسكي) .

فصارت وارجـــلان الخصبة وسط الصحـــراء القاحلة محط رحال القوافـــل التجاريـــة ومحط رحال الحجاج المتوجهين الى بيت الله الحـــرام .

وأمّا الناس من الجريد شرقا ، وسجلماسة غربـــا وتاهرت شمالا و من الســـودان جنـــوبا ، فصارت مدينة ذات مركز و سيـــادة ، ومع بزوغ فجـــر الاسلام لعبت دورا كبيـــرا في احتـــضان الاسلام و نشـــره وسط القارة الافريـــقيـــة .

فعمـــرت المنطقة وعجّـــت بالعلماء ، وكـــثرت فيها حلق الدراسة ، وارتـــفعت فيهـــا مآذن المساجـــد ، وراجـــت فيها التجارة ، وظهر أثر تبرغـــانـــة في جميـــع مظاهـــر الحياة فيها .

وبرزت بجانـــبها حضـــارة اسلاميـــــة رفيـــعة بسدراتـــة بهرت أعين الأوروبيين بعـــد احتلالهم للمنطقة فتـــناولوها بالتنـــقيـــب والكشـــف والدراســـة فأثـــروا بها المتاحـــف الاسلاميـــة و الاوروبية ثم توقـــفت التنـــقيبات بعدهم الى اليـــوم .

ويمكن أن نحدد موقـــع مدينـــــة وارجلان و القرى المجاورة لها بين 31ــ 32 شمال خط الاستـــواء ، و 5 ،15 ــ 30، 5 شرق خط قرينتـــش وترتفـــع عن مستـــوى سطح البحر 136م ، تحف بها المرتـــفعات من الجهة الغربية ، والعروق الرملية و (القارات) من الجهـــة الشرقيـــة .(2)

وينحدر السطح من الغرب الى الشرق حيث تتجه اليها الأودية مثل وادى ميـــزاب ، ووادى النساء ، و من الجنـــوب الى الشمـــال حيث يتـــجه صوبها وادى ميـــة .(1)

فوادى النساء ووادى ميزاب [illegible] بسبخـة السفيون حيث يصل مستوى سطحهـــا الى 101م فوق مستوى سطح البحر و هذه الأودية لاتزال الى حد الآن تسيل من حين لآخر لأن أحواض التلـــقي لمياهـــها شماليـــة .

---

(1) ينزل وادى ميـــه من هضـــبة تيدكالت الى أن يصـــل الى حاسي الجمل بعـــد 600 كلم وقد كان يعيق القوافل عن المرور عند طغيانه . (ينظر الخريطـــة مع الملاحـــق)

(2) ويعني بـ (القارات) هنا المرتـــفعات مثـــل قارة كـــريمـــة .

أما نهر ميه فانه يعد من الأودية الميتة (1) مثل وادي اغرغار ولم يبق منه الأجزاء الذي غطت أغلبه العروق الرملية .

وحسب المظهر العام للسطح فان المنطقة تعرضت لحت كبير جدا وذلك بالنظر الى (القارات) ذات المستوى الواحد في الارتفاع، و قممها المسطحة تدل دلالة واضحة على مستوى سطح الأرض قبل أن تنخرها وسائل الحت من أودية وأمطار ورياح .(2)

أما بالنسبة للمناخ فلقد كانت المنطقة في الأزمنة السابقة مدارية وغابات متكاثفة الأشجار (3) ولكثرة المياه آنذاك سكن الانسان القديم المغاور المرتفعة على الحافة اليسرى لمجرى نهر ميه .

وبعد ظهور فترات الجفاف والتصحر نزل الانسان الى بطن الوادي .

مناخها قاري حار جاف صيفا وبارد جاف شتاء، ويمتاز بالمدى الحراري الواسع سواء منه اليومي أم الفصلي .وهي من أكثر المناطق الصحراوية حرارة لبعدها عن المؤثرات المحيطية، وخالية من الأمطار خلال ... كل السنة تقريبا و تقترب من + 50 حرارية في الظل صيفا، وتسمى الرياح الحارة محليا (بالشهيلي) و يقول كورو عنها " ولعل رياح الخماسين ورياح الهرمطان تعد نسيما عليلا بالنسبة للشهيلي " (4)

---

(1) COUDREAU, Le Pays de Wargla et les Peuples de l'Afrique, Paris, 1881. p. 2 .

(2) ينظر الخريطة $\frac{1}{200\ 000}$ الصادرة من وزارة الاشغال العمومية والنقل — المعهد الوطني للجغرافية باريس (VII) العنوان: ورقلة
- Ouargla. feuille. N H 31 XXIV

(3) - LARGEAU, Le Pays de Rirha, p. 142 .

(4) COUDREAU, Le Pays de Wargla p.14.

وموسم الرياح الرملية يبدأ عادة في بداية الربيع وذلك للاختلال الناجم عن تباين الضغطين: الضغط المرتفع الآزوري الطارد للرياح من المحيط الأطلسي، والضغط المنخفض الجاذب لها من حوض البحر الأبيض المتوسط، ولهذا فمنطقة وارجلان تعدّ ممرًا للزوابع الرملية المتجهة من الغرب الى الشرق صوب خليج قابس بالقطر التونسي .

أما التربة فتتميّز في منطقة وارجلان بالفقر والملوحة وذلك للجاذبية الشعرية التي تجذب الرطوبة من الأسفل فتتلقّاها أشعّة الشمس فتحمل بخار الماء وتترك الأملاح المتحللة من الصخور (1) ولعلّ هذه الأعراض لم تكن من قبل وبالتالي فيكون الخصب في القديم أكثر والينابيع أوفر مما هي عليه الآن .

---

(1) وحديثا لازالة ذلك يجرى مايسمى بفصل التربة فتحفر أخاديد حتى يخرج الماء المالح وتسقى الأرض بمياه عذبة من فوق حتى تزول الملوحة .

أ) الحياة الاجتماعية بوارجلان

كانت وارجلان لبعدها عن التيارات السياسية الشمالية يغلب عليها في أغلب أحوالها الطابع البربري الصحراوي المتميز ، في أغلب مدن الجنوب المغربي . ولم تشهد جحافل جيوش الغزو الأجنبي ، ولم تخضع للتيارات الأجنبية أو للامتزاج العرقي مثل مدن الشمال .

ولقد تفطن الدارسون الأوربيون لهذا فصاروا يجدّون في البحث كي يتحققوا من التواجد الروماني في المنطقة:

فالكاتب (دارماناك D'ARMAGNAC) يشير الى خضوع وارجلان لروما ودفع الضرائب لها (1) ، كما نجد الكاتب (DUMAS) يبرهن على تواجد الرومان في غرداية وفي منطقة بابا السعد بالذات (2) . كما يحاول (RENE POTTIER) أن ينسب القصر الأحمر الموجود - بالقرارة اليهم . (3)

والبعض منهم يدخل من منفذ اللغة ويحاول أن يجد أصولا افريقية أولاتينية لكلمات بربرية حتى اذا كثرت الأدلة صارت اللغة البربرية فرعا لها ، وبالتالي تكون دليلا على أن البربر أبناء روما أو أثينا .

ولعل أبرز من اهتم بهذا المبشرون من الآباء البيض ومن بينهم الأب (جون ليتيو JEAN LETIELLEUX) الذى أجرى المقارنات البعيدة كل البعد عن الحقيقة وفي كثير من الأحيان يكون الاسم البربرى قد تأثر باللغة

---

(1) ينظر : LIEUTENANT D'ARMAGNAC, Le M'ZAB et les PAYS des CHAAMBA, (SAHARA) Alger , Edition Baconier 1934,p.192

(2) ينظر : DUMAS, Le Sahara Algérien, Paris Pub.Le Maréchal Duc de Dalmatie, 1845 , p. 62 .

(3) ينظر : RENE POTTIER, Histoire du Sahara , Paris , =

العربيـــة فيتخطاها جهلا أو تجاهــلا الى اللغة الأجنــبية ، فيلصــق الاســـــم البربـــري بها باللغـــة الأجنـــبية .

و من أبرز الدارسين للغة البـــربرية الوارجـــلانية الأب (جون دولو ر JEAN DELHEUR) و لكن حسبما رأيت فدراساته مجـــردة من المقارنات التي نراها لـــدى الأول .(1)

بينما نرى البعض من المستشرقين يستغل هذا الموضوع ويفصح صراحة بالتفرقـــة بين المسلمين بربرا وعربا ، فلارجو LARGEAU يرى أن البربــــر كانوا يعيشون في دعـــة وطمأنيـــنة فأتى اليهم المسلمون العرب فأفســـدوا عليهم حياتهـــــم واستـــقلالهم .(2)

وكان المؤرخ التونســـي عثمان الكـــعاك من جملة المؤرخين المسلمين الذيــــن بيّنوا نواياالفرنسييـــن في سياسة الادماج ونسبتهـــم للبربـــر الى السلــــت - فرع من فروع الغال و الغال أصـــل الفرنسيين - وكانوا بهذه الادعاءات يريدون فصلهم عن العالم الاســـلامـــي و العربـــي .

غير أن المسلمـــين -عربا كانوا أم عجما- حينما حلّوا بالوطن المغربي كانت فـــي يدهـــم الحجة لفتحـــه ، وهي أن الأرض لله ، والاسلام ديـن الجميـــع .

فكلما حل المسلم أرضا فهو في داره لا يحتاج الى أدلة اثبات ولا الى نـــسب أو مصاهـــرة .

ولا تفي الدراسات الاسلاميـــة لهذا الجانب الا من باب التعرّف من أجـــــل التعارف .

---

(1) ينظـــر : JEAN LETHIELLEUX, Ouargla... p. 13 =N.E.L.1947, p. 190 .

(2) ينظـــر : Largeau, Le Pays de Rirha, p. 154 .

وحتى يمكننا التعرض على الناحية الاجتماعية بمنطقة وارجلان تجب الاشارة لبنية السكان وأصولهم .

1) بنيـــة السكـــان :

يغلب على سكان المغرب العربي الجنس البربري ، ولم يكن للبربر انصهار وامتزاج بغيرهم الا بعد مجيء الاسلام ، وكان امتزاجهم بالمسلمين عربا أو عجما ، بينما لم يكن للبيزنطيين والرومان الا حظ الانتفاع بالموارد الاقتصادية دون التلاحم العرقي .

وقد تضاربت الآراء حول تسمية البربر فالبعض يرى أن اليونان هم الذين أطلقوا كلمة بربر Barbaroi ، والرومان أطلقوا كلمة Barbari جورا وظلما ويقصدون بها العجمية والتوحش مرة وعلى الشعوب غير الرومانية مرة أخرى . (1)

ومع مرّ الزمان قبلت فصارت تستعمل دون عقدة أو استهجان ، غير أنهم يفضّلون كلمة " امازيغن " أي الرجال الأحرار ، أو الأشراف ومفردها " أمازيغ " . (2)

وحينما نتصفح المؤلفات العربية القديمة نجد تعليلات أخرى لتسمية البربر .

فابن سلاّم اللواتي الاباضي وهو من أقدم مؤلفي المغرب (توفي حوالي سنة 273 هـ/ 887م) يتحدث عن جماعة البربر التي قصدت الخليفة عمر

---

(1) عثمان الكعاك : محاضرات في مراكز الثقافة بالمغرب ، جامعة الدول العربية ، القاهرة ، 1958 ، ص6 .

(2) العربي دحو ، مدخل في دراسة الأدب المغربي القديم ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1988 ، ص 17 .

ابن الخطاب (ض) موفدة من طرف عمرو بن العاص ، فحينما سألهم عن نسبهم أجابه أحد الحاضرين معه " هؤلاء من ولد بر بن قيس ، وبر بن قيس هذا كثر نسله في البراري فقالت العرب تبربروا أي كثروا " . (1)

وبهذا يكون ابن سلاّم قد أعطى تفسيرا جديدا لكلمة بربر مغايرا تماما لما قيل ، ناسبا اطلاقها للعرب .

وأما اليعقوبي (ت 284 هـ / 8 - 897 م) فيرى أن ذلك نسبة الى جدّهم بربر ابن عيلان بن نزار . (2)

وينسب ابن خلدون (ت 808 هـ / 1405 م) هذه التسمية الى كلام افريقش ابن قيس بن صيفي من ملوك التبابعة حينما دخل افريقيا غزا المغرب وسمع رطانة أهلها فقال ما أكثر بربرتكم ، أي اختلاط اصواتكم ، ومنها بربر الأسد اذا زأر بأصوات غير مفهومة . (3)

ولعل أصوب تعليل هو ماذهب اليه اليعقوبي ، فالبربر نسبوا الى جدهم ، والبقية كلها من قبيل الصدف والاشتباه .

ويجد الدّارس صعوبات كثيرة في تحديد أصلهم وكيفية تفرعهم وأماكن تواجدهم وتوزعهم ، وذلك لأن البربر لم يتركوا شيئا مكتوبا يرجع الى ماقبل الاسلام .

---

(1) ابن سلاّم الاباضي ، الاسلام وتاريخه من وجهة نظر اباضية ، تح : ف شفارتز وسالم بن يعقوب ، دار اقرأ ، بيروت - لبنان ، 1985 ، ص 146 .

(2) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي (بلا مكان) بيروت ، 1960 م ، ج 1 ، ص 165 .

(3) ابن خلدون ، عبد الرحمن ، تاريخ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت - لبنان 1981 م ، مج 6 ، ج 11 ، ص 176 .

وحتى العرب لم يكونوا يعرفون شيئا ذا بال عن البربر قبل الاسلام لعدم اتصالهم بهم . فحينما حلّوا بشمال افريقيا اهتموا بالفتوحات الاسلامية ، اضافة الى ذلك يوجد فاصل لغوى كان عائقا في بداية الأمر عن معرفة خبايا هذا الجنس البشرى .

وبالاسلام حصل الاتصال والتعارف ، بل صار البربر أنفسهم يكتبون عن أنفسهم الى جانب المؤرخين العرب .

يرى اليعقوبي ، أن البربر أنفسهم مختلفون في معرفة أصولهم . فالبعض منهم يرى أن مساكنهم الأولى فلسطين فأخرجهم بعض الملوك ولما ذهبوا الى مصر ، منعوا النزول بها فعبروا النيل غربا وانتشروا في البلاد . والبعض الآخر يرى أن البربر من اليمن نفاهم بعض الملوك فقصدوا المغرب . (1)

بينما الادريسي يؤكد أن ديار البربر ، فلسطين ، حيث ملكهم جالوت ابن ضريس بن جانة ، أبو زناتة المغرب . ومنها فرّوا الى المغرب بعد أن قتل داود جالوت البربرى . (2)

وأما الدكتور سعد زغلول عبد الحميد فيؤيد ما ذهب اليه ابن خلدون بأن البربر أبناء كنعان بن حام بن نوح عليه السلام ، ويرى عدم صحة قصة جالوت ، وبأنهم أقارب الفلسطينيين وليسوا منهم .

ويقول الدكتور سعد زغلول أن الروايات العربية ذات طابع اسطورى . (3)

بينما يرى الدكتور عمر الساحلي : أن البربر أبناء الأرض التي نشأوا فيها

---

(1) اليعقوبي ، تاريخ ، ج 1 ، ص 165 .

(2) الادريسي ، وصف افريقيا ، تح : هنرى بيرس ، دار الكتب - الجزائر ، 1957 ، ص: 35.

(3) د . سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي ، ص 82 .

وكل هذه المراحل التي تقدمت متأخـرة عن مـرحلة النشأة ، و التي قد ترجـع الى خمسة آلاف سنة أو أقـل قليـلا . (1)

واننا فعلا اذا استنطقنا الرسـوم الموجودة في التاسيلي الى حدّ الآن واستندنا الى دراسة المتخصصين في دراسة أعمار البشر سنجد التواجد البشـرى فعـلا يرجع الى خمسة آلاف سنـة و أكـثر . (2)

و أما الكتابة التيفنا غيـة فمع كونهـا دليلا على التواجد البـربرى الاّ أنهـا حـديثـة عهـد ، فهي نتيجة أجيال وحضارات سابقة و يرجعها البعض الى القـرن الثالث قبل الميـلاد فقط . (3)

و مهما يكن من أمر فلا يستبعد أن يكـون أصـل سكان المغرب قبل الاسـلام مزيجـا من : سكان قـدامى ـ عاشوا في العهود النيوليتيكيـة ـ بالموجـات البشريـة التي أتت من المشرق فكوّنـت سكان شمال المغرب ووسطه و جنوبـه . و من بينها الموجات الكنعانية وذلك بحكم الدليلين : الرسوم القديمة ، و اللغـة الكنعانيـة الممتزجـة باللغة البربـرية .

أ) أشهر القبائـل البربرية بمنطقة وارجـلان

1ـ زناتـــة :

نسبهم : هم أبناء شانا ، أوجانـة (4)

---

(1) د . عمر الساحلي (باحث معاصر في أصول البربر) كتب تعاليقه على هوامش كتبه التي أعارها لي مشكورا فيه، صائفة 1988 بالقاهرة .

(2) JEAN DOMINIQUE LAJOUX, Des Hommes Vivaient il y a 5000 Ans, Le Coopérateur de France, 1958, n° 191, pp 8 - 9 .

(3) العربي دحـو ، مدخل في دراسة الأدب المغربي القديم ص 30 .

(4) " هو جانة بن يحي بن صولات بن ورساك بن ضرى بن مقبو بن قروال بن يملا بـن مادغيس بن زجيك بن همرحق بن كراد بن مازيغ بن هريك بن برا بن كنعـان ابن حام " ينظر ، ابن خلدون ، تاريخ ، م 7 ص 6 ، وينظر : الملحق الخاص بالأنساب (آخر الرسالة) .

أصل التسميــة : يقول ابن خلدون: " ان زناتة من صيغة جانا التي هي اسم أبي الجيل كله و هو جانا بن يحي المذكور، وهم اذا أرادوا التعميم زادوا مع التاء نـــونا فصار جاناتـــن ، ونطــقهم بهذه الجيـم ليس من مخرج الجيم عند العرب بل ينطقون بها بين الجيـم والشيـن و أميل الى السين فصارت زانات لفظا مفردا دالاً على الجنس ثم ألحــقوا بها هاء النسبة وحذفــوا الألــف التي بعـد الزاى تخفيـفا لكثــــرة دورانــه على الألســن والله أعــلم". (1)

تتواجــد زناتـــة مابين غدامس والسوس الأقصـى وبالقرى الجريدية وجبال طرابلـس و تتوزع على كامل المغرب خاصة الأوسط وينسب اليهم ويـقال وطن زناتة (2) ويوصــفون بحذقهم ركــو ب الخيل ومعرفة جيــدة بعلم الكــف (3) ويشبهـــون العرب في سكــنى الخيام واتخاذ الابل و ركوب الخيل، و لغة زناتــة متميــــزة عن سائــر لهجــات البــربــر.(4) ويتــفرع عن زناتـــة :

أ) <u>بــنو وركـــلا :</u>

هــم بطن من بطون زناتــة من ولد فرنــي بن جانا واخوانهم لذلك العهد يزمرتن و منجصـــة ونمالتـــه .و يعتبر بنو وركـــلا من هؤلاء أصغر فئـــة . لقدكانت مواطنهـــم قبلة الزاب ، واختطـــوا وارجـــلان على ثمان مراحـــل من بسكـــرة في القبلة عنهمـــا ميامنـــة الى المغـــــرب . (5)

و لقد أعطت القبيلة اسمها لوركـــلا أو وارجـــلان مثلما أعطت قبيلة سدراتـــة اسمها لمدينة سدراتة ، و قبيلة نـفوسة اسمها لجبـــل نـفوســـة .(6) ولسنا متأكدين

---

(1) ابن خلدون، تاريخ، مج 7 ، ص 13 .
(2) ابن خلـــدون، م .ن ، ص 3ــ 4 .
(3) الادريســي ، المغرب العربي من نزهــة المشتاق، تح : محمد حاج صادق ،
(4) ابن خلدون ، م .ن ، ص 3 .
(5) ابن خلدون، م .ن ، ص 107 .
(6) ينظر: د . سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي (ليبيا،تونس،الجزائر،المغرب) دا رالمعا رف ــ مصر (بلاتاريخ) ج 1 ، ص 93 .

من صحة ما أورده (رينيه باسيه - RENE BASSET) من أن سكان وارجلان الحاليين: من بني سيسين و بني واكسين وبني ابراهيم - و الذين يمدّون مكانهما الأصليين من القديم - يلتقون عند جدّ واحد - وهو أحد أبناء الورقلي - (1) .

ب) بنو يفرن :

و من أشهر القبائل الزناتية بنو يفرن وهم أبناء يصليتن بن مسرا بن زاكيا ابن ورسيك بن الديسرت بن جانا . وكانت من أوسع بطون زناتة . وقد فشا فيهم المذهب الاباضي والصفري. (2)

ج) بنو مغراوة :

حينما نرى الى شجرة النسب يتبين لنا أن بني مغراوة يتصل نسبهم بزاكيا ، مثل قبيلة بني يفرن و بني واسين، وجدهم الأعلى الديرت بن جانا أي أنهم كلهم من زناتة .

و من مغراوة بنو ريغة . و من أمكنة انتشارهم جنوب المغرب الأوسط بجبل راشد (عمور) ، و واركلا (وارجلان) ، ولقواط (الأغواط) (3) كما كانوا يوجدون أيضا حول بسكرة مع قبائل سدراتة (4) وكانوا بأخلاقهم الفاضلة وحمايتهم للجار محل ثقة ابي عبد الله محمد بن بكر فاستقرّ بجوارهم. (5)

---

(1) RENE BASSET, Les Manuscrits Arabes des Bibliothèques des Zaouias de Aïn Madhi et Tmacine et de Ouargla et de Adjedja. Alger, I.O.OF. 1886, p. 60 .

(2) ابن خلدون ، تاريخ ، مج 7 ، ص 22 .

(3) محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الاسلامي ، وحدة رغاية ، الجزائر، 1985 م ، ص 19 .

(4) أبو عبيد البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب (وهو جزء من المسالك والممالك) نشر دي سلان، المطبعة الحكومية 1857، الجزائر، ص 52 .

(5) محمد عوض خليفات، النظم الاجتماعية والتربوية عند الاباضية في شمال افريقيا في مرحلة الكتمان ، عمان، الأردن ، 1982 ، ص 25 .

د) بنـوزنـداك :

وكانت توجد من ضمن القبائل الزناتيـة قبيـلة بني زنـداك وهي فـرع من زناتـة مغـراوة . واليها هاجرابو يزيـد مخلد بن كيـداد سنة 325 هـ / 936-7 م ويبدو أنها نكـارية وليست اباضيـة وهبية .(1)

هـ) بنـو ورمـاز :

وهي قبيلة زناتـية بدويـة سكـنت أريـغ وفرع منها سكـن وارجـلان (2) اشتهرت في المنطـقة بالسطو والنهب وقطـع الطريق وشن الغارات على المسافريـن الآمنـين وكانت سببا في هجـرة أبي عبدالله محمد بن بكر وتلامذته من أريـغ الى افـران بـضواحي وارجـلان .(3)

ويضـاف الى الزناتيين قبيـلة بنو ياجـرين، ومنهم العالم أبـو صـالح الياجـراني .

---

(1) - T.LEWICKI, Etudes Maghrébines et Soudanaises, Varsovie, Pologne. E.S.P. , 1983. T.II , p. 85 .

(2) - Ibid, p. 86 .

(3) علي يحي معمر، الاباضيـة في الجزائـر، مطبعة الدعوة الاسلامية، مصـر، 1399 هـ / 1979م، ص 183 .

2- قبيـــلة ســدراتـــة :

أصــل السدراتيين من لواتــه (1) ولهم قرابة الأخوة من الأم مع بني مغراوة . وسدراتــة الذى ينســبون اليه كانت أمه قد تزوجــت بمغــراوة فكان الامتـــزاج في النســب (2) .

والسدراتيون ظواعــن مثل اللواتيين ، فمثلما يوجدون في برقه يوجدون فـــي الأوراس وكــذا في منطــقة وارجـــلان .

3- قبيلــة تنــاوتـــه :

انتشرت بين غدامس ونــفزاوة بالجــريد والى هذه القبيــلة ينسب أبو عمـــار عبد الكافـي - التناوتـي - كماينسب ابن درار الغدامســي الى نفس القبيــلة (3) . وليس بعيدا أن تكون هذه العلاقة بين غدامس (4) ووارجــلان النسبية سببـــا في التــقاء ابنيهما عاصم السدراتي ، وابن درار الغدامسي أمام معلم واحــد وهـــو أبو عبيــدة مسلم بن أبي كــريمة وفي رحلة واحدة . وربما كان هذا هو السبب نفسه في احتضان المذهـــب الاباضــي في المنطــقتين في وقت مبكّــر .

وسكــنت وادى ريغ وواحــة وارجلان قبيــلة ورتيــزالين وذلك في القرن السادس الهجــرى (1107- 1155م) (5) .

---

(1) لواته: بطن عظيم من بطون البربر ينسبون الى لوا الأصغر بن لوا الأكبر بن زحيك ومنهم نفزاوة (أونفزة) بالجريد ، ينظر: ابن خلدون: تاريخ ، مج 6 ، ص 234 .

(2) ابن خلدون ، التاريخ ، مج 6 ، ج 11 ، ص 178 .

(3) - T.LEWICKI, Ibid , p. 58 .

وتشير مجلة الدراسات الاسلامية الى أماكن تواجد هذه القبيلة يرجى النظر في :

- R.E.I. , PAUL GEUTHNER, 1937, T. VIII, p. 278 .

(4) غدامس: مدينة في الجنوب الشرقي للقطر الجزائرى متاخمة للحدود الليبية افتتحها الصحابي الجليل عقبة بن نافع (ض) سنة 667م .وكانت كلها اباضية لدى نهاية القرن 8م وبداية القرن 9م وتربط جبل نفوسة وبلاد التكرور بطريق تجارى .

ينظر: ن م :
- T.LEWICKI, op. cit, Loc. cit .

(5) - T.LEWICKI, Ibid, p. 86 .

وأما القبائل التي لاتزال موجودة الى حد اليوم وقد كانت كلها بربرية اباضية فهي : بنو واجين : اباضية كلها . بنو سيسين: أغلبها مالكية والبعض منها اباضية . بنو ابراهيم : مالكية كلها .

و يستدل من أنها كانت اباضية بتواجد المساجد والديار القديمة الاباضية بأحيائها اليوم، مثل مسجد الشيخ أبي عمار وبابه وساحته . وديار الشيخ ماكسن والشيخ باسه .(1)

ب) العرب

من خلال تصفحنا للمصادر القديمة لم نجد أثرا لتواجد العرب في منطقة وارجلان ولو في الصدر المبكر للفتح الاسلامي . ولذا فالاحتمال يكون قويا على أن بربر المنطقة هم الذين جلبوا الاسلام الى وارجلان .

و يرى ابن خلدون أن استيطان العرب للمغرب كان في أواسط المائة الخامسة للهجرة ويوضح ذلك بقوله : " لأن العرب لم يكن لهم المغرب في الأيام السابقة بوطن ، وانما انتقل اليه في أواسط المائة الخامسة أفاريق بني هلال و بني سليم اختلطوا في الدول هنالك ، فكانت أخبارهم من أخبارها فلذلك استوعبناها ، وأما آخر موطن العرب فكانت برقة" .(2)

و هذا الكلام طبعا يعني التوطن لا التواجد المؤقت ، مثل حملات العبيديين على وارجلان بعد فرار الامام يعقوب بن افلح اليها وغيرها .

واذا علمنا أن بني هلال وبني سليم أتوا على شكل حملات تخريبية ، عكس الفاتحين الأوائل من المسلمين العرب . فانه يحتمل جدا أن تكون هناك جفوة بينهم و بين سكان المناطق التي يحلون بها .

---

(1) من خلال لقاء أجريته مع الشيخ عمر بن داود الوارجلاني في 2 2/ 11/ 1990م .
(2) ابن خلدون ، تاريخ، مج 6 ،ج 11، ص8 .

غير أن فئة من العرب نجدها قد اندمجت وسط سكان وارجلان كان مجيئها متزامنا مع الحملات الهلالية ويبدو ذلك لمغايرة أسلوبها عن أسلوب بني هلال وبني سليم، في العشرة وحسن الجوار، وهؤلاء هم بنو معقل.

يسمّون أيضا بالجعافرة نسبة الى جعفر بن أبي طالب ويسمون أيضا بالشرفاء الجعافرة نزحوا من المدينة، الى أسوان، بأراضي الصعيد، وكانوا يمتهنون التجارة (1) وكان عددهم لدى مجيئهم الى المغرب لا يتجاوز المائتين. فقد انضمّوا أول الأمر لبني سليم ثم آخر الأمر الى بني هلال، بعد اعتراض بني سليم لهم، وكانوا أحلافا لقبيلة زناتة ويقول الناصري: " فلما ملكت زناتة بلاد المغرب، ودخلوا الأمصار والمدن، أقام بنو معقل هؤلاء في القفار، وتفردوا في البيداء فنموا نموا لاكفاء له وملكوا قصور الصحراء التي اختطها زناتة بالقفر مثل قصور السوس غربا، ثم توات، ثم بودة، ثم تمنطيت، ثم واركلان، ثم تسابيت، ثم تيكرارين شرقا " (2)

فكانت الرياسة لزناته لكثرة سكانها وقد فرضت أتاواتها وضرائبها وجبايتها على غيرها من السكان ومن بينهم بنو معقل. (3)

وكانوا يشتهرون الى جانب ذلك أنهم لا يعترضون السابلة في الصحراء بأذى ولا مكروه.

وان كان هؤلاء هم أنفسهم بني معقل الموجودين الآن والمنضمين الى عشيرة بني واجين فلا شك أن أخلاقهم الحسنة تلك هي التي جعلتهم يندمجون في المجتمع البربري الوارجلاني فيتعلمون لغتهم ويتمذهبون بمذهبهم خلافا لأعراب

---

(1) ابن خلدون، مج 6، ج 1، ص 10.
(2) الناصري ابو العباس أحمد، كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء - المغرب، 1954، ج 2، ص 179.
(3) م.ن، ج 2، ص 178.

بني هـلال وبني سليم الذين عاثوا في الأرض فسادا ونهبا وسلبا .

ونستشف من هنا أن بربر المغرب أكثر الأجناس تفتحا لمن جاءهم بالاسلام والهداية والسلم والمسالمة ، وأشد الناس تعصّبا ضدّ من جاءهم بالقهر والغلبة ، وبالسلطة والاستعلاء . ومع هذا كله لا نستطيع أن نجزم بأن عرب المعقل أو بني معقل ، وعشيرة بني معقل الوارجلانية جنس واحد وذلك لعدم التحقق من الأمر بعد .

فالشيخ عمر بن داود الوارجلاني - من عشيرة بني معقل - يرى أن بني معقل الحاليين أتوا من المغرب الأقصى (1) وحسب شجرة النسب يرجع نسبهم الى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانضموا الى بني واجين .(2)

أما الشيخ ابو العلاء عيسى فيستبعد أن تكون أصل عشيرة بني معقل عربيا وذلك لأن البربر يتعربون أما العرب فلا يتبربرون .(3)

وهناك عائلات وارجلانية بربرية يرجع نسبها الى أبي بكر الصديق أو الى عمر ابن الخطاب أو فارسية يرجع أصلها الى أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (4) مما يجعل هذه النظرة غير صحيحة .

وكل هذه العائلات تمازجت فانصهرت وتلاحمت وكوّنت مجتمعا واحدا مسلما لا تفاضل بينها الا بالتقوى .

---

(1) من خلال لقاء أجريته معه في مدينة وارجلان يوم 22/ 11/ 1990م .

(2) بنو واجين ، وبنو سسين ، وبنو ابراهيم ، هي القبائل البربرية التي لا تزال الى حدّ اليوم تكوّن سكان مدينة وارجلان القديمة - داخل الأسوار - ولكل منها حي ، ويرجعها : RENE BASSET الى جدّ واحد .
ينظر : R.BASSET, Les Manuscrits Arabes, p. 60 .

(3) من خلال لقاء أجريته معه في مدينة القرارة يوم 10 / 11/ 1990م .

(4) أعزام ، غصن البان ، مخ ، ص 30 .

ج) اليهــــو د

لقد تسلّل اليهود الى كثير من مناطـق شمال افريـقيا في وقت مبكّر لأغراض كثـيرة ومن بينها التجارة ، خاصة تجارة الذهب ، وبالأخص في منطقة توات .

ولقد اشتهر اليهود بمكايدهم ودسائسهم خاصة على المسلمين فحاولوا أن يتأقلموا مع كل مجتمـع وكل بيئـة حلّوا بها ، فيتعلّمون لغتهم ويلبسون لباسهم و تنبّـه المسلمون لذلك و ألزموهم باضافة مايميّـز هم عن المسلمين مثل القلانس الكبيـرة المزريـة ، أو الطاقيـات الحمـراء .

ولاهتمام اليهود بجمع الذهب و تجارة العبيـد كان لديهم القدرة على التحكّم في الاقتصاد و أخذوا المسلمين في كثير من الفتـرات التاريخيـة من خناقهم وأشاعوا فيهم التعامل بالرّبـا ، ولايزال آثار تلك المعاملات راسخة في الاقتصاد الاسلامـي والعـالمي و متحكّمـة فيه الى اليوم .

2) المعتـــقدات البربرية :

حسبما تركته الرسوم قديما وما أورده الكتّاب عن البربـر أنهم كانوا قبل مجيء الرسالة السماوية المحمديـة مشتتي الأهواء مختلفي العقائـد ، ففيهم المتنصـرون ، والمتهودون ، مثلما كان فيهم من عبد قوى الطبيعة من شمـس و قمـر . (1)

ولعل عبادة الشمس أتت اليهم من مصـر ، فقد كان المصريون القدامى يعبـدون الشمس وتسمى عندهم بالاله رع . علما بأن البـربر يتوزعـون على شريط عرضي لشمـال افريـقيا من المغرب الأقصى الى واحـة سيـوة بالجنوب الغربي لمصر .

ويرجع الكماك ديانات البربر القديمة الى ثلاثـة أصول :

1- الروحانية : وهي اعتـقاد وجود أرواح في العناصر الطبيعية كالعيون والأنهار والجبال ، والأحجار ، والأشجار .

---

(1) د. سعـد زغلول ، تاريخ المغرب ، ص 60 .

2- عبادة الحيوانات : اما تقليدا لشعوب أخرى كالمصريين، أو أصالة.

3- الطوطمية : وهي اعتقادهم أن نوعا من الحيوانات هو جدهم الأعلى ويجب احترامه وتقديسه وعدم ايذائه أو قتله، ومن طوطماتهم: الأفعى، البوم، القط، والضفدع. (1)

كما عبدت بعض القبائل البربرية الكبش (2)، وكما عبد بعضها الثور" غزريل"، وقد عثر على منقوشات صخرية بالجنوب الوهراني تمثل ضأنا فوق رأسه قرص يمثل الشمس. (3)

وكان هذه المنقوشات تبين لنا التقاء معبودين ، الشمس والضأن . ويسمى هذا الأخير أيضا عند المصريين بالاله آمون .

ولقد أشار (جون ليتيو JEAN LETHIELLEUX) (4) الى تواجد بعض العادات في وارجلان حول تقديس التيس، ولتوضيح ذلك يقول الشيخ عمر بن داود الوارجلاني : " ان اهذه العادة لاتزال موجودة لدى العبيد فهم يأتون بالتيس ويعلقون عليه خرقا ذات اللون الأبيض والأخضر ، ولهم أهازيج خاصة وليسوا من الاباضية" (5)

وبطبيعة الحال هذه المعتقدات القديمة الفاسدة المتمثلة في تأليه الحيوانات عند بعض ، وفي الالحاد عند البعض الآخر ، أو اليهودية أو النصرانية، هذه هي التي جعلت البربر على مستوى شمال افريقيا والمغرب يرتدون عن الاسلام اثنتي عشرة مرة ولم يثبت اسلامهم الا في أيام موسى بن نصير. (6)

---

(1) عثمان الكعاك ، موجز التاريخ العام للجزائر منذ العصر الحجري الى الاحتلال الفرنسي ، نشر مكتبة العرب بتونس، ط 1، 1378هـ / 1927م ، ص 38 .

(2) د. سعد زغلول، م .س، ص 61 .

(3) الكعاك ، م .س، ص 40 .

(4) J.LETHIELLEUX, Ourgla...., p. 11 .

==

(5) نفس اللقاء المشار اليه المنعقد يوم 22 نوفمبر 1990م.

وكما روى عن تشدد البربر في قبولهم للاسلام ومحاربتهم له (1) وارتدادهم عنه . هناك روايات أخرى تدلّ على تفهم البعض منهم لتعاليم الاسلام السمحة فذهبت تطلبه من أصوله ، منلدن عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه . (2)

ولقد أورد ابن سلاّم اللواتي شهادات طيبة في شأن البربر و مدح الرسول صلى الله عليه وسلم و الصحابة لهم .

فحينما توجه الوفد البربرى الى عمر بن الخطاب جرى حوار طويل بينهم فتذكّر عمر بن الخطاب حديثا للرسول صلى الله عليه وسلم فبكى ، قال عمر بن الخطاب : " أبكاني حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، انهزم المسلمون فنظر اليّ رسول الله و أنا أبكي ، فقال : ما يبكيك يا عمر ، قال قلت : أبكاني يارسول الله قلّة هذه العصابة من المسلمين ، واجتماع أمم الكفر عليها ، فقال لي : لاتبك ياعمر فان اللّه سيفتح للاسلام بابا من المغرب يعزّ الله بهم الاسلام و يذلّ الله بهم الكفّار ، أهل خشية وبصائر ، يموتون على ما أبصروا ، ليست لهم مدائن يسكنونها ، ولا حصون يتحصّنون فيها ، ولا أسواق يتبايعون فيها ، ولذلك بكيت الساعة حينما ذكرت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وماذكرلي من فضل " (3)

== ويبدو أنها أتت معهم ، ويرى VAN GENP ان الجنس الأبيض لم يعرف الحلوطمية
انظر : GEORGE MARCY, Les Bèrbères, Etudes et Documents Bèrbères, 4, 1988, pp 143 - 156 .

(*) ابن خلدون ، تاريخ ، مج 6 ، ص 205 .

(1) يرى تاديوش ليفتسكي " أن الكاهنة (ت 4—703 م) التي وقفت في وجه المسلمين والتي كانت تسكن الأوراس ، وصل نفوذها الى منطقة وارجلان ، وأن هناك بئرا تسمى بئر الكاهنة " ينظر T. LEWICKI, Etudes Maghrébines et Soudanaises T. II, p. 28 .

(2) ينظر : ابن سلاّم ، الاسلام وتاريخه ، ص 146 .

(3) ابن سلام ، الاسلام وتاريخه ، ص 147 .
ينظر في نفس الفصل أحاديث أخرى و كلام عن البربر .

وهنا نتساءل: هل بربر وارجلان من البربر الذين حاربوا الاسلام؟ أم من الذين تلكأوا عن الدخول فيه؟ أم من الذين طلبوه وجلبوه؟

فرغم بعد الشقة عن المناطق التي مرت عليها جيوش الفاتحين ورغم وجود الفارق اللغوي الذي يفصل البربر عن العرب ويعيقهم عن تفهم كلام العرب. يمكن أن نصنف سكان وارجلان من بين الأصناف التي تفهمت الاسلام بسرعة وجلبته الى منطقتها.

فاذا كان عاصم السدراتي وارجلانيا بالفعل فانّه يعدّ من بين الطلبة الذين ذهبوا الى أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة بالبصرة في بداية القرن الثاني للهجرة لتلقّي أصول الاسلام ومبادئه رواية عن جابر بن زيد الازدي العماني عن عائشة أم المؤمنين عن الرسول صلى الله عليه وسلّم.

ومهما يكن من أمر فان وارجلان لم ينتصف القرن الثاني للهجرة الا وكان الاسلام في ديارها.

3- نظام القبائل بوارجلان :

لقد كان تعدد القبائل بوارجلان مبعث نظام يتميز بالقبلية شأنه شأن المغرب الاسلامي، العربي كله.

فالقبيلة يشرف عليها شيخها الذي ينتخب انتخابا طبيعيا حينما تتوفر فيه المؤهلات الدينية و الكفاءة العلمية، و التضحية.

فالنظام القبلي اذا كان توجيهه اسلاميا يسعى للصالح العام فتكون القبائل آنذاك عبارة عن أسباب تشد وحدة المسلمين. وأما اذا لم توجه الوجهة السليمة تتحوّل الى وسائل هدم وتفرقة.

فبفضل التربية الاسلامية نرى المجتمع الوارجلاني في الفترة المدروسة منقادا للسلطة الروحية فاتحدت كلمته وصارت قبائله مجرد مجموعات يصدق فيها قوله تعالى: " وجعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا انّ أكرمكم عند

الله أتقاكم".(1)

وهذا النظام عادة مايحمل الأعباء الثقيلة خاصة في ناحية التكافل الاجتماعي . فأغنياء القبيلة هم الذين يتكفّلون بإعالة الفقراء المعوزين ، وهم الذين يرعون الأيتام والأيامى والأرامل والمرضى ، ويتكفلون بتيسير مؤونة الزواج بين أبنائهم المحتاجين .

وأما الناحية التربوية فعادة مايخضع أفراد القبيلة الواحدة لشيوخهم وخاصة لما يفرضونه عليهم من وسائل التربية والتوجيه ، وأحسن نظام لذلك هو النظام الذى التزمت به هيئة العزابة ، أخذا من السنة النبوية المطهّرة . وهذا النظام هو نظام الولاية والبراءة .

فالمرتكب لمخالفة دينية شرعية ، كارتكاب الفواحش ، والكبائر أوخالف عرفا تعارف عليه المسلمون ، كأن يعتدى على جاره بالتعالي عليه (2) أو لأى شيء يرى مجلس العزابة تأديبه عليه بالبراءة فتعلن عليه البراءة ويعتزله المجتمع كله ، وحتى أقرب الناس اليه الى أن يتوب أمام الملأ من فعلته .

فهذا النظام الذى استحدثه أبو عبدالله محمد بن بكر سنة 409 هـ لايزال الى حدّ الآن مطبّقا لدى الاباضية ، ويخافه العصاة أكثر من أى عقاب لمافيه من تشهير بالعاصي على رؤوس الملأ .

وهنا يأتي دور القبيلة والأسرة في تحذير أفرادها من الحطّ من كرامتها أمام المجتمع ، فيكون الفرد هنا ملزما لا بالمحافظة على عرضه وشرفه فقط ، بل على عرض وشرف عشيرته وذويه ، وتكون هناك قوّة الزامية تدفعه الى الالتزام بالأخلاق الفاضلة ، ويشعر بالحقارة ان هو جرّ لها مايشوّه سمعتها أو يدنّس

---

(1) سورة الحجرات ، الآية 13 .

(2) ينظر في هذه المواضيع الخاصة بالجار وحقوقه في البناء ، مخطوطة أبي العباس أحمد بن محمد بن بكر في كتابه أصول الأرضين .

كـــرامتهـــــا .

كما تتكــفّل القبيــلة في المجتمع الاسلامي بدفع الديات اذا قتل أحد أفرادها غيــر متعمّد فردا من قبيلة أخرى، عملا بالشريعة الاسلامية .

كما أنها الملاذ في الاضطلاع بمهمة قسمة المواريث وتسوية الخلافات الناجمــــة عنها، وعن المشاكــل العائلية ، من زواج وطــلاق وغيــرها .

وهذا النظام لايزال ساري المفعول مع كــثير من التطوير في المجتمع الاباضـــي بوادي ميزاب ، والذي يعدّ امتدادا للنظام القديــم .(1)

وضمن الحياة الاجتماعية العامة تبرز ظاهرة التعاون التي تدلّ على تماسك وانسجام المجتمــع. فمنذ القديم وظاهــرة العمل الجمــاعــي موجودة، فلقد كانت هذه الظـاهرة ولاتزال بين أفراد المجتمــع تــقام طلبا للأجــر والثواب.

فمن مظاهر هذا التعاون على بناء مسجد ، أو منزل، أو جمع للمحـاصيل الزراعيــة لدى الذكــور ، والتعــاون في أعمال النسيج لدى الاناث، وتقوى هذه الظاهـــرة كلّما كان التآزر والتعـاطف قويّـــا ، وبهذا العمل التعاوني ينجم التعـارف والمحبّــة والوئام وهـــي أسس غايات المجتمــع الاسلامي .

ب) الحيـــاة السيـاسيـة :

1) بعض الآ راء السياسيــة:

لكي نفهم أنواع التصرفات السياسية بين الداخل والخارج وتقلباتها حـــول الظروف والأزمنــة علينا أوّلا استعراض بعض الآ راء السياسية .

---

(1) فنظام العشائر الآن في ميزاب قائم على شكل متطور من دور للاجتماعات والأعراس ومن أنشطة ثقافية، ومكتباته وغير ذلك مما لايسع ذكــره هنا .

للاستفادة ينظر : محمد علي دبوز ، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركــة ، المطبعة التعــاونية (بدون مكان) الجزء الأول ، ص 232 .

لقد وضع الاباضية بنودا سياسية لا يتعدونها يتحرون فيها جانب الحق، اذ أن هذا الجانب من أخطر الجوانب في الاسلام.

وليس من السهل أن يصدر الانسان حكما في هذا الجانب ويبنيه على رأيه الخاص، أو اندفاعه العاطفي، اذ أنه بذلك يعلي من لا يرغب الشرع في اعلائه، وينزل من أراد الشرع اعلاءه، وقد يستحل دماء بريئة بواسطة فكره القاصر، وقد يثير فتنا هوجاء نهى الشرع عن الخوض فيها ولو بالكلمة المؤيدة.

ومن بين هذه الآراء:

- عدم اشتراط القرشية في الحكم، فكل من توفرت فيه شروط الخلافة ولو لم يكن قرشيا أو عربيا أمكن للمسلمين أن يبايعوه بها، وما القرشية الا للترجيح فقط.

فكما بايع الاباضية المغاربة أبا الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، وهو عربي من اليمن، بايعوا أيضا الأئمة الرستميين وهم من أصل فارسي وليسوا عربا على الاطلاق.

- لا تجب الثورة على السلطان المسلم الجائر اذا كانت العواقب وخيمة على سائر المسلمين.

- اذا أغار عليهم عدو من أهل التوحيد وقامت حرب بينهم يمنعون جنودهم من سلب أعدائهم أو سبي نسائهم أو قتل ذراريهم أو غنيمة أموالهم لأنها حق لورثتهم ما خلا الكراع والسلاح (1) ولا يجهز على جريح ولا يتعقب مدبر.

كما أن خطبة أبي حمزة الشاري (2) تبين لنا بوضوح موقف الاباضية من غيرهم

---

(1) ينظر: رجب محمد عبد الحليم، الاباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم باباضية عمان والبصرة، مطابع النهضة، مسقط، 1410 هـ/ 1990م، ص 63.

(2) الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد، طبقات المشائخ بالمغرب، تح ابراهيم طلاي، مطبعة البعث ـ الجزائر (بلا تاريخ)، ج 2.
يصنفه الدرجيني ضمن الطبقة الثالثة، الطبقات، ص 285.
واسمه الحقيقي المختار بن عوف بن سليمان بن مالك بن فهر الأزدي. ثار في وجه الأمويين في عهد مروان بن محمد وافتك منهم المدينة ومكة.

حيث يقول فيها : " الناس منا، ونحن منهم، الاّ مشركا عابد وثن ، أو كافرا من أهل الكتاب، أو اماما جائرا " (1) وقال أيضا : " الناس منّا ، و نحن منهم، الاّ ثلاثة : حاكم بغير ما أنزل الله ، ومتبع له ، وراض بعمله " (2).

أما الرسالة التي وردت الى الامام طالب الحق قبل خروجه على الظالم فنفيها :
" اذا خرجتم فلا تغلوا ولا تغدروا، واقتدوا بسلفكم الصالحين ، وسيروا سيرتهم، فقد علمتم أن الذى أخرجهم على السلطان العبث لأعمالهم " (3)

وللاباضية تفكير سياسي اسلامي شامل لجميع الحالات التي قد تعترضهم ما بين حالة قوّة الى حالة ضعف، ووضعوا لذلك منهجا سياسيا سمّوه مسالك الدين .

2) <u>مسالك الديــــن :</u>

مسالك الدين أربعة :

أ- <u>امامة الظهور :</u> وهذه الحالة هي أقوى الحالات وذلك فيما اذا أنسوا من أنفسهم القوة لاقامة دولة اسلامية بكامل أوصافها، فيقدمون على أنفسهم اماما ويبايعونه على أن يقيم حدود الله ، وأن يعمل بالكتاب والسنة، وهذه الحالة اقتداء بعمل الرسول صلى الله عليه وسلم بعد هجرته الى المدينة واقامته دولة الاسلام .

---

(1) قال هذه الخطبة : أبو حمزة المختار بن عوف حينما دخل المدينة سنة 130هـ وهي خطبة طويلة .ينظر لذلك :
- سالم بن حمد بن سليمان بن خميد الحارثي ، العقود الفضية في أصول الاباضية ،دار اليقظة العربية ،سوريا ولبنان (بلا تاريخ)، ص 205 .
- الدرجيني ، طبقات ، ج 2 ، ص 267 .

(2) الدرجيني ، طبقات ، ج 2 ، ص 269 .

(3) هو عبدالله بن يحيي الكندى ، من حضرموت ،استشار أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة في الخروج فقال له: " ان استطعت أن لا تقيم يوما واحدا فافعل " ، ثار بحضرموت، فبويع فيها سنة 129 هـ .
ينظر : - سالم بن حمد الحارثي ، العقود الفضية ، ص 188 .
- د . عوض محمد خليفات، نشأة الحركة الاباضية، مطابع دار الشعب ، 1978م ، ص 119 .

ب- امامة الدفـــاع: وقد يكون هـذا النوع مباشرة بعد سقوط امامة الظاهـــور، وقد يكون بعدها لمدة طويلة وهذا في حالة وجود حكم متسلط أرادوا تغييره و اقامـــة حكـــم اسلامـــي . وهذا مافعله ابوحاتم الملزوزي بطرابلس بعد سقوط امامة أبـــي الخطاب عبد الأعلى بن السمح .

جـ - الشـــــراء: وهو أن يحاول أربعون رجلا - لاأقل - تغيير المنكر فيشرون أنفسهم للـه - أي يبيعونها - ولا يحقّ لهم الرجوع عمّا عزموا عليه ، فهـــؤلاء طبعا مآلهم في أغلب الحالات الفناء لأن قوّة السلطان أقوى منهم ، ولكن يكـفـــي تعبيرهم كاذلال للسياسة الفاسدة ، وتعبير عن عدم الرضى لما تقوم بـه .

د - الكتمــــان: وهو ماكان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم في مكـــة قبل الهجرة الى المدينة . ففي حالة عدم التمكّن من اظهار أى نظام، أو مســلك من المسالك المتقدمة ، لا يحقّ للمسلمين أن يستكينوا، ويخمدوا ، و يتركوا، ما يمكــن أن يحافظوا عليه من مقوّماتهم الاسلامية أمام أهواء الحكّام ، اذ أنه يمكنهم تطبيق مايمكن تطبيقه من الأحكام الشرعية في كتمان دون اقـــامـــة الحدود، اذ أن هذه من اختصاصات الامام وحده في حالة الظهور.

ومن هذه الانواع الأربعة لم يتحقق منها في وارجلان الاّ الدفاع والكتمان، أما الظهور فقد كـفتها مؤونـة ذلك تاهرت أيام قيام الدولة الرستمية، وبعـــد سقوطها دخلت وارجـلان والمناطق التابعة للدولة الرستميـة كلها مرحلة الكتمان، وحاولت استحداث امامة الظهور في هذا الظرف بالذات ، وحاولت مبايعة الامـــام أبي يوسف يعقوب بن افلح حينما حلّ بها فارّا من تاهرت فأبى ذلك وقـــال كلمته المشهورة: "لايستتر الجمل بالغنم" ويقصد بذلك عدم امكان الوارجلانييـــن حماية الدولة مع ترصّد العدوّ، و فعلا كان ماتوقّع، فلم يستطع الوارجلانيون الثبات أمام العبيديين الذين خرّبوا وارجـلان اثر وصول الرستميين اليها مباشرة .

و تخلل كامل حقبة الكتمان بعض الثورات ،حيث تصدى فيها الوارجلانيـــون للظلم وبايعـــوا فيها أئمة للدفاع منهم أبو خـــزر يغلى بن زلتـــاف

الوسياني ضد الفاطميين سنة 358 هـ / 968م (1) وأبا العباس أحمد بن محمد ابن بكر ضد عنان بن ديلم المطرفي سنة 502 هـ/ 1108م (2) .

السياسة الداخلية بوارجلان

بفضل حرص العلماء على تكوين مجتمع مثالي متكامل، ظهرت آثار ذلك الحرص على الناحيتين الاجتماعية والسياسية على السواء .

كما أن للمجتمع أيضا الفضل بعد ذلك بما أولاه من طاعة لأهل الحلّ والعقد من أئمته وذلك اعترافا لجميل تربيتهم الاسلامية وحسن رعايتهم .

فهذه الطاعة منهم من جهة وحسن الرعاية من جانب مشايخهم، وساستهم من جهة أخرى ، أزالت مظاهر الحكومات من شرطة وقصور ، وحجابة ، وسجون، وجلادين، وعيون، وقوانين وضعية هامشية ، فلا تسمع بحكومة أجنبية عنهم استقرت هناك ، الاّ ماكان من مرور بعض القادة العسكريين المتسلّطين عليهم في فترات متقطّعة على سبيل الغلبة والقهر ، اذ أن المتكالبين على الحكم في توسّعاتهم قد تمتدّ أياديهم لتصل اليهم بين آن وآخر، وقد تخضع المنطقة الوارجلانية لهؤلاء ، فتدفع لهم الاتاوات ، والضرائب، ولكن الخضوع الأدبي والطاعة لايكونان لهم بل لمشايخهم وعلمائهم، وذلك لأن هؤلاء المشايخ كان اعتلاؤهم لمنابر السلطة الروحية برضى الجميع لما يتوفّرون عليه من الورع، والتقوى، واخلاص العمل لله .

الى جانب العلماء نرى أن أغلب الشعوب خاصة العربية والبربرية تخضع الخضوع المطلق لرؤساء قبائلها، اذ أنّها تمثّل السلطة العائلية، فلكل قبيلة شيخ ترشّحه لزعامتها، اذا توسّمت فيه مخايل النجابة والزّعامة، فاذا كان لديها

---

(1) الدرجيني ،طبقات، ج 1، ص 128 .

(2) الوسياني، سير، مخ ،و ، ص 37أ .

الثميني : عبدالعزيز بن ابراهيم، التكميل لبعض ماأخل به كتاب النيل ،صححه ونشره محمد بن صالح الثميني ، مطبعة العرب ، تونس ، 1944م، ص ن .

علماء رشّحت منهم ، والاّ فمن ذوى الرأى والمشورة ، واذا اتفقت هذه الزعامات وتآخت بينما رشّحت زعيما قويّا يجمع كلمة القبائل، و يكوّن منها مجموعة مهابة الجانب .

ولذا فانّ مفهوم وجوب ايجاد حكم دولة أو هيمنة خارجية في جميع الأزمنة، مفهوم خاطئ لا أساس له من الصّحة مع هذه المجتمعات ذات الحكم القبلي .

فالمغرب العربي خاصة جنوبه حكمته شعوبه أكثر من الحكام الذين أتوا من هنا وهناك .

ولقد أهملت المصادر التاريخية الاباضية الجانب السياسي بوارجلان الاّ ماندر من اشارات تكتشف بين طيات الكلام العام .(1)

ونرجّح أن يكون الحكم قبليا في أغلب المراحل سواء قبل الاسلام أم بعده ، كما أنها أثناء قيام الدولة الرستمية كانت تابعة لحكمها وذلك بحكم ارتباطها برباط المذهب ، فالمذهب الاباضي بوارجلان كان سابقا عن تاريخ نشأة الدولة الرستمية، ولهذا كان الاندماج عفويا و طواعية .

ومن بين المناصب التي كانت بوارجلان ابّان وصول الامام أبي يوسف يعقوب بن أفلح ما سمّته المصادر بـ" أعيان وارجلان و أكابرها " و يبدو أن هذه التسمية لاتتنافى وتسمية " السولاة " التي ذكرت بعدها ، فلقد وردت هذه التسمية في عهد أبي عبد الله محمد بن بكر (ت 440 هـ / 1049م) حيث ينقل ليفتسكي (2) عن النسخة الوافية للطبقات عنده أن بوارجلان ثلاثة وعشرين "متوليا" ، ونفهم من هذا الكلام أنهم متوزّعون على القرى المجاورة لها، وذلك

---

(1) لعل العثور مستقبلا عن تاريخ ابي يعقوب ، والشيخ سليمان بن داود السدراتيين والمخطوطات التي أخذها طارى ، سيوضّح الكثير عن تاريخ المنطقة .

(2) لقد نقل ليفتسكي هذه المعلومات عن مخطوطة طبقات الدرجيني الوافية ضمن مجموعة سموجورز فسكي تحت رقم 275 ، ولاتوجد في نسخة طلاى .
ينظر : T.LEWICKI, Etudes..., T.II, p. 87 .

استنادا لما ذكره أبوزكرياء في سيرته ، حيث أنه اقتصر على ذكر الشيخ أبي عبد الله محمد السدراتي كوال على مدينة وارجلان في نفس الفترة بالذات. (1)

وفي هذه الفترة أي في عهد أبي عبدالله محمد بن بكر في سنة 409 هـ/1018م يستحدث نظام العزابة، وحسبما يفهم من الشيخ أعزام: " أن شيخ العزابة هو الذي يلي الأمور كلها الدينية والسياسية ، وأن [redacted] هيئة العزابة هي السلطة العليا، وهي مؤلفة من اثني عشر نفرا، ومنهم أربعة هم أصحاب الحلّ والعقد، والجاني على الديانة الاسلامية والمتمرّد على المذهب الاباضي يهجرونه باشهاره أمام الخلائق في المسجد ، ويكون بعد ذلك طريدا، لا يؤاكلونه، ولا يجالسونه ، ولا يخالطونه، ولا يقبلون صدقته ، وان مات على ذلك مات عاصيا في حكمهم لا يغسلونه، ولا يحضرون جنازته . . ." (2)

ومن هذه الكلمات يتبين لنا نوعية الحكّام، وفي آن واحد طريقة معالجة المجتمع في النواحي الاجتماعية والسياسية والدينية . وقد نجحت بدل القهر والسجون ، فحكم هؤلاء مجتمعهم بهذه الطريقة ، فدامت لهم السلطة ، ولو تواجدت سلطات أخرى حاكمة غيرها .

(1) الورجلاني : ابو زكرياء يحي بن أبي بكر ، كتاب السيرة و أخبار الأئمة ، تح : عبدالرحمن أيوب ، المطبعة العربية التونسية — تونس ، 1985، ص 259 .

(2) أعزام ، غصن البان ، مخ ، ص 157 .

السياســـة الخــارجـــية

تعد وارجــلان العاصمة الثانية لاباضــية المغرب الأوســط بعد سقوط تاهــرت عاصمــة الدولة الرستمــية .

فقد شعر بذلك الموالون، والمعادون ، فمثــلما كانت ملاذا للفارين من الاباضيــة من شتى الجهات ، كانت مثار خوف وقلق للعبيديين، والموحدين، والمرابطيـــين من جهـــة أخرى .

فلقد وقــع بالفعل كما رأينا طلب من الأهالي لتكوين دولة في وارجلان بامامة أبي يوســف يعقوب بن أفلح ، ولولا رفضــه لتكــوّنــت، ولكن الامام أبا يوســـف توجّــس خيــفة من ضـــربات العبيديين .

وبالفعل ما ان استــقرّ الرستميون الفارون، حتى شنّ العبيديون الغارة عليهـــم فعاثوا في وارجــلان فسادا ، واستبعدوا بعدها كل فكــرة تنادي باقامــة دولـــة فيهـــا .(1)

<u>علاقة وارجـــلان بجيرانها</u>

اذا عددنا وارجــلان بمثابة دولة مستــقلّة تحكم فيها السلطة الروحيـــة والدينـــية ، وغير تابعة فعليا لأية دولة بعد سقوط الدولة الرستمية، نجد علاقتها علاقــة دفاع لأسباب كثيــرة :

<u>أولا :</u> كــونها مدينة صحراوية غنــية بفضــل تجارة السودان والذهب المتدفق عليها، وغنــية بنخيــلها، ومياهها، فصارت تحــافظ على هذه الخيرات .

<u>ثانيا :</u> كون الحكام المتمثلين في الهيئة الدينية من العزابة والعلماء الذين يرون فــي

---

(1) تاديوش ليفتسكــي ، الاباضيـــة، (بحث مرقون) ، عن دائرة المعارف الاسلامية، تر/ بكــوش، يحي ، ص 31 .

الهجوم على الجوار بدون موجب شرعي شيئا مخلاً بالدين والأخلاق .

وهذه الطيبة المتناهية مع عدم استحداث جيش نظامي ، دفاعي دائم ، سواء أكان ذلك في عهد الدولة الخطابية ، أم الدولة الرستمية ، أم في وارجلان ، مع تشددهم في حرمة أموال المسلمين ودمائهم كل ذلك جرّأ عليهم غيرهم فاستأسدوا عليهم و شنّوا عليهم الغارات تلو الغارات .

وبهذا نجد المواقف السياسية الخارجية لوارجلان تنقسم الى قسمين :

1- مواقف حيادية في حالة عدم اقتناعها بمشروعية الحرب .

2- مواقف دفاعية في حالة هجوم العدوّ عليها أو على المتحالفين معها .

1) السياسة الحيادية:

كان موقفها الحيادي أزاء ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد لكونه قد غيّر وبدّل ، واستحلّ أعراض المسلمين و أموالهم .

ولأهمية هذه الثورة التي غيّرت مجرى الأحداث يحسن بنا أن نتناولها بشيء من التفصيل .

ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد وعلاقة وارجلان بها :

أبو يزيد و أعماله :

هو أبو يزيد مخلد بن كيداد - أو كيراد - أبوه من سكان تقيوس (1) ارتحل أبوه الى السودان فاشترى أمة تدعى سبيكة فولدت له مخلد أعرج ، وذلك في مدينة كركوا ثم رجع به الى تقيوس (2) وصار يتردد به بينها و بين توزر

---

(1) تقيوس بلدة بقسطيلية (جنوب تونس) .

(2) ينظر: القاضي ، مخطوطة (بلا عنوان) ، ورقة 31 .

حتى حفظ القرآن الكريم ، و تعلم الآداب ، وصار يعلم الأطفال .

ثم مال بعد مخالطته النكار الى مذهبهم (1) و ترك الوهبية ، وبعد رجوعه من الحج سنة 310 هـ/ 922م أعلن الثورة على العبيديين ، وكان على رأسهم القاسم ابن عبيدالله ، فقويت شوكته و ألحق بالعبيديين الخسائر تلو الخسائر و كاد أن يقضي عليهم (2) الآ أنّ اسماعيل بن القاسم المهدي الملقب بالمنصور استطاع أن يهزمه شرّ هزيمة رغم كثرة جنده ثم قبض عليه ، وقتله صبرا سنة 336هـ/ 947م وسلخه وحشا جلده تبنا . (3)

وبعد موته طلب ابنه الفضل من المزاتيين تسليم المشايخ أبي خزر يغلى ابن زلتاف وأبي القاسم يزيد بن مخلد الوسيانيين على أنهما من بني عمومته (4) لعله يريد الانتقام منهما لعدم نصرتهما لأبيه ، لكنهما لم يستسلما فجنّدا الأجناد وحارباه وانتصرا عليه و فرّ من وجههما منهزما .

<u>موقف وارجلان من أبي يزيد مخلد بن كيداد :</u>

بعد أن ظهر عداء العبيديين فعليا على وارجلان وتخريبهم لها واجتثاثهم لنخيل واحاتها ، كان منطقيا أن تساند أعداء العبيديين الذين يوجدون على الساحة السياسية آنذاك .

ولعل أبايزيد كان أسبق من أعلن الثورة على العبيديين الفاطميين ، وأعلن جهاده ضدّهم ، خاصة وأنه ظهر على الساحة في ظرف عاث فيه الفاطميون فسادا ، سواء ضدّ السنيين الذين استصدروا فتواهم للانضمام الى أبي يزيد و قتالهم

(1) ابن خلدون ، تاريخ مج 7 ، ص 26 ـ 27 .

(2) ابوزكرياء ، السيرة ، ص 168 .

(3) ابن خلدون ، تاريخ ، مج 4 ، ص 82 ـ 92 .

- L. RIVAL , " ABOUYAZID L'homme de l'âne ", <u>Encyclopédie d'Outre Mer</u>, Janvier 1957, nº 77, pp. 13-14 .

(4) ابوزكرياء ، السيرة ، ص 176 .
أبويزيد الثائر يفرني ، والمشائخ من بني واسين ينتسبون جميعا الى بني تيجرت .

الفاطميين(1) أوضد القبائل البربرية بالجريد و أريغ ووارجلان ثم تغير موقف الاباضية الوهبية من أبي يزيد، وانصرفوا عن نصرته وذلك لارتكابه أبشع الجرائم من القتل، واستباحة الأعراض، و لم يجد سندا لذلك الأمن النكار. وفي ذلك قال الشيخ ابو القاسم " لقد فتح فيهم ابو يزيد بابا الا أنه لم يحسن السيرة " (2)

غير أن التجاءه الى وارجلان بعد فراره من السجن سنة 325 هـ/ 936م كان من قبيل الاحتماء بالمدينة الحصينة، فمكث بها سنة يختلف بينها وبين جبال الأوراس حيث القبائل الزناتية (3) وحيث قوم من هوارة يقال لهم بنو كملان. (4) وقد سمي من بايعه بالمزابة (5) واستعجله هؤلاء لطلب الثأر لابن فندين.

و هنا قال له أحد شيوخ قبيلة "مزاته" لاتظن أن الوهبية خرجوا معك فانهم في مساجدهم، وانما خرجنا معك نحن نشاركك في أكل الميتة.. يريد بالميتة الأموال التي كانوا ينتهبونها " (6)

وينكر عليه الدرجيني وهو مؤرخ اباضي أعماله التي قام بها رغم أنه حارب العبيديين أعداء الاباضية، ينكر عليه أعماله التخريبية من سبي للنساء، واستباحة للأموال ويعد ذلك من أعمال الأزارقة وغيره من الخوارج.

---

(1) د. احسان عباس مصادر ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد، مجلة الأصالة، الجزائر، عدد 41، جانفي 1971م، ص 32.

(2) ابو يعقوب يوسف بن ابراهيم الوارجلاني، كتاب الدليل لأهل العقول لباغي السبيل، بنور الدليل لتحقيق مذهب الحق بالبرهان والصدق، المطبعة البارونية (ط حجرية) مصر. ابو زكرياء، السيرة، ص 173.

(3) ابن خلدون، التاريخ، مجلد 7، ص 27، 106، 107.

(4) القاضي ابو عبدالله محمد بن علي بن حماد، مخطوطة (ناقصة المعلومات) ورقة 32.

(5) هذه التسمية سابقة لنظام المزابة المؤسس سنة 409هـ من طرف ابي عبد الله محمد بن بكر النفوسي، وقد ارتكب هؤلاء من الأعمال ما يجب التنبيه له حتى لا يلتبس الأمر بالنظام الآتي فيما بعد. ينظر: أبو زكرياء، السيرة، ص 173.

==

وأنه خرّب ثلاثين ألف قرية في افريقية و فعل مالم تفعله الفراعنة.(1)

2) السياسة الدّفاعية :

أما موقف وارجلان ازاء كل هجوم شنّ عليها أو على من استنجد بها نذكر ثورة الوسيانيين على سبيل المثال .

علاقة وارجلان بثورة الوسيانيين: أبي خزر ، وأبي القاسم .(2)

لقد وقفت وارجلان في وجه الشيعة بكل ما أوتيت من قوّة . فنشاط أبي القاسم يزيد بن مخلد ، وأبي خزر يغلى بن زلتاف لم يكن بعيدا عن تأييد اباضية وارجلان، كما أنه لم يكن بعيدا عن ترصّد الفاطميين له .

غير أن الفاطميين كانوا أسرع الى إخماد النّار التي بدأت تتّقد ، فأمر الخليفة المعزّ بقتل أبي القاسم، وسجن تلميذه أبي محمد ويسلان بن يعقوب المزاتي .(3)

لكن الوالي بالحامة تساوف عن قتله، و أوعز له بالسفر الى الحج ، أو إلى وارجلان تلميحا ، ولكن عدم فهم أبي القاسم لمايحاك ضدّه أوقعه في شراك العبيديين فقتلوه .

فعظم ذلك على أهل الدعوة، فثار زميله أبو خزر فاستنجد بالاباضية في طرابلس ، وجربة ، وبني أمية بالأندلس.

غير أن أغلب هؤلاء لم يكونوا على أهبة الحرب ، فالنفوسيون كانوا قد أنهكتهم معركة مانو (4) فنالهم منها كل ضعف.

أما أهل جربة فاستجابوا للنداء والثأر ، الآما كان من أبي صالح اليراسيني فانه

---

(1) الدرجيني ، طبقات ، ج 1 ، ص 100 ، 101 .

(2) عاشا في النصف الأول من القرن الرابع الهجرى ، ينظر: عوض خليفات ، النظم الاجتماعية والتربوية عند الاباضية في مرحلة الكتمان، ص 21 .

(3) عوض خليفات ، م .ن ، ص 23 .

(4) معركة مانو : وقعت بين ابراهيم بن الأغلب والنفوسيين سنة 283هـ/ 896م خسر فيها النفوسيون اثني عشر ألف رجل من بينهم أربعمائة عالم .

فانه كره ذلك. (1)

أما أهل أريغ ووارجلان فقد خرجوا في قوة عظيمة غير أن أباخزرلم ينتظر وصول هذه الامدادات الأخيرة ، فقد اجتمعت لديه قوّة مزاته من خيل وسلاح وعقدت له الولاية على الدّفاع فكان بهذا أول امام عقدت له الولاية على الدّفاع بعد سقوط إمامة تاهرت. فحاصر بجيشه باغاى و قتل واليها طهان ، وفي 23 شوال 385هـ/ 995م تغلب أبو تميم على أبي خزر، وكان حلول امداد أريغ ووارجلان بأفودان يطالا (2) متأخرة حيث وجدت أنباء الهزيمة فكسّرت راجعة.

علاقتهما بدول الشمال:

تذكر المصادر التاريخية من بين الهجمات التخريبية قصد الاستيلاء على طريق الذهب هجوم ابن السلطان الحمادى الناصر سنة 468 هـ/ 76- 1075م ، ثم هجوم ابن غانية الميورقي على شمال افريقيا وبالأخص على وارجلان وسدراته سنة 626 هـ/ 1229م.

وأعزت الكاتبة الفرنسية مادلين رفيلوا بريفول R.B.MADELEINE ذلك أيضا الى غنى وارجلان وسدراته وأن ذلك ضريبة اليسار. (3)

وعادة مايلجأ المخرّبون حينما يستحلّون أموال الناس أولا الى سرقة ماخفّ وزنه وغلا ثمنه، ثم يتلفون ماغلا ثمنه ، وتعذّر نقله. ولقد فعل ذلك الميورقي فبعد النهب والسلب ، هدم الديار، واجتث الأشجار وغور الآبار والعيون وخاصة عين الصفا.

---

(1) ينظر: الدرجيني ، طبقات ، ج 1 ، ص126.

(2) يحدده الدرجيني بمسيرة نصف نهار من باغاى.
الطبقات،ج 1 ، ص130.

(3) -R.B.MADELEINE, Le Pays de Ouargla... Paris 1975,P. 20 .

فقضى على مدينة سدراته قضاء نهائيا ، و خرّب وارجلان و تركها قاعا صفصفا ، و توزّع الفارون من سكان المدينتين اثر ذلك على ميزاب ، ووادى ملوية وتلمسان .

وهذا يؤدى بنا الى وقفة تأمّل بين مافعله الشيعي أول الأمر و مافعله الميورقي آخر الأمر . (1)

نفضل ماذكره الدكتور فخار ابراهيم في رسالته من تحليل لأعمال الشيعي نجد عمله ليس تخريبيّا فقط بل غرضه الاستيلاء على ذهب السودان ، وغلق طرق التجارة في وجه أعدائه .

نلاحظ هنا نفس الملاحظة بعد استنطاق الوثائق التاريخية تخلص الى احتمالات قد تصل التّصديق الى حدّ بعيد .

لقد عرف الميورقيون طرق التجارة ومسالكها الى بلاد السودان ، وعرفوا المدن التجارية بدقّة متناهية .

لقد كانت هناك علاقة وثيقة بين تجّار ميورقة والسودان هو أقدم من تفطّن لتجارة السودان وذهبها الجنس اليهودى .

والهجرات اليهودية الى توات ، قديمة ، منها ماهو قبل ميلاد المسيح ، ومنها ماهو بين القرن الثاني والسادس الميلاديين قصد الاتجار فيها . (2)

وبرواج تجارة الذهب وطلب الأوروبيين لها تركزت تجارة اليهود في تمنطيط بتوات .

---

(1) لقد أخطأ الشيخ أعزام في مخطوطه غصن البان حينما أعاد نفس القصة ، وحيلة ايهام العدوّ بوجود الماء في عهد الميورقي وهي نفسها التي ذكرها الدرجيني في عهد حصار الشيعي ، وماذكره الدرجيني هو الأصحّ . قارن المخطوطة غصن البان ص 53 ـ 54 بما ورد بطبقات الدرجيني ج 1 ، ص 95 .

(2) مقال بالفرنسية JAMEL MUKHANCHI, " Eléments de l'Histoire de Touat ", REVUE PARCOURS MAGHREBINS, Mars 1987, Alger , № 6 , P. 96 .

وبعد استرداد جزيرة ميورقة من طرف الأسبان وجدوا فيها مدرسة خاصة تهتم برسم : خرائط للطرق التجارية ، وكانت المعلومات بالطبع تأتي من يهود تمنطيط وتمبكتو .

ومن بين هؤلاء (انجلينو د يلكرت ANGELINO DULCRET سنة 1339م من يهود ميو رقة .

وأجمل وثيقة تحتوى على رسوم هي ل MERCIA VILLA DESTES سنة 1413م وهي لاتحتوى على طريق سجلماسة إلى تمبكتو عن طريق تمنطيط فقط بل تونس عين صالح ـوانقارا . (1)

و تعطى لنا هذه الأعمال و تواجد اليهود قديما في توات و علاقاتهم بيهود ميورقة صورة واضحة عن معرفة كل الخبايا ، عن أسرار المسالك و أما كن وجود الذهب .

وليس بعيدا أن الميورقيين من أصحاب ابن غانية قد استفادوا من المعلومات التي تحصل عليها يهود ميو رقة من توات . وكان من الاستراتيجية الحربية والاقتصادية ضرب مدينة بجاية أولا سنة 581هـ/ 1185م بالاستعانة بقبائل جشم ، و رياح ، والأثبج من الهلاليين .(2)

وضرب المسالك الشرقية كلها الى وارجلان ، أى مابين الميناء الشمالي وهو بجاية ، ووارجلان وسد راته الجنوبيتين ، للتحكم فى طرق القوافل كلها .

غير أن الشيخ أعزام لم يجد لذلك تعليلا ، الآ أن يكون غلاّ يريد ابن غانية وراءه الاستيلاء والاستبداد ، وإنه لم يقصد وطنا دون وطن آخر ، بل قصد افريقيا كلها .(3)

---

(1) - ALFRED WEYER, HENRI LHOTE , Sahara ,Editions Géogra--phiques, Berne, 1980, pp. 195 - 196 .

(2) ابن خلدون ، تاريخ ، مج 6 ، ص 45 .

(3) أعزام ، غصن البان ، مخ ، ص 54 .

الفصل الثاني
العمارة الإسلامية بوارجلان

العمـــارة الاسلامية بـوارجــلان

مثلماكانت البيئــــة الصحراوية القاسية تفرض نفسها على الجانب العمراني ، مثلما كانت البيئة الاقتصادية تلعب دورهـا فقرا وغنى في التأثيــرعلى الأكــــواخ والقصــور ،كانت العقيدة الاسلامية المتأصّــلة قد تركـت بصماتها الواضحــــة على المباني وبساطتها ،وعلى الاسوار وارتفاعها ،أو انخفاضها ،و على فتح النوافـذ أو طمسها ،و على اتجاه الشوارع طولا وعـرضا .

فلعاهتمام العلماء بحقوق الجيران ، وحقوق الشارع ، ومكانة المسجد ، وضـــرورة الدّفاع عن الدّين ،والنفس ، والعرض ، والمال .

كان لذلك الأثركلّـــه سواء أكان ذلك بتأليــف الكتب في هذا المجـــال ، أم بالاشراف على مراقبة ماتعارف المسلمون عليه .

ومن أهمّ ما صدر من أبناء منطـقة وارجـلان كتـاب أصول الأرضين في ستـــة أجـــزاء في العمارة لأبي العباس أحمد بن محمد بن بكـر (ت 504هـ/1110م).(1)

ولاشك أن الاباضية عامة و أهـالي وارجــلان خاصة من علماء ، وعامة ، قـــــد التزموا بالأعراف التي تعارفوا عليهـا وهي المنبثقة من الشريعة الاسلامية كمـــــا أسلفنا .

فيمكـن بنظرة بسيطة الى الوضــع العام لأي مدينة أن نعرف أنها مدينــــة اسلامية ، أو مسيحيّــة ، أو وثنية أو غيــر ذلك .

---

(1) ينظر : فصــل الحياة الفكـرية (عن ترجمته) .وكتابه لايزال مخطـوطا وتعتزم جمعية التراث بالقرارة على تحقيـــقه وطبعه . وهناك مخطوط للشيــــــخ اطفيش قطب الأئمة في موضوع العمارة لايزال مخطوطا ، يوجد بمكتبتـــــه ببني يزجن . كما صدر كتاب التكمـيل لما أخلّ به كتاب النيل في الموضـــوع أيضا للشيخ الثمـيني .

ز - المخطط العام للمدينة :

حسب الملاحظ يبدو أن المساجد العتيقة والتي تكون عادة هي نـــواة المدينـــة تكون هي التي قد أثرت على اتجاه الشوارع الرئيسية، فلا تكاد تنحـــرف عن اتجاه الجدران الجانبيـــة للمسجد، فهي تكون متوازيـــة للجدار القبلي مـــن الشمال الى الجنوب تقريبـــا، وللجدران الجانبية له من الشرق الى الغرب تقريبـــا - بل ان عامل الاتجاه الى القبلة قد يكون له تأثيـــر حتى على المنازل فقلّما تجـــد منـــزلا في المدن الاسلامية - منحرفا يمنة أو يسرة عن القبلة خاصة اذا لم يتحكّم فيه عامل من عـــوامل الطبيعـــة القاهرة، أو عامل حضارى جديـــد . وبالتالي فهذا يؤثـــر على أسواره الخارجية وعلى الشارع بالتّـــبع.

وتتـــفرع عن الشوارع الأصـــلية الأزقـــة الضّيـــقة، ويتحكّم في سعـــة الطريـــق وضيـــقه نوعية استعماله فالطريق الذى يسلك منه الحجاج في مواكـــبهم، و المـــواشـــي الى مرعاهـــا، و منابـــع المياه، يتســـع حتى يصل الى أربعين ذراعا، بينما يضيـــق الى ثلاثـــة أذرع حينما يكـــون خاصا للراجلين فقط. (1)

فحينما زار هنرى دوفيريي HENRI DUVEYRIER وارجلان سنة 1905م لاحظ ضيـــق شوارعها، وعلوّ جدران منازلها، وخلوّها من النوافذ المكشـــوفة . ولاحظ الى جانب ذلك كتابات تنمّ عن انتماء اسلامي ظاهر، ومنها على سبيل المثـــال كتابة "لاإله إلاّ اللّـــه" أو "نصر من اللّه"، وبوّابات مؤطرة برسوم مزينة ببيض النّعام (2) فحتى لو كانت هذه الزيارة حديثة العهد، فملاحظات صاحبها تقدّم صـــورة عن المـــاضـــي، وعن الانتماء الحضـــارى . فريش النّعام كان يدل في العهـــد القديـــم

---

(1) أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر، أصول الأرضـــين، مخ ص 312 .
الثمـــيني، التكمـــيل، ص 203 .

(2) ينظر: HENRI DUVEYRIER , Sahara Algérien et Tunisien, p. 23 -

على غنى الأسرة وسعادتها، كما تدلّ الكتابات على أصالة الاسلام عند السكّان .

ومن الملاحظ أن ضيق الشوارع سواء أكان في وارجلان أم في قرى ميزاب يساهم في اعطاء كميّة كبيرة من الظلّ فصلي الصيف والدّفء في الشتاء .

وخلوّ أسوار المنازل من النوافذ كان الدّافع إليه مراعاة حرمة العرض والسّترة اللاّزمة، غير أن التفكير في المحافظة على هذا الجانب لم يمنع العلماء المسلمين وهم رجال الهندسة المعمارية في ذلك الحين أن يفكّروا في تعويض التهوية، والنور داخل المنازل .

وتؤدى السقائف بالنسبة للشوارع دورامهما مع البيئة القاسية، فهي تشكّل مساحة من الظلال يلجأ اليها المار في الهجير هروبا من أشعة الشّمس وحرارة الأرض . كما أنّها تمثّل حاجزا للرياح فتخفّف من سرعتها، وتنقص من رمالها .

والملاحظ أن دكّات الجلوس غالبا ماتكون تحت السّقائف وتكاد تنعدم في الأماكن المكشوفة للشمس والرياح ، وكما تكون مكانا خاصا لجلوس المرهقين والعجزة، وتصلح أيضا لتجمّع أعيان البلد مثل " سقائف سيدى " وتشتهر بجلوس السلاطين فيها .

وبالمقارنة الى قرى ميزاب المتأثرة بهندسة وارجلان نجد أن هذه القرى انتبهت الى العنصر الحيوى وهو الماء فاستحدثت آبارا داخل الأسوار تحسّبا لموادى الزمان،وقد يصل البئر في بعضها الى عمق تسعين دراعا أو أكثر(1) ، ولكن هذه الظاهرة تكاد تنعدم في وارجلان ، خاصة وأن وارجلان

---

(1) هذا مقياس بئر قاسه دوفيرى في القرارة داخل أسوار المدينة في رحلة اليها سنة 1859م .

- HENRI DUVEYRIER , Voyage dans le pays des Béni mzab / LE TOUR DU MONDE , 2e semèstre,(1861) , p. 182. ينظر :

أشدّ حرّا في الصيف. غير أننا نجد اشارة لدى ليتيو LETHIELLEUX الى اتجاه ساقية وسط نفق تحت الأرض آتية من سدراته الى وسط مدينة وارجلان، علما بأن المسافة بين مدينة وارجلان ومدينة سدراته تربو عن أربعة عشر كيلو مترا .

وربما كانت هذه الساقية توزع مياهها على الدّور، وليس الغرض منها أن تسقي الأجنّة فقط ، علما بأن الرستميين طبّقوا هذه الطريقة في تاهرت فأرادوا تطبيقها حينما حلّوا بسدراته ، على سدراته ووارجلان ولكن الاشكالية هي كيف تستغلّها وارجلان وقد غاص هذا النّفق إلى عمق مايقرب من أربعة أمتار . والجواب نجده قد شدّ انتباه الباروني أيضا في مياه تاهرت ، وتاهرت تعلو عن مستوى المياه أيضا ، فقال دون أن يتوصل الى سرّ ذلك أن الاباضية عرفوا ذلك أيضا في زواغة بطرابلس، وأن للرستميين تضلّع في العلوم الرياضية لا يصعب عليهم ذلك (1) وربّما سيتّضح ذلك مستقبلا فيما اذا أجريت بعض التنقيبات (2) من طرف ذوى الاختصاص .

اصلاح الطرقات :

يرى أبو العباس أنه على النّاس أن يقدّموا مصلحة الشارع كنزع التراب عنه ولو لم يصلح لهم، أو لا يفعلوا ذلك اذا اقتضت مصلحة الشارع عدم فعله ولو يصلح لهم . هذا اذا كان الطريق عاما ، أما اذا كان الطريق خاصا لبعض الناس، فان الأمر يختلف (3) . كما يضع أبو العباس ضوابط للميزاب ، فمن أراد أن يحدث

---

(1) سليمان بن الشيخ عبد الله الباروني النفوسي ، كتاب الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية(القسم الثاني) مطبعة الأزهار البارونية(القاهرة(بلا تاريخ)، ص 19 .

(2) عثر المنقب طارى على فقارات (اوسواقي تحت الأرض وسط الأنفاق) تتبعها كيلو مترات عديدة توجد على عمق 80 ،3م تحت سطح الأرض وعرضها متر ومجرى الماء مايقرب من نصف المتر وعلى جانبي الجدران مشكاوات للانارة والشارع الذى تمر تحته بوارجلان يسمى سقائف سدراته (تيسكفين نيسدراتن) .

ينظر: - JEAN LETHIELLEUX , Quargla , p. 52 .

(3) ابو العباس، أصول الأرضين، مخ ص 63 .

ميزابا على الشارع فعليه بمراعاة حقوق المارة والجيران، فلايحدثه على بيت غيره، ولا يزيد ميازيب أخرى عمّا كان عنده من قبل، فلايزيد لا من حيث العدد ولا من حيث الاتّساع، ولا أن يرفعه اذا كان أسفل قبل ذلك.

وأما أن يضيّقه بعد سعته أو ينزله بعد طلوعه فلا بأس من ذلك. (1)

وعادة مايخطط سكان المدينة خاصة في البيئة الصحراوية والمليئة بالمفاجآت الخطيرة دورهم دون أن ينسوا السور الدّفاعي لها، فمدينة وارجلان من المدن التي تعرّضت للهجومات، والغارات الى حدّ تهديم المنازل واجتثاث الأشجار، والنخيل، وتغوير الآبار. فكان ذلك دائما لأهاليها أن يفكّروا جيّدا في حماية العرض، والنفس، والمال. وأن يفكّروا في كيفيّة بناء السور. فأوّل ماراعوه في التخطيط هو امكانية استداد البناء، وحتى لاتبنى الدور خارج الأسوار بعد مدّة قصيرة، صاروا يتركون فراغات كبيرة بين السور وآخر الدّيار المبنية. ويلاحظ أن بعض قرى ميزاب راعت أن تكون المقبرة داخل الأسوار ولعلّ ذلك راجع الى الخبرة، فأثناء الفتن لا يمكن اخراج الموتى الى خارج الأسوار، بينما نلاحظ أن المقابر في وارجلان كلها تكون خارج أسوار المدينة.

ويتخلل السور بوارجلان ثمانية أبواب وهي : 1) باب أبي الربيع 2) باب رابعة، 3) باب البستان 4) باب أحميد 5) باب الخريجة 6) باب أبي اسحاق 7) باب أبي عمار 8) باب عزى، ويذكر لارجو من بينها باب السلطان، وباب أوامان. (2)

ويهتم ابن خلدون (3) في وصفه لوارجلان يذكر الباب الذى يفضي الى السودان، ويهمل ذكر بقية الأبواب، بينما العياشي (4) فقد ذكر أن لها سبعة أبواب.

---

(1) نفس المصدر السابق، ص 79.

(2) ينظر : أعزام، غصن البان، مخ، ص 27.

ينظر : - LARGEAU, <u>Le Pays de Rirha</u>, p. 94.

(3) أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي، الرحلة، (ط حجرية) فاس، ==
1316 هـ، ص 46.

و من الملاحظ أن الأبواب تتوزع على كامل جهات المدينة ، و تكوّن عادة عند نهاية الشوارع الحيوية . كما أن للسور أبراجا دفاعية تصل الى واحد و أربعين برجا بارزة عنه بنيت كلها بالطوب والحجارة، و هي ذات أشكال مربّعة موزّعة على طول السور البالغ طوله الفين و مائة متر (2100 م) تطل كلها على خندق عرضه عشرون مترا يملأ بالماء في الحالات الدفاعية .

وهذه الأسوار الدفاعية والخنادق خلفها ، كانت توجد بكثرة في المدن الصحراوية دفعا لغارات البدو (1) مثلما كانت في نقوصة ، و تقرت ، وبسكرة و بعض قرى توات ، ولا يزال بعضها يحمل هذا الطابع الدفاعي . وبهذا الشكل تتحول هذه المدن الى قلاع حصينة .

وحسبما نعلم أن فكرة حفر الخنادق حول المدن فكرة فارسية اقترحها أوّل مرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابي الجليل سلمان الفارسي في غزوة الأحزاب فسميت بغزوة الخندق . ولوارجلان اتصال بالدولة الرستمية و التي حكمها أئمة رستميون ذوو أصل فارسي ، وحلّوا بها بعد سقوطها (2). ويمكن أن تكون من أفكارهم .

وقد تتحول جدران المنازل المواجهة للسور الى أسوار دفاعية ، ذلك فيما اذا تضرّر السور ، فيعمد السكان الى غلق الشوارع والأزقة فيكون العدوّ - بين شقي الرحى - الأبراج ، وأسوار المنازل . (3)

وحتى لا يحدث له تضرر من الداخل يمنع العرف ضرب الأوتاد في حائط السور،

---

(1) د . سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربي ، ج 1 ، ص 102 .

(2) وهذا أيضا ماحدث في بناء بغداد سنة 147 هـ/ 764 - 765 م بني حولها سوران، و أمامهما خندق عرضه ستة أمتار وبواباتها توصل بجسور بعدها مدخل منكسر . ينظر : د. كمال الدين سامح ، في العمارة الاسلامية ، الاتحاد العربي للطباعة، مصر، 1974 م ، ص 30- 38 .

(3) ينظر الرسم التوضيحي بالملحق .

أو يحدث فيه كوّة، أو خشبه ، أو كل مايضعفه . (1)

2- المساجد :

يولي الاباضية مثل سائر المسلمين كل الأهمية للمساجد فهي بالنسبة اليهم مركز الاشعاع الديني . فالمسجد هو المكان الذى تقام فيه الشعائر الدينية ، كما أنه مركز قيادة المجتمع ، خاصة بعد تحوّل النظام السياسي عندهم من إمامة الظهور الى إمامة الكتمان أى مايسمى بالإمامة الصغرى . حيث صار المسجد مكان اجتماع العلماء ، ورجال الفكر ، وشيوخ القبائل . كما صار لها دور أكبر حينما اتخذ أبو عبد الله محمد بن بكر (ت 440هـ/ 49- 1048 م) (2) من المساجد مقرّا لهيئة العزابة المشرفة على كل مصالح المسلمين .

فبالنسبة لقرى ميزاب نجد المسجد بصومعته العالية يشرف من المرتفع على المساكن ، أما بالنسبة لوارجلان المنبسطة فأكبرها يتوسط المدينة ، والمساجد الصغرى تتوزع على الأحياء . ولهذه المواقع أهميتها فمنها المعنوى ، وهو الشموخ ، والعلوّ ، والاشراف . ومنها الطبيعي وهو امكانية رؤية الفجر ، وغروب الشمس للمؤذن ، وانتشار الصوت خاصة الى أماكن بعيدة . وتوسط المساجد للبلدة يساهم أيضا في تقريب المسافات وتوزيعها بالسوية تقريبا حتى ييسر ارتيادها وعمارتها .

وممّا يميّز مساجد الاباضية على الأغلب خلوّها من الزخارف من فسيفساء أو آجر ، أو رخام ، أو خشب منحوت . بل هي بسيطة كل البساطة في تصميمها وبنائها وذلك اقتداء بعمل الرسول صلى الله عليه وسلّم حينما بنى مسجده . فلم

---

(1) أبو العباس ، أصول الأرضين ، مخ ، ج 4 ، ص 87 .
(2) ينظر في فصل الحياة الفكرية (عن ترجمته) .

يكلّف المسلمين بجمع الأموال رغم أنه بإمكانه الاهتمام بهذا الجانب، خاصة بعد أن أفاء الله عليه الغنائم والأموال. فلو كان هناك أحد يمكن أن يظهر حبّه للّه تعالى بهذا التصرف لكان الرسول صلى الله عليه وسلم الأولى بفعله، وكذا الخلفاء الراشدون من بعده.

ولم يلزم الاباضية أنفسهم فقط بهذه البساطة في البناء، بل ان أغلب الأرياف بالعالم الاسلامي ألزموا أنفسهم بذلك، فهو أدعى للخشوع من جهة، وأيسر للاكثار من المساجد واتمام بنائها من جهة أخرى، ويصفها الدكتور حسين مؤنس:

" انها أسرفت في الواقعية حتى أصبحت في بعض الأحيان مجرّد أشكال من اللّبن، مهمتها حماية المصلين من وهج الشمس. . . وهي من هذه الناحية مساجد رائعة بمعنى أنها تروع النفس ببساطتها وهيئاتها" (1).

فكأن هذه البساطة في العيش والبناء جعلت الوارجلانيين يفكّرون في أشياء أبسط بكثير من المساجد الواقية من الريح، والمطر، ووهج الشمس، فصاروا يقصدون الغيران للتّعبّد، وسطوح الجبال لاحياء اللّيالي والتأمّل في ملكوت اللّه حتى سمّي الجبل المشرف على سدراته وارجلان بجبل العبّاد الى اليوم.

أ) <u>أمثلة لمساجد وارجلان:</u>

ومن خلال كتب السير نعلم أن وارجلان مدينة تكثر فيها المساجد، وأماكن العبادة بأنواعها كما مرّ. ويذكر الوسياني أن أوّل مكان سجد فيه للّه تعالى في وارجلان موضع المنبر أمام مدينة أنجان (2) وبنى عليه

---

(1) د. حسين مؤنس، المساجد، مطابع الأنباء، الكويت، 1401هـ/ 1981م، ص 233.

(2) كان ا معروفا لدى الوسياني بقوله" معروف اليوم" واليوم يجهل هذا المكان.

الشيخ أبو صالح جنـــون (1) محرابه ، وحسبما يبدو أنه كان يريد التبرّك ، وهذا لا ينفي أنه قد بنسيت مساجد بين الفتـرتين فترة دخول الاسلام بوارجــلان سنـــة 101هـ / 719م وبين نهاية القرن الثالث عهد أبي صالح .

واذا كان الشيخ حادور هو نفسه الذى ذكـره جون ليتيو ، فسيكون مسجـــد الشـيخ حادور والذى وقـع له نوع من التجديـد ، أقدم مسجد بوارجــــلان ، لأنه حســب روايته أن الشيخ حادور أتى من زنـجبار سنة 726م الموافـق لسنـــة 108 للهجرة ، وهي السـنة التي شيّـد فيها مدينة وارجـلان .(2)

و من المساجد التي لاتزال متينة البنـيان الى حدّ اليوم مسجد الشيخ أبـــي سهل الذى عاش فى القرن الخامس الهجـــرى ، ولا يزال مسجده الى حدّ اليــوم خلف داره، وهو مسجد صغيـــر ، سـقـفه متدنّ ، وعرصاته متـقاربة، وبنــــاؤه بسيط ، و غير متناسق يدلّ على العفويـــة في البنــــاء ، ويبعـث على الرهبـــة والخشـــوع، ويـفصله عن منـزله صحـن صغيـــر يستعمله أهل الدار، ومنـــه يـفضـي الانسان الى الخــارج .

ومن المساجد المندثـرة رغم بنائها بعـد هذه الفتـرة مسجد أبي زكـــرياء وهو المسجـد الذى بناه الحفـصيون حينما تتبعوا أعـقاب ابن غانـية الميورقــي . فقد بنى أبو زكـرياء بن أبي حفـص مسجده هناك سنة 629 هـ/ 29–1228م . بعد الحفاوة التي لـقيها من أهالي وارجــلان ، و بنى مئـذنة مرتـفعة، ونـقـــش اسمه و تاريـخ بنائـــه للمسجد على الحـجـــــر . (3)

---

(1) هو الشـيخ ابو صالح جنون بن يمريان الذى عاش بوارجلان وعاصر أحداث نهاية الدولة الرستمية 296هـ/ 909م . ينظر: الوسـياني ، سير ، مخ ، ورقة 11ب .

(2) JEAN LETHIELLEUX, Ouargla... p. 20 .

(3) يذكره الشيخ أعزام بقوله "حكى لي بعـض الفضلاء بعهدنا أنه أدرك هـذا المسجد ومئذنته و أما نحن فلم نعرف له أثرا" .
ينظر : غصن البان ، مخطوط ، ص 8 .

==

ومن المساجد المندثرة أيضا مسجد تاواط وقد كان موجودا سنة 747هـ/ 1084م .

ب) هندستها :

والجدير بالذكر أن أغلب هذه المساجد تتميز بعرصات عريضة جداً قد يصل البعض منها الى مايقرب من المتر المربع، وتتلاحم فوقها الأقواس المتعاكسة في السقوف، وتكاد تخلو هذه السقوف من خشب جذوع النخيل، ومن القباب بهذه الطريقة .

أما الجدران فسميكة أيضا وقد تبنى أصولها بالحجارة الصلبة المجلوبة من المقالع البعيدة ، وأما البقية فتبنى بحجر محلي هش، وقد تهنى كما هو الحال في قرية الشط بحجر الملح بعد تجفيفه ، والجدران الملحية أكثر صلابة يصعب على الانسان احداث ترعة فيها ، كما أنها تمتاز بعدم ايصال الرطوبة الأرضية الى أعلى .

ولا يهتم الوارجلانيون بالقباب كثيرا ، بل انها تكاد تنعدم، وذلك حتى يستفيدوا بالسطح في ليالي الصيف. مثلما يستفيدون بالصحن أيضا للصلاة والختمات العامة .

كما أن المساجد الاباضية تفصل بين بيوت قضاء الحاجة ومكان الاستنجاء، لأنهم يرون أن الاستبراء ضروري بوسائل التطهير الجافة ، ثم يتحوّل بعدها الانسان إلى أماكن الاستنجاء ، أو الاغتسال ، ثم بعدها الى مكان يتميز بالطهارة

== بينما لارجو يقول بأنه رآه ورأى بقية جدار يبلغ ارتفاعه 15 مترا هو كل مابقي من المسجد وذلك أثناء رحلته سنة 1879م .

ينظر : - LARGEAU, Le pays deRirha , p. 97
Ibid , p. 157 .

المطلــقة وهو مكان الوضــوء . ثم بعد الاطمئنان الى الطهــارة التامــة يمكنهــم الدخول الى المحراب لأداء فريضــة الصــلاة . ويستــقذ رون غسل النجاسة مباشـــرة باليد بعد قضاء الحاجـة ، بل يرون أن من السنة الاستبراء فالاستنجاء، وهـــذا ماكان له تأثيــرحتى على أشكال البناء في المساجد والدور الخاصـــة .

ومن الملاحظ أن المساجد الاباضـية في وارجــلان وفي قرى ميزاب الى حـــدّ قريــب كانت لاتوجد فيها المنابر ، وذلك لأنهم يشترطون في صلاة الجمعة الإمــام العادل ، فبسـقوط الإمامــة بعد الدولة الرستمية وعدم قيام دولة اسلاميـــة بعدها تطبّــق الحدود الاسلامية سقط فــرض الجمعــــة ، وبالتالي انعــــدم المنبـــــر .

وهي الوسيـلة التي استطاع بها (شاخــت J. SHARCHT) ـ في بحثـــه عن الأثرالاباضـي في افريـقيا ـ أن يحدّد مسارهم الى جانب الصوامع الهرمـيـــة والمحاريــب المستطيــلة التي تتميــز بها مساجدهم .

وتوصــل إلى أن افريــقيا السوداء لم تتأثر بالناحـية المعماريـة فقط ، بـــل استدل بذلك على تواجد المذهــب الاباضــي قبل غيــره من المذاهب. (1) لدى شعـــب البال والكانــورى .

يتحدّث المياشــي عن المسجد الاباضي في وارجلان الذى زاره فصلّى فيه المغرب فوجده مسجدا متـقن الصّنعــــة ، مجصّص الأرض والحيطان، فأعجبه مافيه من وســائـــل الطهارة ، وخاصة المكان الذى أعــدّ لتسخين الماء .. كماصلّى صلاة الجمعة فـــي

---

(1) - J. SHARCHT, Sur la diffusiondes formes d'architecture religieuse musulmane à traversle Sahara . T.I.R.S. , T.XI, Alger, 1954. p.27.

مسجد المالكية دون أن يعطي له وصفا . ومهما كان الأمر فإنّ العياشي حتى ولو كان قد وصف المساجد في وقت متأخر عن الفترة المدروسة ، الاّ أنّه يعطي لنا بعض الملاحظات عن المساجد التي قد زارها في عهده .(1)

أما المصليات التي لم يستحدث فيها الانسان الاّ قليلا من التغيير عن أصلها الطبيعي - ومع بساطة التغيير فيها - آثرنا ذكرها مع أنها لاتعدو أن تكون غيرانا ، أو سطوح الجبال .

لقد حفر المشائخ والطلبة غيرانا كثيرة منها - ماهو على سفوح الجبال ، ومنها ماهو على شكل سراديب ينزل اليها الانسان .

فأبو صالح جنون بن يمريان الى جانب بنائه لمسجده في مدينة وارجلان أجرى تعديلا لغار وذلك بأن نحت فيه ، ونحت على جداره ستة رفوف يبدو أنها نحتت خصيصا لوضع الكتب .(2)

كما أن الشيخ أبا عبدالله محمد بن بكر طلب قبل قدومه الى آجلو أن يحفروا له غارا (3) ولايزال هذا الغار موجودا الى حدّ الآن على شكل سرداب ، وكانوا يتعبدون فيه الى أن أتى الشيخ تروراس بن يوسف سنة احدى وأربعين وأربعمائة (441هـ / 1049م) فبنى المسجد الكبير .(4)

كما كان الشيخ أبو صالح الياجراني يتعبد في غيران أبي أجاج . (5)

أما كهف السلطان (6) فيتألف من ثلاثة طوابق تتوزع عليها ثمانية غيران

---

(1) العياشي ، رحلة ، [illegible] فاس ، ج 1 ، 1316 هـ ، ص: 47 .

(2) ينظر: أبو اليقظان ابراهيم " تلك آثارنا تدل علينا " جريدة الأمة ، المقال 4 ، ع 156 ، 28 ذو الحجة 1365هـ/ 1 مارس 1938م .

(3) ابو زكرياء ، السيرة ، ج 2 ، ص 254 .

(4) الوسياني ، سير ، مخ / كراكوفيا ، ورقة: B 35 .

(5) المكان غير معروف . ينظر : الدرجيني ، طبقات ، ص 373 .

(6) حدد لارجو بعده عن بامنديل بـ 2 اكلم دون الاعجاه .ينظر تفصيل ذلك : ==

يغلب عليها عمل الانسان يصل بينها درج ، وعلى الجدران كتابة عربية غير مفهومة ، و لم يبق منها إلاّ كلمة " اللّه " واضحة .وهذا يدلّ دلالة واضحة على أنه مكان استحدثته يد الانسان المسلم، أو أنه كان ملجأ الانسان القديم فأدخل عليه التعديلات . وعلى الأرجح أن يكون مصلى للظاهرة الغالبة في ذلك الحين .

أما ما أحدثته يد الانسان المسلم من تغيير طفيف على الطبيعة بعامل الدين ، وظاهرة الانقطاع للعبادة كما أسلفناهو تحويل سطح جبل إلى مجموعة هائلة من المحاريب تبلغ خمسمائة محراب مرسمة بالأحجار فسمي هذا الجبل - جبل العباد -(1) .

وهكذا وبمثل هذه الأماكن نجد بصمات الإيمان الصحيح حيث تنعدم مساجد التباهي ، ومظاهر التفاخر بين العائلات الغنية والسلاطين مثل ما وقع في بعض الأماكن من العالم الاسلامي . و أحسن وصف لهذه المساجد المغربية ماقاله د . حسين مؤنس: " وفي المغرب طراز آخر من المساجد لانجد له مثالا في غير المغرب ، طراز بسيط يقترب من البداوة بل من البدائية، ولكنه ينطق بإيمان صحيح ، و يعبّر عن إسلام صاف لاتشوبه شائبة تكلّف أو زهو ، وهو طراز المساجد الشعبية الصغيرة الأنيقة التي نجدها في القرى والواحات والهضاب والوديان و أحياء المدن ، وهي مساجد تقتصر على الحد الأدنى

- LARGEAU, Le Pays de Rirha, ..p. 184 . **

وفي الخريطة: نجدها على الحافة اليسرى لوادي ميه جنوب غرب وارجلان بمحاذاة جبل العباد .

(1) ينظر : أبو اليقظان، م .س .

- H. TARRY, Les villes Bérbéres de la vallée de l'Oued Mya , Revue d' Ethnographie , 1885 , Vol. 3 , p. 28 .

من عناصر العمارة المساجدية ." (1)

و- المنازل:

لقد لجأ الانسان منذ القديم إلى أماكن يأوي إليها اتقاء للقرّ أو الحرّ، وهروبا من الوحوش الضارية ، فتغيرت المساكن حسب تطور الأزمان وتباين الحضارات ، فما بين بيوت فارهة ينحتها من الجبال ، إلى بيوت يتخذها من جلود الأنعام ليستخفها يوم ظعنه و يوم إقامته . فقد نجد بيتا من قطع الجليد صنعها إنسان الاسكيمو ، أوبيوتا معلّقة بين الهضاب والجبال كدور هضبة التيبت ، أو محفورة في الأرض كدور مدينة مطماطة التونسية ، أو على شكل مدرجات مصطنعة مثل معلّقات بابل الآشورية بالعراق ، أو مدرّجات طبيعية كدور جبل نفوسة بليبيا .

واذا أمعنّا النظر نجد العوامل المؤثرة على كيفياتها مختلفة جدّا فمنها الطبيعي وهو الغالب ، ثم العوامل الأخرى .

فدور الواحات يغلب عليها الطابع الديني والطبيعي ، فالدار المغربية الصحراوية بسيطة في بنائها في تناسق تام يغلب عليها التراص والتلاصق ، وذلك للحياة الدفاعية التي تتميز بها المنطقة المنعزلة ، فالمجتمع القبلي تتجمع دوره على هذا الشكل وتكوّن حيّا عائليا مترابطا تسهل مراقبته والدفاع عنه .

ويمكننا أن نأخذ السمات العامة للمنازل الوارجلانية دون الدخول في التفاصيل الهندسية .

---

(1) د. حسين مؤنس، المساجد، مطابع الأنباء- الكويت ، 1401هـ/ 1981م ، ص 226 .

فأول مايلاحظ الداخل الى المنازل المتسيقة ، المدخل المنكسر فلا تجد دارا يفتح بابها على بهو ، أو غرفة ، وذلك لسبب ديني أولا ، ثم لسبب استراتيجي ثانيا . فبالأول لاتنكشف المرأة على الشارع ، وبالثاني لايمكن لمعتد أن يدخل بالسرعة التي أتى بها ، الآ ويجد الحاجز الجدارى أمامه . (1)

وللباب المفتوح عادة جدار يدعّمه من الخلف ووسط الجدار كوّة قدر مايصلح لإدخال اليد من خلفه لدفعه قبل فلقه مراعاة للسترة .

وعادة توجد بالمنزل دعامات أساسية في وسطه قد تصل الى أربعة و عليها ترتكز أغلب السقوف ، وماوجدوها على هذا النحو إلآ ليتمكّن خشب النخل الذى يسقف به مقاومة الأثقال فوقه .

واذا علمنا أن خشب النّخيل لايحتمل الطول فهمنا سرّ تقارب الجدران من بعضها ، وسبب الدّعامات الأساسية وسط المنازل .

وللدّار عادة في الطابق الأرضي مجلسان : مجلس خلف الباب مباشرة يستعمل لغزول النسيج ، واستقبال الدّاخلات من الشارع من طرف صاحبة البيت دون التوغّل الى الداخل إلآ عند الضّرورة .

وفي الجهة المقابلة من الداخل مجلس آخر لأهل البيت خاصة حتى يبتعد كلا منهم وسرّهم عن الشارع ، ويسمى في وارجلان " بالسلام " وقد يسمّى بهذا الاسم أيضا فناء الطابق الأوّل .

وبين المجلسين وسط الدّار الذى يوزّع النور والهواء بين كافة مرافق الدار من غرف ، ومجالس وغيرها .

---

(1) هذه الطريقة الدّفاعية استعملها بناة بغداد في المداخل الأساسية للمدينة .

وقد يتخذ صاحب البيت جناحا من منزله يبني فيه دويرة بكامل طوابقها خاصة له ولضيوفه ، ولأبنائه حينما يبلغون سنّ الرشد ، ويتزوج من بلغ سن الزواج منهم .

ولا يمكن أن نتعرّض لجميع تفاصيل المنازل من حيث هندستها ومقاساتها وتفاصيل زواياها فذاك من اختصاص الهندسة المعمارية .

وأما ما لا يمكن اغفاله فهو الأثر الديني مثل ما رأيناه فاكتست الأبنية بهذا كله البساطة من حيث الشكل ، والمواد وهو ما عبّر عنه الغربيون دون أن يفهموا السرّ حينما تحدثوا عن الاباضية في هذا المجال : انهم لا يبنون الآ ماهم بحاجة اليه ، فلا يبنون غرفة أوسع مما صمّمت له ، ولا يرفعون بابا أعلى من قامة الانسان ، ولا درجا أرفع من خطواتهم ، ولا يجلبون مادة لا توجد فوق أرضهم ، ولذلك كان الجمال الواقعي . وعبّر عن ذلك كوربيزى Corbusier بقوله : " نسيت المدارس اعتبار الانسان في خطواته ومدى تعامله مع حاجاته . لقد كانت العين ، والقدم ، والدراع أساس المقياس فصيّرت المدارس المتر هو أساس ذلك ، ولا تعدو قيمته أن تكون جزءا من محيط الكرة الأرضية ." (1)

فحينما وصفنا شوارع مدينة وارجلان ذكرنا علوّ جدرانها وخلوّها بالتقريب من النوافذ مبالغة في السترة . والآن ونحن بصدد الكلام عن المنازل نتساءل كيف تصرّف المهندسون المعماريون المسلمون ازاء هذه الاشكالية ؟ من أين يأتي النور والهواء لدار حينما يراها الرّائي من الشارع يخالها سجنا ؟ فاتقاء المسلم الشبهات ومبالغته في السترة كان ذلك مدعاة لإمعان التفكير في هذا الشأن .

لقد فتحت وارجلان وقرى ميزاب ديارهما على النور والهواء بطريقة متميزة

---

(1) ينظر : -MANUELLE ROCHE, Le M'zabe, Architecture Ibadite en Algérie, B. Arthaud, 1973, p. 25 .

ووضعت لذلك أعرافا لاتتعداها حتى يقع استغلال كل ذلك دون الاضـرار بالجيران .

فبعد الخبرة الطويلة والتجربة عرف السكان اضافة الى مشارق الشمس ومغاربها، مراكز هبوب الرياح الدائمة على المنطقة ، فأداروا ظهور كلّ دورهم لمصدر الرياح الباردة الشتوية، والرياح الرملية الربيعية ، و فتحوها للشمس من شروق الى غروب .

وهنا تصطدم المصالح في التعالي ، أو حرمان الجار من شمس الشروق و غروبها . فتآليف العمارة تجعل قواعد لذلك ، فأبو العباس أحمد بن محمد بن بكر يحدّ المزمع من التعالي بقوله : " يمنعه جاره ألاّ يجعل عليه الظل ببنيانه سواء في ذلك الظل الذى يمنع له به الشمس عند طلوعها أو عند غروبها " (1) ويؤيده الشيخ اطفيش قطب الأئمة بقوله : " لا يجعل الظل على جاره ظل الشرق والغرب في غير الأجنّة ، و أما في الأجنّة فإنه يمنع من أن يجعل له ظل الجدار القبلي " (2)

فلذلك يجب على الجيران أن يؤخروا جدرانهم المطلّة على الطابق الأوّل مقدار ارتفاعها حتى يسقط ظلها على سقوف بيوتهم .

أما المستقبل لأشعّة الشّمس عند بزوغها ، فلكي يستقبلها بوفرة في الفناء بالطابق الأول المسمّى بالبربرية " إكومار " يتخذ في زاويته الشمالية الغربية عوارض بدل الأقواس فتدخل الشمس الى عمق الغرف المواجهة داخل الفناء ، ويستفاد بهذا المكان عادة صبيحة الشتاء .

---

(1) أبو العباس، أصول الأرضين مخ، ج 4 ، ص 110 .
(2) اطفيش، مختصر العمارة مخ ، ص 14 .

ثم حينما تتوسط الشمس كبد السماء يمكنهما أن تنزل الى الطابق الأرضي من شباك يكون عادة في الزاوية الشمالية ، حيث تتراس الأقواس لتقلل من وهجها على الطابق العلوى .

ثم قبل الغروب تجد أيضا العوارض بدل الأقواس حيث تدخل الى عمق الفناء عند ضعفها وقت الأصيل ليستفيد بها أهل المنزل أكثر .

أما المساحات المفتوحة في الطابق الأول أو السطوح فوق الأفنية والغرف فتستعمل في ليالي الصيف .

ولهذا فهذا النوع من المنازل من أحسن الأنواع ، اذ يتصرف فيه صاحبه حسبما يتلاءم وتباين الفصول والأوقات . ودون أن تعكر صفوه الماثلي أعين الفضوليين ، ولهذا فلا يجد الانسان هناء مهما كان مستوى حضارته إلا اذا فكر من الزاوية الدينية .

اشكاليـة الزخـرفة لدى الاباضية :

والاشكالية الأخرى بالنسبة للعمارة الاسلامية الوارجلانية ، هي خلوّها مـــن الزخـرفـة الجصيّـة .

يرى الاباضية أن البساطة في البناء مطلب شرعي ، وأن الزخرفة فيه من قبيـل التهذيـر المنهي عنه ، وأمّا الصور المجسمة والتماثيل فهذا مالا مجال في حرمته . ولذلك كما رأينا أن البناء البسيط المتواضـع الذي يخلو من كل رونـق هـو الغـالب .

ولكن ما تفسير وجود اللوحات الجصية ذات الأشكال الهندسية والرسـوم النباتـية في مـدينة سدراتـه المندثرة رغم أنهـا إباضيـة ؟

هنا يثور جـدل بين العلماء : فمنهم من يرى أنه إباضـي كلّـه ولاضير في ذلك مادام لم يصـل إلى المحرّم ، بل هـو من الابداع الفكـرى الذى ينمّ عن ذوق رفيـع ، فالزخارف الجصية عبارة عن أشكـال وريـقات العنب ، أو سعيفات الجريـد ، أو أشكال هندسية ذات زوايا متـداخلة ، أو مشكاوات ذات فصوص صدفية ، ليس إلاّ .

ومنهم من يرى أن هذا الفـن بهذا الشكل المتأثـر بالتيـارات الفنية النازحـة هي لناس أجانب عن المذهب عاشـوا في كـنفه ، ويستنـد إلى عدم امتداد هـذا الفن الى قرى ميـزاب حيـث استـقرّ بعض السدراتيين بعد خراب سدراته .

ومن المستـشرقين من يريد أن يكون هذا الفن عالميا لا إسـلاميا فقط ، حتى يضـفي عليه مسحـة من العمـوم بعدها يضيـع كل جهـد اسلامي .

فبالنسبة للقول الأول نجد الشيخ أبا اليقظان رحمه الله قد كـتب سلسلة مـن المقالات تحت عنوان " تلك آثارنا تدلّ علينا " وهو في احداها لا يستبعد أن تكـون الزخرفـة إباضيـة وذلك لما وصـل إليه الرستميون النازحون من تاهرت من سـلامـة في الذوق ، وفن معمارى . (1)

(1) أبو اليقظان ، جريدة الأمـة ، ع 64 ، سنة 1938م .

وأما بالنسبة للقول الثاني فنجد الشيخ علي يحي معمر الذى يستبعد أن تكون اباضيــة ، ويرجّـح أن تكون لناس جلبوا هـذه الحضارة وسكنوا مع السدراتييـــن (1)

وأما الفريق الثالث من المستشرقين فنجد على الطليعـة الآنسة (مارغاريـت فان برشـم MARGUERITE V. B. فتـقول بعد نهاية المسح الشامــل ونهاية التنـقيـبات والحفريات : " ان نتائج هذه البعثة تـفوق المتوقع فهـي لاتنتمي الى تاريـخ الفن الاسلامي فقط ، بل الى تاريخ الفن العام كله" . (2)

أما عن المؤثرات الخارجية فيرى الدكتـور عبد العزيز سالم أن الرستمييـــن تأثروا بالفن العراقي الفارسي وذلك لماوجده من شبه مابين المسجد الذى اكتشفه (طارى)، وقصــر الأخيـضر بالعراق . (3)

أما الدكتور سعـد زغلول فيرى أن الفن السدراتي أصداء لفخامة المباني العباسية وان كان ضعيـفا ولم يأخذ الا مايتناسب وبساطة المجتمع الاباضي (4) بينما يـرى (بـرك BERQUE) أن هذا الفــن متأثر بالأقباط المصريين مستندا علـــى مالاحظه من شـبه في الرسوم النباتـية . (5)

وبهذا الصدد نقول : اذا كانت سدراتـه حسب أغلب الأقوال من نتـائــج نزوح الاباضيين من تاهرت بعد استيلاء العبيديين عليها سنة 296هـ/ 909م .

---

(1) حوار أجريته معه قبل وفاته بمسجد الفتح بطرابلس سنة 1979م .
ينظر أيضا : علي يحي معمر ، الاباضية بالجزائر ، ص 366 .

(2) ينظر - MARGUERITE VAN BERCHEM , Sédrata, une ville du moyen age....../ Documents Algériens , p. 226 .

(3) د. عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب الكبير ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ص 581
- Marçais George , L'Architecture , Paris, 1936, p. 56 .

(4) د . سعـد زغلول ، تاريخ المغرب العربي ، ص 510 . ==

لايستبعد أن يكون مع المهاجرين الاباضيين مهندسون معماريون كانوا في تاهرت أصلهم من الكوفة ، أو البصرة ، أو مصر ، أو خراسان والذين كانوا سببا في اسراع تاهرت نحو الحضارة(1) ولا يستبعد أن يكونوا هم الذين بنوا هذه الدور الرائعة ، و القصور الجميلة لهم وللطبقة الغنية . وهذا على الرغم من أن الرستميين أول الأمر كانوا بعيدين عن مظاهر الحضارة المفرطة ، إذ المعلوم أن الإمام عبد الرحمن بن رستم بنى داره بيده بالطين ، ولم يغيّر منها رغم المعونات المتتالية . (2)

كما أنهم بعد انتسقا لهم إلى ميزاب لم ينقلوا هذه الزخارف معهم . يعود السؤال ليطرح نفسه هل الفن السدراتي تبنّاه كل الرستميين؟ فإذا كان ذلك فلماذا لا نجده قبل سدراته و بعدها ؟ رغم تواجدهم في هذه الحقب الزمانية .

لاشك أن الرستميين في أول أمرهم كانوا على الورع المعهود ، ومع ضعف الدولة في الأخير والثراء ، ووجود الطبقة النازحة من ذوى الحضارات العريقة تكوّنت فيهم الرغبة في هذا الفن دون أن تتعدى التقييدات الاسلامية ، من تجسيم للأجسام أو تشخيص لصور الحيوانات ، فهي كما رأينا لاتتعدى الرسوم النباتية والأشكال الهندسية البربرية ، والخطوط العربية الكوفية .

- BERQUE , Art antique et art musulman en Algérie , (5) ==
(Sadrata) , Cahier centenaire de l'Algérie VI ,
p. 52 - 53 .

(1) محمد الطمار ، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج ، ش.و.ن.ت ، الجزائر ، 1983م ، ص 95 .

(2) ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستميين ، تح : د . محمد ناصر ، ابراهيم بحاز ، المطبوعات الجميلة ، الجزائر ، 1986م ، ص 29 – 33 .

و مع ذلك فان الـ وارجــلا نيين من علماء ورعــين ، و من تجار أغـنياء بذهب غانــه لم يحدوا حدو السدراتيين رغم غنـاهم، فـبـقي هذا الفن في سدراته فقط، و ذلك لتـفضيـلهم البساطـة المعهودة .

ولم يؤثـر كذلك السدراتيون في قــرى ميـزاب التي انتـقلوا إليها لعوامــل منها : تمسّك الميزابيـين بنفس الروح السائدة في وارجـلان ، مع ضعف السدراتيين النازحين ماديا بعـد خراب مدينتهم و ضياع أموالهم، فكان عليهم أن يتأقلمــوا بسهولـة مع البـيئة التي حلّـوا بها.وبعدها خبا هذا الـفـن تحت الرمال الــى يو منـا هـذا .

الفصل الثالث

الحياة الدينية والفكرية

مدخل على الحياة الدينية والفكرية :

تبدو مميزات الحضارة الاسلامية جليّة واضحة اذا كان العامل الديني والعقيدى راسخ الأسس ، ولكي تكون الأسس الدينية راسخة يجب أن تكون قريبة من المنبع، تأخذ من القرآن الكريم مباشرة، ومن السنة النبوية المطاهرة ،غير خاضعة لأهواء الساسة والأمراء، ويكون العلم بالشرع والعمل به أساسين متلازمين يدعم أحدهما الآخر.

و بقدر مايكون الأخذ بالسنة قريبا من صاحب الرسالة السماوية (عليه أفضل الصلاة والتسليم) زمانا و مكانا - مع توفر شروط الرواية من الأمانة والتقوى - يكون ذلك أضمن لسلامتها ونقائها .

يمتاز المذهب الإباضي بهذه الصفات فقد كان إمام المذهب جابر بن زيد الأزدى العماني أقرب الى المنبع زمانا و مكانا ويحظى برضا جميع أئمة المسلمين من بعده .

وكان أئمة المذهب الاباضي غير خاضعين لأهواء الساسة و الأمراء الذين أرادوا أن يكون حكم المسلمين ميراثا مقصورا على ذويهم، فكان ذلك سببا في ملاحقة الساسة لهم ، واخماد صوتهم و تشويه سمعتهم . ومع ذلك فقد بقي مذهبهم نظيفا يفخر به كل مسلم نزيه منصف.

أ) لمحة عن نشأة المذهب الاباضي و انتقاله الى المغرب :

نشأ المذهب الاباضي على يد الامام التابعي الجليل جابر بن زيد الأزدى العماني الجوفي من قبيلة اليحمد الأزدية من بلدة فرق من ولاية نزوى(1)

---

(1) صالح بن أحمد الصوافي ، الامام جابر بن زيد و آثاره في الدعوة ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان، ط 1 ، 1403هـ / 1983م، ص 30 .

المولود سنـــة 18 هـ/ 639 م. المتـوفى سنة 93 هـ/ 711 م.(1) أخذ العلم والدين عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وأخذه عن سبعيـــن بدريـــا وعن ابن عباس رضي الله عنهما.

وكان المدافع عن المذهب الاباضـي في الأوساط السياسية عبد اللـــه ابن إباض، فقد برز عبد الله بن اباض بعد وفاة أبي بلال مرداس بن أديـة (2) وذلك حوالي سنة 65 هـ - 5/ 684 م. فنسب المذهب اليه. وقد كانت لـــه مراسلات مع عبد الملك بن مروان يدعوه الى الاحتكام الى كتاب الله وسنـــة رسوله صلى الله عليه وسلّم ويبرأ فيها من عمل ابن الأزرق وأتباعه مــــن الخوارج (3) وينعي على الجورة الذين استأثروا بالحكم بعد أن كانت الخلافة شورى بين المسلمين.

وكان القصد من هذه المدافعة حماية المذهب ودفع الشبه عنه ثم يأتي بعده

---

(1) لقد اختلف المؤرخون في تاريخ وفاة الامام جابر بن زيد:
فالبرادي يصنـفه ضمن الطبقة الثانية. ينظر: البرادي، الجواهر المنتقاة، لما أخل به كتاب الطبقات، مصر، ط حجرية 1302 هـ/ 1884م، ص 155.
وابن سلاّم يرى أنه توفي سنة 103 هـ. ينظر: ابن سلام، الاســـلام وتاريخه من وجهة نظر أباضية، دار اقرأ، بيروت، 1985، ص 129.
والشماخي يرى أنه توفي سنة 96 هـ. ينظر: الشماخي، السيــــر، عمـــان 1987م، ص 72.
والربيـع بن حبيـب رواية عن أبي عبيدة يقول: "وكان أنس عند ذلك مريضا فمات هو وجابر بن زيد في جمعة واحدة وكان ذلك سنة 93 هـ" / 711 م. ينظر: الربيع بن حبيـب، الجامع الصحيح (المطبعة السلفيــة القاهرة، ط 2، 1349 هـ، ج 2)، ص 76. وهذه هي الرواية المعتمدة.

(2) أبو بلال مرداس بن أديـة (أو ابن جدير) وأديّة المنسوب اليها. هــي أمه. كانت وفاته سنة 62هـ/ 681 م.

==

أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة (1) لينشر المذهب بواسطة بعثا تـــــه العلمية مشرقا ومغربا ، بعيدا عن أعين السلطات الجائرة . فاعتنقه أهـــل المغـرب، مثل أهل المشرق ودافعـــوا عنه بحماس شديـــد وذلك لأسباب:

1ـ مناداة المذهب الاباضي بالمساواة والعـدل بين جميـــع فئات النـاس وهذه أهم مبادئ الاسلام ولعله السبـب الأول الذي وجد فيه سكان المغرب ضالتهم فكانوا أوّل الداخليـــن في دين الاسلام .

وظلم الولاة للرعايا البربر بربسبي نسائهم وذبح أغنامهم قصد الحصـــــول على الجلود العسلية وتقديمها كهدايا للخليــفة الأمـوى (2) جعلهم يقفون الى جانـب المنادين بالعدل والمساواة .

2ـ ضعف الدولة الأموية وعدم استقرار الدولة العباسية .

3ـ ممارسة البربر لحكم يرتكـز على مبدأ التسيير الجماعـي وعدم خضوعهـــم الخضـوع الكلي للحكـم البيزنطي قبيل الفتح الاسلامي جعلهم يتوقون الى تطبيـــق مبدأ الشورى (3) وهذا ما وجدوه لدى المذهب الاباضي .

---

(3) الباروني (أبوالربيع سليمان) ، مختصر تاريخ الاباضية ، مطبعة الارادة ـتونس 1357 هـ/ 1938م ، ص: 18 ـ 27 .

(1) أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة ، هو مولى بني تميم من تلامذة جابر بن زيد عاش في البصرة وعلم فيها . يعده الدرجيني من الطبقة الثالثة 100 هـ ـ150هـ . ينظر الدرجيني ، طبقات ، ج 2 ، ص 238 . صالح الصوافي ، الامام جابر بن زيد ، ص 169 .

(2) صالح باجيـة ، الاباضية بالجريد في العصور الاسلامية الأولى ، دار بوسلامـــة للطباعة والنشر والتوزيـع ـ تونس ، ط 1، 1396 هـ/ 1976م ، ص : 26 .

(3) عبد الحميد حاجيات ، مجلة التاريخ ، الجزائر (1982) ، ص 90 . عنوان المقال : " مبدأ الشورى في نظام الحكم بالمغرب العربي خلال العصـــر الوسيـــط " .

وهكذا كما يقول ابن خلدون : " فشت دعوة الاباضية ، والصفرية منهم في هوارة ولماية ، ونفزة ، ومغلية ، وفي مغراوة ، وبني يفرن من مزاته" (1)

لقد كان اعتناق سكان المغرب للمذهب الاباضي مبكرا إذ أنه كان مباشرة بعد مجيء الداعية سلمة بن سعد أي بعد سنة 95 هـ/ 713م وانتشر المذهب بداية من جبل نفوسة وجزيرة جربة . (2)

ومن آثار ذلك ميلاد أول دولة اباضية امتدت من سرت الى قابس تحت امامة عبد الله بن مسعود التجيبي ، قضى عليها عبد الرحمن بن حبيب والي القيروان وقتل زعيمها سنة 127 هـ/ 745م . (3)

---

(1) ابن خلدون ، تاريخ ، المجلد الثالث ، ص 362 .
ويستغل المستشرق " لارجو " هذه الأحداث ويقول : " إن هذا البلد كان غنيا و سكانه كانوا يعيشون في أمان وحينما أتى العرب حولوه الى صحراء . . . ثم يواصل نفث سمومه قائلا : " ان المسلمين خربوا كل شيء باسم الاله و هذا ماوقع في امريكا التي خربت باسم [illegible] ... المسيحية وباسم السلام "
انظر كتابه

- Largeau , Le pays de Rirha, p. 154 .

(2) د . عوض خليفات منشأة الحركة الإباضية ، دار الشعب - عمان الأردن 1978م ص 133 .
سالم بن يعقوب ، تاريخ جزيرة جربة ، دار الجويني للنشر - تونس ، 1986م ، ص : 67 .

(3) رجب محمد عبد الحليم ، الاباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم باباضية عمان والبصرة ، مكتبة العلوم ، مسقط - عمان ، 1410هـ / 1990م ، ص : 86 .

ثم كانت المحاولة الثانية باختيار عبد الجبار بن قيس المرادى إماما ، و لم يتمكن عبد الرحمن بن حبيب من التغلب عليه إلا بالحيلة فقضى عليه وعلى وزيره الحارث بن قيس فاغمد سيف كل واحد منهما في الآخر حتى يوهم الناس بأنهما تقاتلا فطعن كل واحد منهما الآخر.

وبعد مجي البعثة العلمية من البصرة الى المغرب كان أبرز من فيها أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافرى اليمني فالتف حوله أهالي طرابلس و بايعوه إماما وذلك سنة 140 هـ/ 757م فامتد حكمه الى جبل نفوسة والقيروان. لكن الدولة العباسية التي عدّت هذا خروجا عن طاعتها بعثت إليه حملات كان النصر أوّل الأمر لأبي الخطاب في معركة مغمداس 142هـ/ 759م ، ولم تستطع الدولة العباسية القضاء عليه إلا بالحيلة ، وذلك ما كان من محمد ابن الأشعث الخزاعي سنة 144 هـ/ 761م .

وبعدا تتجه أنظار الاباضية غربا ، الى المغرب الأوسط حيث يفرّ عبد الرحمن بن رستم والي القيروان الى نواحي تاهرت فيكوّن هناك دولة مستقلة تماما عن الحكم المركزى. وتعد في التاريخ أول دولة جزائرية ~~مستقلة~~ اسلامية مستقلة ويبدأ حكمها من سنة 160هـ/ 776م الى سنة 296 هـ/ 909م . حيث بني الحكم فيها على أساس الشورى ، و تعاقب عليها أئمة يحكمون بالقرآن والسنة و يمتازون بالعدل والتسامح .

واذا أردنا أن نستدل على ذلك فلا أنسب من التمثيل بشخصية عاصرها مؤرخ منصف غير إباضي تعطي شهادته الى جانب شهادة المؤرخين الاباضيين صورة واضحة عما قيل . فشخصية الامام أبي اليقظان (ت 281هـ/ 894م) تعدّ تقريبا الشخصية الوحيدة التي يكتب عنها مؤرخ رآها رأى العين خلال هذا المسار التاريخي الذى نتحدث عنه .

يقول عنه ابن الصغير : " وكان إذا جلس الناس وأمرهم بالجلوس لم ينطق أحد بين يديه إلاّ أن تكون ظلامة ترفع إليه . . . وكان زاهدا ورعا سكينا" .(1) ويروى عنه أيضا أنه اهتم بالحسبة من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، ونبذ للعصبيات، وأن خطبه على المنابر كانت خطاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . (2)

أما الدرجيني وهو أحد المؤرخين الاباضيين فتكمل شهادته شهادة ابن الصغير حيث يقول عنه : " بلغ الغاية في العدل، والفضل، والاقتداء بمن سلفه، فكانت نفوسة فيما قيل لايعدلون أيامه وسيرته إلاّ بأيام جده عبد الرحمن وسيرته وذلك لأنهم اتخذوا مجلسه حينئذ كالمسجد، فطائفة يصلون، وطائفة يقرأون الكتاب، وطائفة يتذاكرون في فنون العلم .(3)

وهذا النموذج يكفي لمعرفة طريقة الاباضية في تسيير زمام الحكم وما شذّ عن هذا يعدّ مروقا عن الأهداف الاسلامية السامية التي التزم الاباضية بالسير عليها . وكانت نهاية الدولة الرستمية على يد العبيديين سنة 296 هـ/ 908 - 909م بعد حكم دام أكثر من 130 سنة . وبعدها يفرّ أبو يوسف يعقوب بن افلح الى وارجلان هو وجماعة من أهله حيث يستقبلهم أهلها بالترحاب، ولايعني هذا أن وارجلان عبر هذه الرحلة التاريخية قد استقبلت المذهب الإباضي بمجيء أبي يوسف يعقوب الى المنطقة، بل إنها قد عرفت المذهب قبل ذلك بداية من سنة 101هـ/ 719-720م .(4) وهذا

---

(1) ابن الصغير ، أخبار الأئمة ، ص81 .

(2) م . ن ، ص 78 .

(3) ابو زكرياء ، السيرة ، ص144 .

الدرجيني ، طبقات ، ج 1 ، ص 83 .

(4) أعزام ابراهيم ، غصن البان ، مخ ، ص32 .

ومايؤيد هذا: ذهاب أبناء المنطقة الى البصرة للاستزادة من العلم من أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وذلك سنة 135هـ/ 752م ، فاذا عبّرت المصادر التاريخية بكلمة " استزادة" فهذا مايعني وجود رصيد قديم ولكنه قليل لايفي بالغرض المقصود . والمدة الزمنية بين سنة 101هـ وسنة 135 هـ فارقها بسيط ومعقول .

كما أننا نلمس سرعة استجابة وارجلان البعيدة عن الشمال ، للاسلام من الفارق الزمني الذى يفصل مابين مجىء سلمة بن سعد سنة 95هـ ، وانتشار المذهب الاباضي في وارجلان سنة 101هـ .

ب) بعض الآراء الدينية للمذهب الاباضي

لايسعنا إلا أن نقول أن المذهب الاباضي امتداد للاسلام في نقائه دون أن تشوبه شائبة فكرية ، أو سياسية متسلطة ، فمنابعه القرآن، والسنة ، والاجماع، مثل غيره من المذاهب دون أن يغلق باب الاجتهاد ، ومن أهم ميزاته على أغلب المذاهب الأخرى أن إمام المذهب جابر بن زيد كان يروى أحاديثه عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها مباشرة ، وعن الصحابة رضوان الله عليهم ، ومن ضمنهم سبعون بدرياً ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما . ولهذا فأغلب الأحاديث لديهم ثلاثية السند .

ولانجد فروقا كثيرة بين المذهب الاباضي ومذاهب أهل السنة سواء في الأصول أم في الفروع، وبهذا الصدد يقول الدكتور رجب محمد عبد الحليم : " وما كان اعتماد المذهب الاباضي على الكتاب والسنة وعدم تباعده عن مذاهب السنة إلاّ أن مؤسسه جابر بن زيد قد أخذ عن الصحابة الذين أخذ عنهم أصحاب هذه المذاهب من الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة، بل إنه يمتاز

على أصحاب هذه المذاهب في أنه أخذ عن الصحابة مباشرة بينما هم لم يأخذوا في معظمهم إلاّ من التابعين ". (1)

ويمكن أن نورد بعض الآراء الدينية على سبيل التعرف دون التعرض لتحليلها اذ أن كل واحد منها يحتاج الى رسالة مستقلة تستعرض فيها أقوال المثبتين والنافين، وأسباب ترجيح كل فريق منها:

- يعتقد الاباضية بأن الله تبارك وتعالى لا تمكن رؤيته لا في الدنيا ولا في الآخرة. (2)

وكل ماورد مما يستوجب التجسيم من يد ، ووجه ، وعين يجب تأويله وتنزيه الباري من ذلك. (3)

- الخلود في الجنة أو في النار أبدى.

- انكار الشفاعة لأهل الكبائر الذين ماتوا قبل التوبة.

- الولاية والبراءة واجبتان. (4)

- لله صفات واجبة وهي التي لايمكن القول بوجوده بدونها فهو العليم بذاته ،

---

(1) د. رجب محمد عبدالحليم ، الاباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم باباضية عمان والبصرة ، ص: 58.

(2) ينظر: الخليلي أحمد بن حمد (الشيخ) ، الحق الدامغ ، مطابع النهضة عمان 1409 هـ/ 1989م.

- عزة محمد عبد المنعم زايد ، رؤية الله تعالى بين المثبتين والنافين (رسالة ماجستير) مكتبة الاستقامة ، سلطنة عمان ، 1980م.

- أبو يعقوب الوارجلاني ، الدليل والبرهان ، (ط. حجرية البارونية مصر ، 1306هـ/ 1888م) ص 54 - 72.

(3) صالح بن أحمد الصوافي ، الامام جابر بن زيد ، ص: 233.

==

القادر بذاته، القدير بذاته، السميع بذاته، لا تأخذه سنة ولا نوم، و ولايخلو منه مكان، ولاتحيط به الأكوان، ولاتغنيه الأزمان، (1) وعكس هذه الصفات مستحيلة عليه.

- لامنزلة بين منزلة الايمان والكفر، ولايوافقون أهل السنة بأن مرتكب الكبيرة مسلم، بل هو كافر كفر نعمة، لا كفر شرك (2) وذلك استنادا الى الآية الكريمة "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون" (3)، وفي آية "فأولئك هم الظالمون" (4)، وفي آية "فأولئك هم الفاسقون" (5) فالتعبير بالفاسق أو الكافر، أو الظالم حكم واحد والاختلاف لفظي (٤)

- الايمان اعتقاد، وقول، وعمل، ولايمكن الفصل بينها.

وعلى هذه الأسس الدينية العلمية والعملية وقع التلاحم بين الناحيتين، فلا نستطيع أن نفصل المظاهر الدينية عن الأثر العلمي و الفكري.

اذ أن بسبب الدين وقع الشوق إلى إرتياد أماكن العلم. كما أن بالرجوع الى العلم عمّرت المساجد، وظهرت حلق التعليم بها، وتبلورت الحياة الفكرية، وظهرت أنظمة تربوية جديدة، ونتاج فكري زاخر.

---

(4) علي يحي معمر، أضواء على الاباضية، المطابع العالمية، روى - عمان 1985م، ص 16- 17.

(1) د. مصطفى الشكعة، اسلام بلا مذاهب، الدار اللبنانية المصرية، ط 7، مصر 1989م، ص144 "بل يقول الاباضية بعدم حلول الباري في الامكنة

(2) يحي هويدى، تاريخ فلسفة الاسلام في القارة الافريقية، ج 1 في الشمال الافريقي، طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية - القاهرة، 1965م، ص: 57.

(3) المائدة، الآية 44.

(4) المائدة، الآية 45.

(5) المائدة، الآية 47.

(6) د. محمد ناصر، الاباضية المذهب والتصور والواقع (مقال) جريدة السلام، (الجزائر) يوم 19/ 2/ 1990م.

النظـــام التر بو ى الديني :

لقد كانت وارجلان عاصمة اسلامية ومركز اشعاع علمي وحضاري، ومرآة صافية تعكس نور الايمان على مجاهل افريقيا السوداء واشتهرت من سدراته (1) وتينبا ماطوس، (2) ، وآجلو (3) ـ تينسلي ـ (4) ، وتماواط (5) وايفران (6) ، وحتى جبل العباد بكثرة المساجد وأماكن العبادة ، حيث يحي العبّاد الليالي تلو اللّيالي في عبادة الخالق عزّ وجلّ ، حيث ترتبط قلوبهم بأسباب السماء رغم بعد الشقة وصعوبة المراقي .

وبالتمسك الشديد بالدين الاسلامي شغف الناس بالبحث في الحلال والحرام ، ورغم صعوبة اللغة العربية على البربر من زناته وغيرها من القبائل الأخرى ، فإنهم دأبوا على تعلّمها وتعليمها حتى يفهموا القرآن الكريم وأحكامه ، ويفهموا السنة المطهرة، وآثار الصحابة والصالحين .

ففتحت من أجل ذلك أماكن لحلق التعليم بنظام صارم دقيق يجمل

---

(1) سدراته: جنوب وارجلان تبعد عنها بـ 14 كلم .
(2) تينباماطوس: شمال شرق وارجلان قرب آجلو، وذكرها مع آجلو كثيرا يجعلنا نعتقد أنها ملاصقة بها (ان لم يكن هذا الاسم اسما ثانيا لها) وينسبها ليفتسكي الى أبي ماطوس وهي شخصية إباضية ـ وكلمة تين، للنسبة وقال بأنها توجد قرب تين اسموين ـ وهذه يجهل مكانها .
(3) آجلو: هي قرب بلدة اعمر جنوب تقرت بـ 20 كلم .
(4) تينسلي : اسم مرادف لـ : آجلو .
(5) تماواط: قرب وارجلان ـ اندثرت . كانت موجودة الى القرن 11 م .
(6) ايفـران: جنوب تينباماطوس ورد ذكرها في القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادى . وكل هذه القرى قد اندثرت .
ينظـر : T. LEWICKI , <u>Etudes Magrébines et Soudanaises</u> , T II , p. 84 .

طالب العلم يخضع لقوانين في هيئته ، وسلوكه ، ومعاملاته ، وطريقة تحصيله .

وضرب طلبة العلم أكباد الإبل الى أماكن بعيدة قصد استجلاء الحقائق واستقصائها إلى كلّ من البصرة شرقا وإلى قرطبة شمالا . واستطاعوا أن يتركوا لنا مصنّفات كثيرة يعجز الانسان عن عدّها منها مابقي إلى اليوم ومنها ما أتلفته الأرضة ، ومنها المحروق في الفتن العمياء ، ومنها المسروق لغفلة الخلف عن قيمة أعمال السلف.

فبعد اعتناق أهل المغرب الدين الاسلامي صاروا بحاجة الى من يعلّمهم أمور دينهم . إذ أن أغلب الجند من الفاتحين كانوا يرجعون بعد أن يطمئنوا الى أنّ أهالي المغرب قد أذعنوا للحكم الاسلامي .

ومهما تركوا من حامية وفقهاء فالبربر المتفرّقون في شتى الأماكن يصعب عليهم الاتصال بهم ، وقد ذكر ابن سلام في كتابه شرائع الدين أنّ أوّل الحريصين على أخذ القرآن والعلم من السابلة المارة من جند العرب ، عمر بن يمكتن (1) بطريق (مفمداس) وكان يكتب عنهم لوحه من القرآن، وحينمايحفظه يرجع مرة ثانية للاستزادة من المارة حتى حفظه . وعلّمه بجبل نفوسة بمنزل إيفاطمان (2).

ويعزحسن حسني عبد الوهاب ذلك الى سببين :

---

(1) عمر بن يمكتن : مات مع أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح سنة 144 هـ وهو أصغر ولد دموا الحمد انية بنت درجوا ـ امرأة يمكتن .
ينظر : ابن سلام ، الاسلام من وجهة نظر اباضية (أوشرائع الدين) تح : سالم بن يعقوب ـ شفارتز ، دار اقرأ ـ بيروت ، 1405هـ/ 1985م ص: 149 .

(2) قرية بجبل نفوسة .

أولهما : حرص أبناء الأهالي الأصليين على تعلّم الدين الجديد ومزاحمة أبناء الفاتحين في المعرفة .

ثانيهما : قلّة وجود المصاحف المكتوبة في ذلك الوقت . (1)

وكأن انتظار السابلة لم يرق أهل المغرب العربي ، وربما قد شقّ عليهم ذلك فكان من أول المسافرين الى حلقة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة (2) بالبصرة ابن مغطير النفوسي .

وتلته بعثة مكثت هناك خمس سنوات تدرس على أبي عبيدة مختفية في الغار خوفا من جور الأمويين و عمالهم (3) ، وحينما اطمأنّ أبو عبيدة الى علمهم واستأذنوه بالسفر أذن لهم . (4)

وهكذا رجعت البعثة الى المغرب العربي لا نارته بالمعارف الاسلامية ، وقد مهّد لهم الطريق كل من سلمة بن سعد ، وابن مغطير السالف الذكر .

---

(1) حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية ، (تونس 1392 هـ / 1972 م) ص 80

(2) ابوعبيدة مسلم بن أبي كريمة ، أخذ العلم عن الامام جابر بن زيد الأزدى العماني وعن عائشة أم المؤمنين ، وكان يعلّم طلبته في غاره بالبصرة ويتظاهر بعمل القفاف .

(3) ومن عمالهم على البصرة آنذاك الحجاج بن يوسف .

(4) كانت البعثة العلمية تتكون من :

أبي الخطاب عبدالأعلى ابن السمح المعافري (من اليمن)

اسماعيل بن درار الغدامسي (من غدامس)

عبدالرحمن بن رستم (من فارس)

أبوداود القبلي (من جنوب تونس)

عاصم السدراتي (من الأوراس)

ولما شرعوا في تفقيه أهل المغرب ودعوتهم ، وجدوا لدعوتهم شيوعا واستجابة لما كان من ظلم بني العباس من جهة ، ومن ظلم بعض القبائل مثل قبيلة الورفجومية بالقيروان من جهة أخرى .

ولا شك أن لإقامة أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح (1) دولته في طرابلس أثره الفعّال في نشر العلم الذي تلقّاه من المشرق .

ومثلما اتّجه التيار الثقافي وتيار الدعوة الى جهة تاهرت حيث أسّس عبدالرحمن بن رستم (2) الدولة الرستمية ، فكان الرستميون كما وصفهم الدرجيني قائلا : " وكان بيت الرستميين (3) بيت العلوم ، وجامعا لفنونها من علم التفسير ، والحديث ، والفرائض ، والأصول ، والفروع ، وعلم اللسان ، وعلم النجوم " .

نجد تيارا ثقافيا آخرا اتّجه صوب الجنوب نحو أريغ وأسوف ووارجلان لعوامل كثيرة : نذكر منها

1ـ الحزام السكاني الممتد دون انقطاع من جبل نفوسة الى واحات وارجلان

---

(1) التقى بطلبة العلم الخمسة وأتى معهم الى المغرب الاسلامي وبايعه أهل طرابلس على الامامة على أن يقيم حدود الله ويحكم بشريعته وسنة نبيه محمد عليه الصلاة والسلام وذلك سنة 140 هـ .

(2) مات أبوه في الحج وتزوجت أمه بأ... من تونس وأتى بهما إليها مولي ولاية القيروان و الامامة في تاهرت ، فكان أول امام للدولة الرستمية وذلك سنة 160 هـ .

(3) وأشهر علماء بيت الرستميين الامام عبد الوهاب بعث ألف دينار الى البصرة لشراء الكتب ولم يجد فيها مايضيفه الى علمه إلا مسألتين لو سئل عنهما لأجاب عنهما قياسا على نظائرهما .

ينظر : الدرجيني ، طبقات ج 1 ، ص 56 .

الأهلة آنـذاك.

2- الحوادث السياسية التي جعلت الاباضية يتراجعون أمامها الى واحات وارجـلان، أو الى أماكـن جنوبية أخرى. نذكر منها هذه الحوادث:

أ) وقعة مانـو: بين النفوسيين وابراهيم بن أحمد الأغلبي في عهد المتوكل العباسي حيث اقتتلوا قتالا عنيفا، وكانت الحصيلة اثني عشـر ألف قتيل من الاباضية - أربعة آلاف نفوسي، ثمانية ألـف بـربري ومنهم أربعمائة عالم فقيه. وذلك سنـة 283 هـ. (1)

ب) سقوط الدولة الرستمية: سنة 296 هـ أمام هجمات عبيدالله الشيعـي وفرار العائلات الرستمية بما فيها العلماء أمثال الامام أبي يوسف يعقوب بن أفلح، وتعقـب جيش عبيد الله الفاطمي الشيـعي له إلى وارجـلان ومحاصرته لجبـل كريمة سنة 297 هـ. (2)

وحرق الشيعيين لكتب المذهب الاباضـي الفقهية، وخاصة ديـوان تاهرت ولم ينج منها إلاّ ما انتقوه لأمر دنياهم.

ج) معركـة باغـاي: التي هزم فيها الفاطميـون الاباضية بقيادة شيخين من مشائخهم وهما أبو خزر يغلا بن زلتاف، وابو نوح سعيد بن زنغيـل وفراره الى وارجلان (3) بعد الهزيمة وذلك في 23 شوال سنـة 358 هـ.

(1) أبو زكريا، السيرة، ص 153.
(2) الدرجيني، طبقات ج 1، ص 95.
(3) ينظر: أبو زكـرياء، السيرة، ص 201- 222.

د) تخريب قلعة درجين سنة 440هـ من طرف الصنهاجيين وفرار بعض العلماء الى آجلو (1) . كل هذه الأسباب جعلت المنطقة تعجّ بالعلماء من جهة ، و من جهة أخرى صار العلماء يفكّرون في مسلك آخر غير المسالك (2) التي لا تجدى نفعا أمام قوة أعدائهم من إمامة ظهور ، و دفاع ، وشراء ، وهو نظام تربوى المنهج ، شمولي المقصد يهدف الى حفظ كيان المذهب دون الظهور على الساحة السياسية و هو نظام حلقة العزابة السائد الى حدّ اليوم بوارجلان و قرى وادى ميزاب . (3)

أ) نظام الحلقة :

أنشأ أبو عبد الله محمد بن بكر نظام الحلقة و هو نظام تعليمي رائع ويبدو أنه لم يسبقه الى هذا النظام أحد قبل ، جامعا بين النظام التعليمي ، و بين النظام الديني السائر على شتى مناحي الحياة اليومية للمسلمين في نظام داخلي بديع . وهو في الحقيقة كما قال الشيخ علي يحي معمر : " يحتاج إلى دراسة متوسعة ، وكتب مفردة لأن في ذلك المنهاج اقرارا لكثير من الآراء التربوية التي نعتقد أنها حديثة وأنها آتية من الغرب .

وذلك كحالة توحيد اللباس ، والتربية العملية ، و الرحلات المدرسية ، واشتراك الطلبة في إدارة المدارس وغير ذلك من الآراء التي يفخر الناس بها اليوم ". (4)

(1) ينظر الدرجيني ، ج 2 ، ص 404 .
(2) من مسالك الدين أربعة ، ينظر فصل الحياة السياسية والاجتماعية .
(3) قرى وادى ميزاب: توجد في الجنوب الجزائري تبعد عن العاصمة بحوالي 600 كلم وهي : العطف ، بنورة ، بني يزجن ، مليكة ، غرداية ، القرارة ، بريان .
(4) علي يحي معمر ، الاباضية في الجزائر ، ج 1 ، المطبعة العربية - غرداية 1985 - 1986م ، ص : 183 .

مؤسس نظام الحلقة :

هو أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي و لد سنة 345 هـ وتوفي سنة 440هـ بتين اسلي (بلبدة عمر) ودفن بها .(1)

نشأ بفرسطا بجبل نفوسة شرق كباو ، أخذ العلم عن الشيخين : أبي نوح سعيد ابن زنغيل (2) و أبي زكريا بن أبي مسور (3) ، و لما مات أبو نوح انتقل إلى القيروان للاستزادة من علوم اللسان ، و في طريقه الى تاجديت للاستزادة من علم الفروع على الشيخ أبي عمران موسى بن زكرياء ، وفد اليه أبناء شيخه أبي زكريا فصيل : زكريا و يونس ، وابن اخته ابو بكر بن يحي (4) و من معهم طالبين منه أن يعقد لهم الحلقة .

فامتنع وراودوه أياما ، و لما كان في المسجد سمع رجلا يودع صاحبه و يقول له : يافلان : "اجعلها لله لاتخب". فتفاءلوا بذلك جميعا ، و اشترط عليهم أربعة أشهر ليرد الجواب ، و بعد الاستخارة اقترح عليهم الذهاب إلى ريغ قائلا : " ان ههنا ناسا رقاق القلوب أرجو أن ينتجع فيهم الاسلام ، و يتلقوا مانحن عليه بالقبول و يكونوا لهذا الخير أهلا و هم مغراوة ريغ ، فما رأيكم في الانتقال

---

(1) د . عمرو خليفة النامي ، محاضرة (مرقونة) : ملامح الحركة العلمية في وارجلان ، ملتقى وارجلان 1977 ، ص 7 .

(2) ابو نوح سعيد بن زنغيل من الطبقة الثامنة (350هـ - 400 هـ) ، الدرجيني ص 143 ، 353 .

(3) ابو زكرياء فصيل بن أبي مسور يسجا بن يوجين اليهراسني من الطبقة الثامنة ، الدرجيني ، طبقات ج 2 ، ص 361 .

(4) ابو زكرياء ، كتاب السيرة ، ص 252 .

الى جهتهم ." (1)

وبعد مدّة من التفكير تقرب من أربعة أشهر وضع أبو عبد الله نظام الحلقة ملبّيا رغبة شيخه أبي زكريا بن أبي مسور في تينشلي في الغار (2) الذى أعدّه له أبو القاسم يونس بن ويزكسن الوليلي لدى مغراوة ريغ .

وكان لكثرة تنقّله مع تلامذته أن قال فيهم عبد الله ابن الأمير " عجبا لهذا الشيخ وأصحابه ، إنّما مثلهم كمثل الحوار يين لعيسى بن مريم ".(3)

أما سبب مجي أبي عبد الله الى وارجلان فهو الظلم الذى حدث من بني ورمار اذ قطعوا الطريق ، وأكثروا الأذى فجمع أبو عبد الله جماعة أهل أريغ وحثّهم على دفع الظلم ، ولكنهم أجابوا بقولهم " لا طاقة لنا وما عسى أن نقدر عليه؟ " فأجابهم " نحن نقدر على أنفسنا " (4) حينئذ قرّر الذهاب إلى وارجلان فنزل بايفران ، فأقام بها عاما ، وكان هذا الفرار من أريغ لعاملين:

1- لدفع جماعة أريغ لتغيير المنكر بأنفسهم عن منطقتهم .

2- لتأمين الطريق للعزابة الذين يفدون إليه ، و يقتلون بأريغ .

وكانت له رحلات أيضا الى بادية بني مصعب ابّان الربيع لمآرب كثيرة منها طلب راحته، وراحة طلبته ، حيث الجوّ ألطف والهواء أنقى، (5) وله في الميدان

---

(1) الدرجيني ، الطبقات ، ص 169 .
- ابو زكرياء ، السيرة ، ج 2 ، ص 254 .

(2) يسمى النار بالتسمي ويسمى أيضا التسعر . نسبة الى سنة 409 هـ التي أسس فيها نظام الحلقة . وبالمناسبة وقع الاحتفال بذكراه الألفية في غرداية عاصمة ميزاب سنة 1409 هـ ، وقد كتبت في الموضوع رسائل جامعية ودراسات قيّمة . اطلبها تحت عنوان : الحلقة - العزابة .

(3) الدرجيني ، طبقات ، ج 1، ص 186 .

(4) الدرجيني ، طبقات ، ج 2 ، ص 386 .

(5) المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 183 .

العلمي الآثار الكثيرة ، وقد ألّف في الحجج والبراهين ، وفي الأخلاق (1) ولكن لم يصل الينا شيء منها بل لم تذكر كتب السير جميعها عناوين كتبه .

" ومات رحمه الله في غاره في تين يصلى وقبره قبالة الغار وقال عبد الرحمن بن عمر جعلت علامته شجرة يقال لها المنظوان وهي بالبربرية تا عقايت " (2)

وترك من الأبناء : أبا العباس أحمد بن محمد : صاحب التآليف.

وأبا يعقوب يوسف بن محمد

وابراهيم بن محمد .

ومن الذين درسوا على ابن زنغيل وكان لهم الفضل في ترتيب الحلقة أيضا في بدايتها أبو الخطاب عبد السلام بن منصور بن أبي وزجون المزاتي. (3)

وكانت رحلته الأخيرة من قلعة درجين سنة 440هـ الى سوف ثم الى آجلو مع قبيلة ورتزلين أمام هجمات الصنهاجيين فوجد أبا عبدالله محمد بن بكر في آخر أيامه ، ويحتمل جداً أنه واصل السيرة التي بدأها ولو أن المصادر سكتت عن ذلك .(4)

2) <u>التنظيم الاداري للتعليم :</u>

لم تكن الحلقة منظمة بنفس الطريقة التي استحدثها أبو عبد الله محمد بن بكر .

---

(1) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 377 .

(2) نقلا عن مخطوط قديم من لغوف - مجهول المؤلف - تحت رقم 277 .

ينظر :
- T. LEWICKI, Mélanges Berbères-Ibadites, R.E.I. Paris. PAUL GEUTHNER, 1936. T,X , p. 277 .

(3) ينظر:
- FEKHAR. (Brahim ben Moussa, Docteur,) Les Communautées Ibadites en Afrique du Nord depuis les Fatimides , thèse , Sorbone , Paris III , 1971 , p. 64 .

(4) الدرجيني ، طبقات ، ج 2 ، ص 407 .

إذ أن الحلقات الموجودة في المساجد حول المشائخ ، أو في أماكن خاصة للتدريس أقل إحكاما من حيث نظام أبي عبد الله الجديد .

فأبو عبد الله رأى أن على الطالب أن يلزم أماكن الدراسة كامل أوقاته ، أو بالأحرى كامل فترته الدراسية فيجمع بين الدراسة والسكن ، و بين العبادة ، وطلب العلم .

و أسند للطلبة وظائف ، فكوّن منهم عرفاء فصاروا يشعرون بالمسؤولية، وبالتالي يلتزمون بآداب خاصة حتى ينالوا احترام غيرهم، ويخففوا عن الشيخ أعباء كثيرة لا يستطيع القيام بها وحده .

وهذا النظام نظام الحلقة ، أي نظام العزابة سيأخذ شكلا آخر على مرور الزمن ، فهو ينحصر الآن في الهيئة الساهرة على الأمور الدينية مثلما يسهر على حياة المجتمع في شتى مناحيه ، في جوّ من الترابط و التلاحم .

أ - مهام الشيخ :

بعد أن نلقي نظرة خاطفة على الهيكل العام لأعضاء الحلقة نلاحظ أنهم ينقسمون إلى صنفين : آمرين ، و مأمورين ، وفي أعلى الهرم بالنسبة للآمرين نجد الشيخ ، والشيخ وحده هو الذى تنتهي إليه المسائل العويصة للفتوى ، و هو المرجع الوحيد و الأخير لدى كل الأمور التنظيمية ، وهو وحده الذى يستطيع أن يصدر العفو بعد الخطة والهجران(1) ولا يصل إلى هذه المرتبة إلاّ بعد أن يبلغ مبلغا عظيما في العلم ، و الورع ، و التقوى ، ولا يجلس الى الحلقة إلاّ بعد أن يأنس من نفسه ذلك ، ولا يردّ المسألة الى غيره

---

(1) البرادى ، ابو القاسم بن ابراهيم ، الجواهر المنتقاة لما أخلّ به كتاب الطبقات ، طبعة حجرية مصر 1302هـ/ 1884م ، ص 209 .

من المدرسين بأعمال سبيل الاحترام والتقدير .

وتتلخص مهامه التربوية في الحلقة على الآتي :

1ـ الجلوس للطلبة فنون العلم في وقت معلوم ليأخذوا عنه الدروس.

2ـ الاستفتاح وهو قيامه في الثلث الأخير من الليل ، أو الربع الأخير ، يفتح حيثما وصلوا ليلة البارحة ، بعضهم يقرأ و بعضهم يدرس وحده إلى الفجر.

3ـ الجلوس بأثر الختمات للجواب على الأسئلة في أي فن كان ، و بذلك تلاميذه فيما حصلوه .(1)

4ـ الحكم بين المختلفين و المختصمين من التلاميذ .

مهام الشيخ خارج أوقات الدراسة في الحلقة :

1ـ يجمع التلاميذ يوم الاثنين و الخميس فيعظ ، ويذكر ، ويحذر ، ويسأل عن أحوالهم فمن عيب عليه شيء فالخطة و الهجران للكبير و الزاوية والبلد الصغير .

2ـ يأذن لعابر السبيل في الاقامة ، أيام حلوله كضيف ، ويأكل من غير المدخر ، أو الدخول في الحلقة بعد الاستفسار عن سيرته لدى أهله و ذويه .

3ـ يأذن فيما يشترى أو يباع من الأقوات ، و مايدخر و مالا يدخر منها .

4ـ يأذن في قسمة مايفتح الله من رزق ، أو أوقاف على التلاميذ .

ومع ذلك فالشيخ لا يستنكف أن يقوم بأعمال يرى فيها الأجر والثواب .(2)

---

(1) ينظر : الدرجيني ، طبقات ، ج 1 ، ص 172 .

(2) قد يقوم بها العزابة دونه ، وهذا مايرويه أحد تلاميذه قائلا : " كنا في حلقة أبي عبدالله نقرأ عليه فكان العزابة أرادوا كنس الغار فكنس معهم الشيخ أبو عبد الله ، وجعل يرفع معنا الكناس على عاتقه ، فقال له يوما بعضنا وهو ينقل معنا : أقعد ياشيخ فان العزابة يكفونك . قال : أويحملون علي ذنبي ؟ " . ينظر : الدرجيني ، طبقات ، ج 2 ، ص 392 .

ب) العرفـــاء :

يختار الشيخ عرفاءه من خيرة الطلبة اجتهادا، وذكاء ، واخلاصا، فيصنفهم صنفين: صنف لاعانته في التدريس و هم من حملة القرآن .

وصنف لمراقبة (الداخلية) وهذا يكفي فيه واحد للختمات و النوم ، وآخر للطعام .

فالمجموعة الأولى : ترتبط بجماعة الألواح من طلبة القرآن فيملون عليهم، ويصححون ألواحهم . وكل واحد يختص بمجموعة لا تقل عن اثنين ولا تزيد عن عشرة إلاّ في حالة الضرورة عند كثرة الطلبة ، و قلة العرفاء . (1)

أما العريف : المكلف بالختمات و النوم فمهامه تنحصر فيمايلي :

- عليه ارتصاد الحزب للمذاكرة فينبه الشيخ في الغد مكان الحزب بالأمس.
- عليه أن ينادى بنوم الهاجرة ، ويلزم من لاعذر له على النوم .
- عند غروب الشمس ينادي للختمة .
- بعد صلاة العشاء ، وقراءة القرآن ينادى بالدعاء .
- بعد قراءة بعض المواعظ على الشيخ ينادى بالنوم .

و من خالف هذه الأوامر يتعرض للعقوبة المتمثلة في الخطة والهجران للكبير، والزاوية والجلد للصغير . أو الطرد إن اقتضى الأمر .(2)

أما العريف المكلّف بالطعام : فهو الذى ينبّه الطلبة والعزابة على ملازمة حسن الآداب اذا كان الطعام خارج اقامتهم عند شخص عامي ، وذلك بشعار حسّان ، أو حسّان بن ثابت ، أو أحسنوا آدابكم .(3) واذا كان الطعام عند

(1) البرادى ، الجواهر ، ص 212 .
(2) الدرجيني ، طبقات ، ج 1 ، ص 177 .
(3) يبدو أن العريف قديما كان من كبار العزابة ، لماله من سلطة الأمر والنهي .

ب) العرفـــاء :

يختار الشيخ عرفاءه من خيرة الطلبة اجتهادا، وذكاء ، واخلاصا، فيصنفهم صنفين: صنف لاعانته في التدريس وهم من حملة القرآن .

وصنف لمراقبة (الداخلية) وهذا يكفي فيه واحد للختمات و النـوم ، وآخر للطعام .

فالمجموعة الأولى : ترتبط بجماعة الألواح من طلبة القرآن فيملون عليهم، ويصححون ألواحهم . وكل واحد يختص بمجموعة لا تقل عن اثنين ولا تزيد عن عشرة إلاّ في حالة الضرورة عند كثرة الطلبة ، و قلة العرفاء . (1)

أما العريف : المكلف بالختمات و النوم فمهامه تنحصر فيما يلي :

- عليه ارتصاد الحزب للمذاكرة فينبه الشيخ في الغد مكان الحزب بالأمس.
- عليه أن ينادى بنوم الهاجرة ، ويلزم من لا عذر له على النوم .
- عند غروب الشمس ينادى للختمة .
- بعد صلاة العشاء ، وقراءة القرآن ينادى بالدعاء .
- بعد قراءة بعض المواعظ على الشيخ ينادى بالنوم .

و من خالف هذه الأوامر يتعرض للعقوبة المتمثلة في الخطة والهجران للكبير، والزاوية والجلد للصغير . أو الطرد إن اقتضى الأمر .(2)

أما العريف المكلّف بالطعام : فهو الذى ينبّه الطالبة والعزابة على ملازمة حسن الآداب اذا كان الطعام خارج اقامتهم عند شخص عامي ، وذلك بشمار حسّان ، أو حسّان بن ثابت ، أو أحسنوا آدابكم .(3) واذا كان الطعام عند

(1) البرادى ، الجواهر ، ص 212 .
(2) الدرجيني ، طبقات ، ج 1 ، ص 177 .
(3) يبدو أن العريف قديما كان من كبار العزابة ، لماله من سلطة الأمر والنهي .

عزابـي فيميلون إلى الانبساط من اقتراح مايحسن طعامهم .

- والعريف يرتب جلوسهم، ويأمر بالماء ليغسلوا ، وبعد الطعام ينادى بالدعاء .

- وإذا كان الطعام يحتاج الى اعانة ومعالجة فلا يشغل الطلبة المشغليـن بدراستهم بل يعفيهم ويميل إلى غيرهم .(1)

ولعل أجمل ملحظ نراه في أكلهم : انهم يقسمون الى طوائف و يكون في كل طائفة عريف عليها أكبر المجموعة سنّا و أكثرهم تضلّعا في الشريعة و العلوم، فيلقي ثلاث مسائل في فنون مختلفة، ويكون الجواب عليها ميامنة فان عثر أحدهم أمسك يده عن الطعام تلقائيا الى أن يتذكر الجواب.

وبهذا نرى أن هذا النظام محكم ويستغل جميع وسائل الزجر ، والترغيب ويصل الحد به الى أن يحرم الطالب من الأكل وهو يشتهيه ، وخاصة وقت الخصاصة ، وقد لاتروق علماء النفس هذه الطريقة الآن ولا يجرؤون على تطبيقها أيضا و لو علموا جدواها .

ولعلّ من أهم تأثيراتها حين يدعى طالب الحلقة لهذا النظام أنه يحضّر نفسه قبل كل طعام يوميا تحضيرا ينصرف ذهنه كلّيا الى حفظ المسائل، وإلى الاختبارين الصعبين: الجواب على المسائل ، أو الامساك عن الطعام إلى أن يمنّ الله عليه بالجواب.

ج) <u>الطلبة أو(العزابة):</u>

يعرّف الدرجيني كل من طلب العلم و لازم الطريق وسير أهل الخير ، و حافظ عليها وعمل بها - بالعزابي - وان حصل العلم دون السير لم يسمّ به .(3)

---

(1) البرادى ، الجواهر ، ص 210 .

(2) الدرجيني ، طبقات ، ج 1 ، ص 175 .

(3) الدرجيني ، طبقات ، ج 1، ص 3 .

أى أن طالب العلم يشترط فيه شروط معلومة لكي يصل الى العزابي، تجمع بين طلب العلم و الالتزام بمبادئ الدين الاسلامي الحنيف، و الاقتداء بعمل الصالحين من قبلـه .

و مجموع العزابة مع شيخهم يكوّنون الحلقة ،وبهذا تغير اسم الحلقة من نظـام في الجلوس حول الشيخ ، الى مجموع العزابة مع الشيخ كيفما كان وضعهم، أو مكانهم . فالعزابة " اسم لجماعة تشتمل على الشيخ يعلّمهم العلم و يلقّنهم السير ، ويبصّرهم في الدين بحسب مايفتح الله على كـل واحد منهم . . . . فكأنهم محلّـقون و لـو أنهم مفترقون . " (1)

يتـألف الطلبة حسب السن من كبار و صغار ، والكل يجتهد في طلب العلـم، والالتزام بالضوابط التي رسمها المشايخ حتى لايتعرض لعقوبات صارمة ، وان كانـت الرغبة التي دفعته لطلب العلم ، و طاعته لمشائخه تحدوان به إلى الابتعـاد عن العقاب المعنـوى ، أو المـادى .

فالسنّ اذا لاتشترط في طالب العلم مادام الهدف هو معرفة الشريعـة الاسلامية ، و الفرد المسلم يحتاج اليها في كامـل أطوار حياته ، بل يعدّ ذلك عبادة لاتعدلها عبـادة .

و الطلبـة صنـفان: كـبار ، وصغـار .

و الكبار منهم المجدّ ذو المواهب الحسنة ، ومنهم المجدّ ذو المواهب المتو[illegible] ، و أما الطلبة الذين لايبذلون جهدا فعادة مايتعرّضون للخطة والهجران، أوالطرد اذا كانوا كبارا ، والزاوية و الجلد، أو الطرد اذا كانوا صغـارا .

و المجدّون من ذوى المواهب الحسنة عادة مايكون منهم العرفاء . و أما ذوو المواهب المحدودة " فينبغي أن تكون خدمة الطعام من هؤلاء الذين لم يفتح الله عليهـم

---

(1) م . س ، ج 1 ، ص 4 .

بشيء ، ولم يشــرح صدورهم للعلم ، لكن ينفعهم الله بخدمة أهل الخيــــــر ويوفيهم فيها أجورهم ." (1)

و من أمثلة هؤلاء " بلغن من تلامذة أبي عبد الله محمد بن بكر و كان يخــدم المزابة في تين يسلي ويخبز لهم الرغائــفه وكان يتمنى في خدمتهم و يحتســب ماعنــد الله " (2)

وقد يعجب البعض من تقصير هؤلاء أول الأمر ان جهل أن الكبير عـــادة مايتخبط في مشاكــل اجتماعية تكون سببا في انشغال باله ، و تشتت ذهنه رغــم انقطاعه للتعليم .(3)

و أما الصّنف الأخيــر : فهم الز منى والعميــان ، فقد نطق بعذرهم القرآن .

و نرى هذا النظام من التعليم يعذر كل انسان قاصر في فهمه ملتزم بالنظــام والحضور علّه يستفيد شيئا ينفعه لدنياه وآخرته .

ومثلما يلتزم بالحضور والانضباط يشترط عليه هندام خاص و هيئة خاصــــة : منهــــا : ــ لبس البياض ، و عدم السماح بالثوب المصبوغ .

ــ حلق شعر الـــرأس.

ــ إذا لبس العمامة فعليــه بالتلحي .(4)

د) <u>أما كــن التدريــــس :</u>

ليست المساجد أماكن لتأدية الشعائر الدينية فقط ، مثل الأديرة و الكنائـــس

---

(1) البرادي ، الجواهر ، ص 216 .

(2) أبو زكرياء ، السيــر ، ص 349 .

(3) الدرجيني ، طبقات ، ج 1 ، ص 180 .

أنظر مالاحظه الشيخ أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني حينما دخل حلقة وارجلان في ربيع الأخــير سنة 616 هـ عند أول صومه في شبابه .

(أورده البرادي أيضا في جواهــره ص 215) .

(4) الدرجيني ، طبقات ، ج 1 ، ص 171 .

الوسياني ، سير ، ذكر التلحي ص 4ـ 7 .

و البيــع ، بل هي المكان الذي يتقاضى فيه الناس،وتنعقد فيه ألوية الجهاد ، وتعقد فيه حلقات الذكر والعلم فهي مراكز اشعاع لجميع مناحي الحياة البشريـــة مادامت هذه الحياة مطية المسلم إلى دار سعادته الأبديـة .

و من أمثلة ذلك مسجد الشيخ جنون بن يمريان حيث كان الشيخ ابو نوح سعيد ابن زنغيل يعقد فيه حلقته ويقول الدرجيني : " وكانت جماعة أهل وارجلان تجتمع عند مسجد الشيخ جنون فمنهم المستفيد علما ، و منهم المتبرّك بمشاهدتـه ، و المشارك فيما يعرض من أمور دنياه ودينه ، و المقتني خلقا يتحلّى به ، والمستزيد من معرفة سبب السير ، فكـلّهم منقلب بخير وفضـل" . (1)

وقد تعقد حلقات الدراسة في دار يبنيها الشيخ خصيصا لذلك ، وقد تكـون مجاورة لدار سكناه وذلك رمز للقرابة الروحية . ويروى الدرجيني (2) حديثا عـن جـدّه يصف فيه دار الشيـخ أبي سليمان (3) أيوب المخصصة للعلم فيقول : "حدّث جدى يخلف بن يخلف التميجارى رحمه الله قال : كان شيخنا أبو سليمـان أيوب بن اسماعيل كثير الابرار لتلاميذه ، و كانت له داران بوارجلان متقابلتان يفصل بينهما طريق ، وفوق الطريق ساباط وصـل بين الدارين من علو ، فإحدى الداريـن دار سكناه والأخـرى مطلقة للتلامذة ، و الأضيـاف ."

وقد تكون الغيران أماكـن لعقد الحلقات مثلما تكون مقـرّا لسكنى المشائخ والطلبة . فقدعقد أبو صالح الياجراني (4) حلقة للعزابة في غيران أبي أجاج خارج وارجلان . وهذا شبيه أيضا بمافعله أبو عبدالله في آجلو حيث أعـدّ له غار (5) خصيصا

---

(1) الدرجيني ،طبقات ، ج 1، ص 144 .

(2) الدرجيني ، طبقات ، ج 2، ص 459 .

(3) أبوسليمان أيوب : هوالشيخ أبويعقوب يوسف الوارجلاني وقد رثاه بعد وفاتـه بقصيدته البائية المشهورة . (من الطبقة الحادية عشر 500 ـ 550) .

(4) أبو صالح الياجراني من الطبقة الثامنة(350 ـ 400 هـ) .

(5) لقد زرت هذا الغار ولايزال الوحدّ الآن في آجلو ـ بليدة اعمرـ وهو على ==

لذلك كما مــــرّ .

وقد تكون المدرسة متنقلة ـ بسيسافر العلماء بتلاميذهم بالقوافل التي تحمل المؤونــة والحصر، وحينما يجدون المكان اللائق ينصبونها ، وتتألف المدرسة من أقسام : قسم للصلاة ،قسم للشيخ ، قسم للنساء، وبيوت للتلاميذ .(1)

وهكذا يجد الشيخ عبد الرحمن بكلي في مقدمة كتاب الطبقات للدرجيني تعليــلا رائعا لهذا التنقّل الدؤوب ، وهو التعوّد على عقد رحلات للدعوة الى اللــــه وتــفقّد أحوال المسلمين، مع التدرب على خشونة العيش، وترك حظوظ النفــس إرضــاء للّــه .

وبالفعل فقد نتج عن ذلك تزاور في اللّــه ، فصار أهل المشرق يزور أهــــل المغــــرب ، وأهل المغــرب يزور أهـل المشـرق .(2)

ومن أهداف هذه الرحــلات تتبع المشايخ حيث يقيــمون ولو كانوا في أمـــور دنياهــم .

فأبو عبد الله رحمه الله ينتقل بحلــقتــه إبّان الشتاء إلى أبي سليمان" فيقيمــون حتى يسمعوا صيّ البعوض فينزل الى ضيعتــه ".(3)

وكذا كان ينتــقل الى بادية بني مصعب في الربيع حيث الهواء المنعش فــرارا من تمكّــر الجــوّ .

= شكل سراديب ينزل اليها الانسان مقسمة الى غرف من صنع الانسان ميحيط بها كثبان من الرمال من جميع الجهات حيث قبر الشيخ ويزار الآن باسم سيـــدى السائح لكــثرة تجواله كما مرّ في تعريــفه .

(1) بكلي عبد الرحمن مقدمة طبقات الدرجيني ، ج 1 ، ص : د .

(2) مقرين بن محمد البغطوري ، سير نفوسة ، مخطوط ، ص6 .

(3) أبو سليمان داود بن يوسف (ت 462هـ) .

وان كان الشماخي يرى أن أبا محمد ماكسن هو الذى ينتقل بحلقته الى أبي سليمان .

انظر الشماخي ـ سير ، ص 418 . الدرجيني ، ج 2 ـ ص437

وبهذا تتعدد أسباب التنقل بالطلبة ودائما في صالح الجو الدراسي من تعقّب المشائخ في مزارعهم، وأما كسن رعيهم لا ستغلال علمهم حيث أن الحياة القاسية لم ترحمهم فيجلسوا كلهم للتدريس.

ومن جهة أخرى أرادت هذه الطريقة أن تبرهن أن الدراسة لايجب أن ترتبط في ذهن الطالب بالجدران والمكان المعروف، بل حياته كلها من الغيران المظلمة إلى الفضاء الفسيح كله مدرسة، ومن تقلّبه في فراشه، إلى جلوسه أمام الشيخ كلّه، أوقات لايجب أن يغفل فيها عن الالتزام بالآداب والمبادئ الاسلامية.

وقد يتبادر إلى ذهننا أن الطالب يملّ من تلقي العلم وان وجد متنفّسا للراحة أخلد إليها.

بل على العكس فانّنا نجدهم هم الذين يتعقّبون مشايخهم حيثما حلّوا وارتحلوا.

ومن الطريف مايقع للشيخ أبي يعقوب يوسف بن ابراهيم الوارجلاني[1] أنه حينما يدخل مسجد وارجلان ويضع مفتاحه وسفره وعمامته ثم يدخل المطهرة وحينما يخرج منها يجد أن التلاميذ قد حاز كل منهم شيئا تركه فيقول " ردوا على علائقي " فيشترط كل منهم أن يجيبه عن مسألة تهمه، سواء أكانت في النحو، أم في الفرائض، أم في الفقه، وبعد أن يجيبهم يردون اليه ماأخذوه منه (2).

وهكذا فلا نجد الشيخ هو المستدعي لطلبته في وقت معيّن مضبوط فقط، بل انّ الطالب الذكي هو الذي يستغلّ أيضا الظرف المناسب لأخذ العلم.

---

(1) هو ابو يعقوب يوسف بن ابراهيم الوارجلاني - السدراتي - (500- 570هـ).
(2) الدرجيني، طبقات، ج 2، ص 492.

هـ - أماكن الاستراحة :

لم يغفل هذا النظام أماكن الاستراحة بل وضع شروطا تعود بالنفع على أخلاق الطلبة اذ أنّ الطالب يتأثر بالمحيط الذي يعيش فيه كامل الأوقات.

فيأذن النظام بالانصراف آخر النهار الى مواضع المياه والأشجار لما فيها من هدوء وراحة بعد يوم مليء بالعمل والجدّ.

ويمنع النظام: الذهاب الى الأسواق ، والمرور أو الجلوس في الطرقات ، خاصة المسدودة الآ اذا ألجأت الضرورة لذلك ، أو كان الطريق نافذا .(1)

ولعل أغلب النظم التربوية اليوم تغفل هذا الجانب المهم وتحدد مسؤوليتها بزمن الدراسة وبجدران المؤسسة ، فهناك سلبيات تنعكس أساسا على دراسة الطالب وسلوكه الفردي وقت الراحة .

أما أوقاتها فيبدو أن لها أوقاتا ... قصيرة ، فنجدها :

- في الضحى عند استكمال كتابة الألواح .(2)

- وبعد العصر حينما تتوقف الدراسة لتوزيع التمر ، ومدة ذلك محددة بمقدار مايقرأ فيه اللوح مرة أو مرتين . هذا أثناء الدراسة، أما بعد توقف الدراسة فتكون عادة لنوم الهاجرة ويشدد في ذلك لغرض قيام الليل .

- وآخر النهار قبل غروب الشمس بعد عناء اليوم كما أسلفنا .وبعد صلاة العشاء .

3) النظام الدراسي :

من خلال النصوص في كتب السير يتبين لنا أن نظام الحلقات يخضع بالنسبة

---

(1) البرادي ، الجواهر ، ص 216 .

(2) نفس المصدر ، ص 212 .

لأطوار الدراسة إلى ثلاثة أطـــوار :

1- طور التلقين والحفظ وتخزيـــن المعلومات في الذاكرة مع شيء من دروس الأخلاق ، و في مقدمة التلقين تحفيظ كتاب الله الكريم .

2- الطور الثانـــي : دراسة اللّغة العربية و التمكّن فيها كأداة ووسيلة لفهم النصوص واستنـباط الأحكـام .

3- الطور الثالـــث : طور التفقه في الدين، و البحث و الغوص في العلوم الشرعيـة، وبعدها يمكن العطاء امّـا على شكـل الجلوس إلى الحلقات ، أو الافتـــاء لعامة الناس ، أو الشروع في مرحلة التأليـف .

ولنا نص واحدٌ تقريبا يؤيد ماقلناه حينما يصف لنا هذه المستويات في عهـــــد أبي عبد الله محمد بن بكر يقول : " وكان يتولّى التدريس ، و اعداد الطلبة فـــي هذه المرحلة ثلاثة شيوخ فكان ابو يعقوب وهـو شيخ بنفوسة أمسنان مقصـــــدا للمبتـدئين فاذا انتظموا في حلقته علّمهم السير وآداب الصالحيـــن ، ثم ينقلهــــم الى محمد بن سودرين فيجرون قراءة القـــرآن ويتعلّمـــون اللغة و الاعراب ،ثـــم ينتقلون الى أبي عبد الله محمـــدمحمد بن بكر فيعلّمهم أصول الدين والفقه" .(1)

<u>النظـام الدراسي اليومـي : (أو البرنامج)</u>

لانكاد نجزم أن هذا البرنامج الذى سنذكره الآن هو المتّبـــع حرفيا، فهو جمع شتات من هنا وهناك واستطعنا أن نصبّـــه في قالب أكاديمي حديث ، وان كـان المشايخ حسب اعتقادنا لهم كامل التصـــرّف آنذاك حسب الأزمنة و الأمكـنـــة التي ينتقلون اليها ، وحسب حالة اقامتهم، و ظعنهم .

واستطعنا أن نرسم له صورة ولو باهتة تتعانق فيه الحياة الفكرية مع الحيـــــاة

---

(1) د . عمرو خليـفة النامي ، ملامح الحركة العلمية بوارجلان ، محاضرة ملتقـــى 1977، ص 8 .

الروحية فصار البرنامج ممتزجا بها :

يبدأ اليوم باستيقاظ المشايخ و الطلبة في الهزيع الأخير من الليل، وبه يبدأ التوقيت :

الجزء الأخير من الليل: يستفتح الشيخ، والطلبة مخيّرون في مدارسة القرآن معه ، أو يطالعون ماشاءوا .

بعد صلاة الفجر الى شروق الشمس: قرآن وختمة .

من شروق الشمس الى وقت الضحى: سكتت المصادر عن الحديث عنها ولعلها وقت ذهاب المشايخ والعزابة الى حقولهم أو لمآربهم الخاصة .

الضحى : كتابة تحت اشراف النقيب، ويستأذن في حفظ ماكتب ميامنة ، وبعد الحفظ يكون الاملاء، وتفقّد الألواح ، ثم الدعوة الى الطعام .

بين الظهر والعصر : قراءة الألواح وجوبا، وبعد العصر استحبابا ،ثم تفقد الألواح ثم الدعوة الى الطعام .

وبين صلاة الجمعة والعصر: قراءة المواعظ .

المساء عند الغروب : قراءة القرآن والختمة، ثم الدعاء .

العشاء: قراءة المواعظ من طرف التلاميذ، ثم يقوم الشيخ بعد دعاء الختمة . (1)

4) علاقة أفراد أسرة التعليم :

بعد تتبعنا خطوات هذا النظام الفريد الذي وضعه المشايخ رحمهم الله نشعر لأول مرّة أن كلمة أسرة التعليم تنطبق إسما على مسمى لمابين أفرادها من ترابط

(1) - البرادي ، الجواهر ، ص 209- 213 .
- ابو زكرياء ، السيرة ، ص 255 .

فتلمس فيها أبوة الأب الحاني في الشيخ ، وبنوة الابن البار في طالب العلم ، والأخوة الصادقة فيما بين الأنداد من الصفين .

وكتب السير مليئة بالعبرات ولا يسع المجال لذكرها كلها ، فنجد هذه العلاقات في الله تتسع وتشمل الأسر التعليمية بالامتزاج والترابط .

بيد أن أعلى مثل رأيناه للكرم ، وحب العلم والعلماء هو أبو صالح جنون بن يمريان لما قدمه من أيادي بيضاء .

فحينما قدم الشيخ أبو نوح سعيد بن زنغيل " أعطاه أبو صالح بيتا مملوءة الى السقف تمرا ، وأجرى عليه مائدة بكرة وأخرى عشية " ، وحينما قعد في وارجلان لم يبخل عليه بشيء من ماله بل طلب منه المكوث فيها وأن لا يرحل ، على أن يقاسمه كل مايملك (1)

أما علاقة المشائخ بطلبتهم فتتعدى أوقات الدراسة و مكانها ، فقد ينفق الشيخ على طلبته من ماله الخاص ، مثل مافعله أبو اسماعيل أيوب (2) وهذا له شبيه بما كان يفعله علماء نفوسة من الجود على طلبتهم في ذلك الحين ، بل يتجاوزون الى إكسائهم صيفا وشتاء بكساء جديد . (3)

وقد يضم الشيخ أحد طلبته الى زمرته العائلية ويقترح عليه الانتقال مع أغنامه الى البادية ابان الربيع حتى لايفوته لبن ذلك الفصل ، ويكلف من ياتيه بمعيشته يوميا . (4)

---

(1) ينظر : أبو زكرياء ، السيرة ، ص223 .

(2) د . عمرو خليفة النامي ، محاضرة : ملامح الحركة العلمية ، ص 11 .

(3) الدرجيني ، طبقات ، ج 2 ، ص417 .

(4) هذا مافعله الشيخ ابو محمد عبدالله بن يحي بن عيسى العباسي (من الطبقة الثانية عشر 550 — 600 هـ) مع أحد تلاميذه .
ينظر : الدرجيني ، طبقات ، ج 2 ، ص508 .

ويتعدى الابرار من الغذاء المادى إلى الروحي فنجد المشائخ حريصين كل الحرص على الارشاد و النصح .

و من خلالها تتبين لنا أهدافهم، ورغباتهم التي من أجلها سهروا الليالي الطوال جنبا الى جنب مع تلاميذهم منقطعين عن أهليهم في كثير من الأوقات.

فمن وصايا المشائخ نختار ما أوصى به أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي طلبته قائلا : " اذا وصلتم منازلكم فاياكم أن تستقبلوا الدّنيا بوجوهكم لئلا تغرنكم، وعليكم بالألفة، والنصيحة و التزاور، وحفظ مجالس الذكر، وإياكم و أمور الناس، و أياكم والتقصير فيمن يرد من أهل دعوتكم". (1)

ذهب أبو عبدالله الى جربة زائرا فأوصى طالبا بخصال منها : " قراءة القرآن، والمواظبة عليه ، و الرغبة الي الله ، والرأفة بالضعفاء"

وقال له : " احمل نفسك على مالك يحملك " (2)

و أوصى أحدهم قائلا : " اذهب الى منزلك فان وجدت من تقدمه في الأمور فاتبعه ، فان لم تجد ووجدت من تتعاون معه فتعاونوا على البرّ والتقوى، فإن لم تجده ووجدت من سعى في الخير فكن إمامه ، فإن لم تجد أحدا من هؤلاء فاستقم على الطريقة وحدك." (3)

وهذه النصائح القليلة ماهي الاّ قطرة من بحر، وغيض من فيض . و لعلّ التأسي بأعمالهم بعد ذلك من أحسن النصائح العلمية ، لا القولية فقط.

---

(1) الشماخي، سير، ص 412 .

(2) أبو زكرياء، السيرة، ص 360 .

(3) م . ن ، ص 363.

أشهـــر مشائخ وارجلان وآثـــار هــــم

حينما قدّمنا لباب الحياة الفكرية رأينا الأسباب التي جعلت وارجلان وقـرا ها تعج بالعلماء، وإذا قرأنا كـل كتب السير المتحدّثـة عن آثار المشائخ ومناقبهم وبما اشتهروا به من أقوال و أفعال فانّـنا نجد أعدادا لايمكن حصرها .

و آثرنا أن نورد علماء المنطـقة و خاصة الذين لهم دور فعّال في تسليـم أمانـة العلم والدّين ، من جيل الى جيـل ، أو تركـوا تآليـف و آثارا تركـت صـداها .

ومما يصعب على الباحث في هذا الصـدد لضبط علماء المنطـقة ، هو أن الحركة كانت دؤوبة ، وليست هناك حواجـز وهمية تمنعهم ، والارتحال من مكـان الى آخر، وخاصة وأنّ الدولة الرستمية قد شملت بحدودها جميـع أماكن التواجد الاباضي سواء في الجزائر ، أم الجنوب التونسي ، أم جبل نفوسة وشـرقه ، أم منطقة أريـغ و أسوف ووارجـلان .

فأدرجنا في القائمة كلّ من له اتصال مباشر بحركـته الثـقافية بوارجلان سواء سكن بهـا مدّة طويلة أم قصيـرة . وقد رتّبناهم حسب التسلسل الزمني .

1- أبو يعقوب يوسف بن سيلوس الطرفي

عدّه الدرجيني من علماء الطبـقة السادسة (250 هـ - 300هـ) . و من جملة الصفات التي وصفه بها الدرجيني أنه "ذو الجهادين الأكـبر و الأصغـر ، والاجتهادين المصلّـى و الدّفتـر" (1)

وقد أدرك علماء الدولة الرستمية فأخذ عنهم العلم وكان ممّن له الفضـل فـي

---

(1) الدّرجيني ، طبـقات ، ج 2 ، 1 33 ،332 .

نقله الى وارجلان ، ومن المبكّرين بذلك خاصة وأنّ المنطقة يطغى عليها اللسان البربري .

وقد تقلّد بها منصب القضاء وكان النهاية في الفتيا، ويذكر الشماخي أن " له مصلّى معروفا بورجلان لاستجابة الدّعاء هو بين تينمصيون وتينهطوس بمقربة من بئر الآجر " (1). ومما أثر عنه استعماله الوديعة والمتاجرة بها . وقد أخذ العلم عنه الشيخ أبو صالح جنون بن يمريان .

2- الشيخ أبو صالح جنون بن يمريان

و من الشخصيات البارزة التي لا يمكن تجاهلها وقد كان لها الدّور الفعّال في جعل وارجلان محجّا للعلماء ولرجال الفضل والسياسة . الشيخ أبو صالح جنون بن يمريان (2) وصفه الدرجيني بقوله :" ذو الورع ، والسخاء وبركات الدّعاء الصالح . . . إن لم يكن مقدّما في العلوم فمقدّم في المعارف، وإن لم يكاشف أجسام الدواوين ، فهو لأرواحها مكاشف ." (3) وقد كان ملجأ العلماء والأخيار اذ التجأ اليه الامام أبو يوسف يعقوب بن أفلح فرارا من تاهرت حينما هجم عليها الداعية الشيعي فلم يجد أحسن مكان يحتمي فيه إلاّ وارجلان، ولم يجد أبرز شخص يأوى إليه مثل الشيخ أبي صالح جنون ابن يمريان فتلقّاه وأحسن وفادته .

---

(1) - الشماخي ، السير ، ص 228 .

- عثمان الكعاك ، موجز التاريخ العام ، ص 204 .

- علي يحي معمر ، الاباضية بالجزائر، ج 1 ، ص143 - 144 .

(2) من الطبقة السابعة (300 - 350هـ).

(3) ينظر : الدرجيني ، طبقات ، ص 341 ومابعدها .

وكذلك إلتجأ . . اليه أبو نوح سعيد بن زنغيل وهو أحد العلماء المبرزين في الحامة فارّا من وجه أبي تميم وحينما بشّر البشير أبا صالح بقدم أبي نوح و بوصوله البكرات - قرب وارجلان - قال للبشير : "ارجع إليه و قل له لاتخف نجوت من القوم الظالمين " .

كما كان له اهتمام بالمسائل الشرعية فكانت له مراسلات مع الشيخ أبي خزر بمصر فيما لايسع الناس جهله . (1)

لقدتجا وزت شهرته تاهرت و الحامة فتسامع به مشايخ جزيرة جربة فأتوا ليتبرّكوا به فزاره كل من المشايخ : أبو صالح بكر بن قاسم، و أبو موسى عيسى بن السمح ، و أبوزكرياء فصيل بي أبي مسور .

3 - أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي

(ت 471هـ/ 1078م)

" أفنى شبابه في القراءة و بقية عمره في الاقراء" (2) أخذ العلم مع ماكسن بن الخير عن شيخهما أبي عبد الله محمد بن بكر يتين يسلي في شبابه ، ثم صارت له حلقة ينتقل بها من مكان إلى آخر قصد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

و أهم الأماكن التي انتقل اليها : سدراته ،وارجلان ، البكرات تابعة لوارجلان ، تمولست (3)، جربه .

وكان في كلّ مرّة يأمر طلبته بعدم التدخّل في الشؤون الداخلية للنّاس ،

---

(1) أبو يعقوب ، الدليل والبرهان ، ج 2 ، ص 16 .

(2) الشماخي ، سير ، ص 412 .

(3) تمولست : في الجنوب الشرقي لتونس.

الاّ ماكان على سبيل الوعظ والارشاد .

ومايدلّ على قيمته لدى الأهالي الجموع الغفيرة التي تستقبله بعدّتها وعتادها بالزينة والسلاح ، سواء أكان بخارج وارجلان أم تماسين أم وغلانة حتى قال قائلهم لماوصلوا الى أسحوسا " لم يجتمع في أهل الدعوة من الأخيار مثلما اجتمعت هذه المرّة من بلد من البلدان في ذلك العصر". (1)

وكذلك لما وصلوا في السبخة وقد سبقتهم جموع وارجلان بأمرائهم وعدّتهم وسلاحهم حتى قال قائلهم " لم أر هذه العدّة في صنهاجة ولا غيرها" .

فان دلّ هذا على شيء فهو يدلّ على اهتمام أهل وارجلان بالعلماء الذين يفدون إليهم وخاصة في مثل هذا التنقّل الجماعي .

وكان ذلك سنة 450 هـ الموافق لـ 1058 - 1059م .

آثـاره :

1- لقد ذكر لنا البرادى في جواهره أن أبا الربيع ألف كتابا في الكلام يتألف من مجلدين ، لقد رأى الثاني ولم ير الأول .(2)

2- كماذكر الشماخي أن له كتابا سماه المتحف في الأصول (3)

3- وله كتاب السير وقد كتبه بعد سنة 450هـ أى بعد رحلته هذه .

وقد ذكر ليفتسكي أن مخطوطة منه توجد في مجموعة سموجوفسكي (4)

---

(1) أبو زكريا ، السيرة ، ص273 .

(2) البرادى ، الجواهر ، ص220 .

(3) الشماخي ، سير ، ص 412 .

(4) سموجوفسكي : زار ميزاب ووارجلان بين سنة 1913 - 1926م وجمع مجموعة من المخطوطات نقلها الى لفوف .

ب لـفوف · L'VOV (1) وقد طبـع في تونس سنة 1321هـ/ 1903م . وقد نـقل عنه أبو زكرياء يحيى الكثير من رواياته في كتابه السيـرة و أخبار الأئمة .

و مع هذا يتعجّـب ليفتسكي كيـف لم يذكـر البرادى في كتابه الجواهر المنتقاة كتاب سير أبي الربيـع سليمان بن يخلف المزاتـي (2) مع أنه أتى بعـده ويحتمل جدّا انه استـقى منه مثل كـتب السير الأخـرى .

وقد أخذ أبو زكـرياء يحيى بن أبي بكر الوارجـلاني العلم عن أبي الربيـع سليمان بن يخلف المزاتـي ، واستـقى منه الأخبار مشافهة فذكرها في كتابـه السيـرة و أخبار الأئمة بقوله " قال أبو الربيـع" .

4 – أبو زكـرياء يحيى بن أبي بكر الوارجلاني

(ت بعد 474 هـ/ 1078م) (3)

أخذ العلم عن أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي. " و تسكت المصـادر الاباضية عن سنة ميلاد أبي زكـرياء، بينما تحدّد منشأه في وارجـلان و أنـه درس على الشيخ أبي الـربيـع بـوادى ريـغ " (4)

أما مؤلـفه كـتاب السيـرة وأخبار الأئمة فهو يعدّ من أقدم الكتـب التاريخية الاباضية ، اذ يتناول تاريخـهم من حملة العلم و تأسيسهم للدولـة الخطابية في طـرابلس ، و الدولة الرستمية بالتـفصيل بالجزائر الى نهايتهـا ، و حركـة الاباضية ضدّ الفاطمـيين .

---

(1) لفوف L'VOV : مدينة بولونية استولى عليها الاتحاد السوفياتي ابّان الحرب العالمية الثانية فهي في اراضيه الغربية المحاذية لبولونيا .

(2) -T. LEWICKI , Les Historiens... p. 75.

(3) يصنّـفه الدرجيني ضمن الطبـقة العاشـرة .

(4) أبو زكـرياء ، السيـرة ، (مقدمة عبد الرحمان ايوب) ، ص 15 .

ثم الحركة الدينية والعلمية لأبي عبدالله محمد بن بكر دون أن يغفل الترجمة لأهم علماء الاباضية بالمغرب العربي .

و ينتهي آخر تاريخ له بسنة 474 هـ . (1)

5- أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر

(ت 504هـ/ 11- 1110م)

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر ، أبوه هو أبو عبدالله محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي صاحب نظام العزابة .

وقد ربّاه أبوه على الصلاح والتقوى، وأدخله مع تلاميذه في حلقته مع أخيه أبي يعقوب يوسف بن محمد .

" وكانا في طلب الخير فرسي رهان ، مشتركين في كل فضيلة شركة عنان ، فلعلّ أحدهما أعلم والآخر أزهد " (2)

وقد أخذ العلم أيضا عن شيخه وأحد البارزين في حلقة أبيه وهو أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي .

قضى شبابه في تمولست في الجنوب الشرقي للقطر التونسي حيث كتب جلّ كتبه ثم زار قابس . (3)

---

(1) توجد نسخة مخطوطة في مكتبة الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة تحت رقم 9030ح تتألف من جزئين . ولقد حقّق الأستاذ اسماعيل العربي الجزء الثاني منه بعنوان سير الوسياني وهذا وهم منه وخطأ يجب تداركه مستقبلا . وعند تاديوش ليفتسكي نسخة مخطوطة يرجع تاريخ نسخها الى سنة 504 هـ/ 1110- 1111م . وترجمها ماسكراى سنة 1878م ترجمة ضعيفة وناقصة ثم نشر موتلنسكي سنة 1885م فهرسة كاملة لها.

ينظر: - T. LEWICKI , Les Historiens .... p. 3 .

(2) الدرجيني ، طبقات ، ص442 / الشماخي ، سير ، ص 423 . ==

وفي سنة 471هـ/ 1078م وقعت فتنة ببلاد أريغ بين خيران وتاغمارت وهي أول فتنة وقعت بين وهبية أريغ ، ففرّ أخوه أبو يعقوب الى وارجلان ، فكانت وفاة أبي يعقوب بتماواط بوارجلان سببا لمجيء أخيه أبي العباس لقضاء فترة زمنية لتنفيذ وصية أخيه ولرعاية أيتامه .

ويسكت الدرجيني وغيره من المؤرخين للسير ، وكذا المستشرق البولوني ليفتسكي - اذ يعدّ هذا الأخير من أقدر المستشرقين في التحرّى والتدقيق - عن الفترة مابين 471 هـ/ 1078م و 504 هـ/ 1110م فيذكرون مباشرة وفاته . ولعلّ هذه الفترة قضاها متنقلا بين آجلو وتماواط بوارجلان الى أن يموت ويدفن وذلك في ضحوة يوم الخميس 9 ذى الحجة سنة 504 هـ بآجلو الغربية .

منزلة أبي العباس العلمية :

يعد أبو العباس من أشهر علماء منطقة المغربين الأدنى والأوسط فقد ترك لنا مؤلفات عديدة يعجز الانسان عن حصرها .

وقد قيل انه رأى في منامه مايبشّره بأخذ العلم الغزير (1)، وقد تفرّغ للمطالعة والدراسة أربعة أشهر في مكتبة قصر ولّم ، لم يذق فيهما طعم النوم إلاّ مابين أذان الصبح الى طلوع الفجر واختار من الكتب التي وصلت من المشرق البالغة ثلاثة وثلاثين ألف جزء ، أكثرها فائدة (2) وسبب ذهابه الى مكتبة قصر ولّم ماقاله هو بنفسه " كنت أقرأ على الشيخ

== (3) ويرى ليفتسكي أن تعلم أبي العباس علي أبي الربيع من باب الاحتمال
- T. LEWICKI , Les Historiens... p. 21.

(1) ينظر تفصيل ذلك عند : الدرجيني ، طبقات ج 2، ص 444 .
(2) الدرجيني ، م .س ، ص 445 .
والمكتبة تقع على قمة جبل مرتفع يشرف من ناحية المشرق على مدينة ==

سعدون وأحضر مجالسه، فأول ماوقعت فيه المذاكرة عنده مسألة ذبيحة الأقلف هل تؤكل أم لا ؟ وقال: " في المسألة قولان " ولم يزد على هذا شيئا ".

ولانستطيع الجزم عن غرض تفرغه للمطالعة بالضبط هل هو معرفة جواب هذه المسألة بالتحديد ؟ أم عدم اقتناعه بجواب شيخه الذي ينقصه التوضيح الكافي إمّا بسبب منهجيته في التدريس أوبسبب مستواه الشقا في فأراد أن يبزّه في العلم . ولعلّ السبب الثاني هو المعقول وذلك مايفهم من قوله " ولم يزد على هذا شيئا ".

آثار أبي العباس أحمد بن محمد بن بكر :

لقد ترك لنا أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر تراثا قيّما وضخما من الكتب في شتى الاختصاصات سواء أكانت فقهية ، أم أخلاقية ، أم في العمارة الاسلامية وشروطها وضوابطها الشرعية .

ونذكر من مؤلفاته :

1 - كتاب أبي مسألة .

وسبب تأليفه أن أبا عبد الله محمد النفوسي كتب إليه من أبعدلان يرغب إليه في مختصر مشتمل على مسائل الفروع و رأى في منامه قائلا يقول له: " أذكر أبا مسألة " ، فسماه العزابة أبامسألة و يسمى أيضا بالجامع.

2- كتاب في مسائل التوحيد مما لايسع الناس جهله، و غير ذلك من مسائل الكلام . (2)

= شروس - بقصر ولم - .

(1) الدرجيني، م .س ، ص 444 ، 445 .

نشر كتاب أبي مسألة في زنجبار سنة 1318 هـ ، وقد حشّاه محمد اطفيش.

ينظر : -T. LEWICKI , Les Historiens...p.22 .

(2) توجد منه نسختان في جربه الأولى في المكتبة البارونية والثانية في مكتبة البعطور . والخ .

==

3- كتاب تبيين أفعال العباد.يتألف من ثلاثة أجزاء(1) توجد نسخ من المخطوط في ميزاب وجربة .

4- كتاب القسمة وأصول الأرضين .

يتألف كتاب القسمة من جزئين ، و أصول الأ رضين يتألف من ستة أجزاء .

يتحدث الأخير عن الحريم بين البناءات والطرق ، وعن دفع الضرر عن الجار ، وعن الحريم فما يغرس من النخيل والأشجار وغير ذلك . و هو بصدد التحقيق(2)

5 - كتاب الألواح .

هذا الكتاب تركه الشيخ أبو العباس قبل وفاته على الألواح فعرضه ابنه على المشائخ بإيفران بوارجلان وهم: اسماعيل ، حمو بن المعز ، ايوب بن اسماعيل، داود بن واسلان ، وأبو سليمان الزواغي (3)

6- رسالة مختصرة فيما لا يسع الناس جهله .

7- كتاب مسائل الأموات .(4)

8- كتاب الجنائز . (5)

9- كتاب الدّماء .

==

ينظر -A.K. ENNAMI, A description of new Ibadi manuscripts from north Africa. Journal of semetic studies vol.15 No 1, Spring 1970. p. 73 . (extract)

(1) - -Ibid , p. 74 .

- كماتوجد بالقرارة نسخة مخطوطة بخط شريفي سعيد (الشيخ عدون) سنة 1340 هـ .

(2) لقد تعهّدت جمعية التراث بالقرارة حاليا بمهمة تحقيقه وطبعه . وتوجد نسخة جيدة مخطوطة في مكتبة آل الشيخ بالحاج بالقرارة و أخر بقرى ميزاب وجبل نفوسة .

وقد ألف في الموضوع الشيخ عبد العزيز الثميني كتاب التكميل لما أخلّ به ==

6- أبو عمار عبد الكافي ـ الوارجلاني (1)

وصف الطلبة النفطيون أبا عمار عبد الكافي لأبي العباس الدرجيني بأنه " عجيب الفهم ، كثير النقل ، سخي النفس ، بل الكف ، شديد الورع واسع الخلق " (2)

وهو ابن أبي يعقوب التناوتي (3) الوارجلاني من قرية تايغلا (4) .

لما عزم على طلب العلم هاجر الى تونس و تفرغ للدراسة هناك أعواما يقرأ الليل مع النهار ، دون كلل أو ملل .

وقد سافر الى تونس لاسباب : منهـا :

1 ـ رغبته في صقل لسانه باللغة العربية ، وابتعاده عن البيئة البربرية .

2ـ ابتعاده عن أهله وذويه حتى لاينشغل بهم .

وكانت تأتيه كل سنة ألف دينار يقسمها قسمين : قسم يصرفه لنفسه وقسم يعطيه لشيخه يضعه حيثما شاء .

وأما الرسائل التي ترد عليه فكان يضعها جانبا ولايفتحها ، ولما عزم على الرجوع

== كتاب النّيل . طبع بتونس سنة 1344 هـ/ 1925 م .

(3) الدرجيني ، طبقات ، ج 2 ، ص 444 .

(4) كان في عداد المفقودين وبعد البحث وجدت نسخة مخطوطة في المكتبة المغمورة لآل الفقيه بوارجلان ترجع الى سنة أربع وسبعين وتسعمائة لهجرة النبيء عليه السلام . (974 هـ/ 1566 م)

(5) يذكرهما ليفتسكي بالتتابع وهذا يعني أن كتاب الأموات مضمونه غير كتاب الجنائز كما يظن البعض .

---

(1) يصنّفه الدرجيني ضمن الطبقة الثانية عشر (550 هـ/ 600 هـ ـ 1155 م / 1203 م

(2) الشماخي ، سير ، ص 441 ـ الدرجيني ، طبقات ، ص 486 . ==

إلى وطنه وقد اطمأن الى ماأخذه من العلم ، فتحها فوجد فيها مايسرّ و مايحـزن ، وخاصة وفاة والديه . فلو فتحها مع ماتحمله في طيا تها من أخبار مزعجة لما استطاع مواصلة دراسته .

ثم سافر الى البقاع المقدسة لأداء مناسك الحج مع تلميذه أبي يعقوب يوسف ابن ابراهيم الوارجلاني ، ونستشف ذلك من الحوار الذي جرى بينهما فيما يخص التعامل مع قطاع الطرق من العرب في الحجاز مثل بني مجزيـة .(1)

ثم بعد رجوعه يستقرّ في وارجـلان و تكون له بعدها زيارات الى باديـة بني مصعب .

و قبره يوجد خارج وارجـلان و يزار كل سنة في فصل الربيع مع الغار الذي يدرس ويتعبّـد فيه ، وتكون زيارته عادة قبل زيارة آثار سدراته بأسبوع واحـد .

آثـــاره :

1ـ كتاب الموجـز في الردّ على كل من خالف الحـق . وهو في علم الكـلام حقّقه الدكتور عمار الطالبي تحت عنوان آراء الخوارج الكلامية/ المـوجز لأبي عمـار عبد الكافي الاباضـي . (2)

2ـ كتاب الجهالات .

3ـ كتاب الفرائـض في الميراث (مخطوطة)

== (3) تناوت : قبيـلة بربرية تقطن وارجـلا ن .

ينظر : -T. LEWICKI , Les Historiens... p. 33 .

(4) تايغلا قرية من قرى وارجــلان .

ينظر : الشماخي ، سير ج 2 ، ص 232 (ط. عمانية) .

(1) الدرجيني ، طبـقات ، ص 490 .

(2) طبع ونشر الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر سنة 1398هـ/ 78 19م يبدأ الجزء الأول من الموجز بعد الدراسة التي قام بها المحقق بعـد==

4- كتاب الاستطاعـــة .

5- سير الحلقـــة (نسخة في مكتبة الشيخ محمد علي دبوز ترجع الى سنة 1257هـ بخـــط عدون بابه بن عدون) .

6- جواب علـى . أبي عبد الرحمان الكرثسي بعث أسئلة الى شيوخ وارجـــلان فرأوا أن أبا عمار هو أهل لاجابته .

ومن جملة الأسئلة : - ما اليقين وما القدر وما الفرق بينهما ؟

- هل يقال لله تبارك وتعالى إيـــراد ؟

- ما الحكم فيمن قال انّ الله ليس بكيـــش ؟

- ما أعـلام الساعــــة ؟ (1)

7- وردت اليه رسـالة من غانـــة من الفقيه عبد الوهاب بن محمد بن غالب بـــن نميـــر الأنصارى يسأله فيها عن الوعد والوعيد ، والنظر الى البارى سبحانـــــه وتعالى ، وعن خلق القـــرآن .

ولكن صادفت موته رحمه الله فأجاب عنها الشيخ أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم الوارجـــلاني .(2)

7- أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم السدراتي الوارجلاني

(ولد 500هـ - 1106م / توفي سنة 570هـ - 1174م)

من أشهـــر علماء وارجلان الذين خلّدوا ذكرها ورفعوا من شأنها وصارت وارجلان

== صفحة 252 .

(1) الدرجيني ، طبقات ، ص 488 .

(2) أبو يعقوب ، كتاب الدليل والبرهان ، ج 1 ، ص 54 .

يضيف ليفتسكي كتـــاب (AL IHTILA) والعنوان غير مفهوم .
- T. LEWICKI , Les Historiens ... p. 36 .

وسدراته مرتبطتين و مشتهرتيـن به .

أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم السدراتي الوارجلاني تتلمذ على كل من المشائـخ : أبي عمار عبد الكافي و أبي زكـرياء يحي بن زكـريا ، و أبي سليمان أيوب بـن اسماعيـل .(1)

درس علوم القرآن، وعلوم اللسان من نحو ، ولغة ، و تصريف ، وعلم الكلام، والمنطق، وعلم الحديـث ، و نـقل الأخبار ، والسنن والآثار، و علم الفرائض و الميـراث ، وعلم الحساب ، و التنجيـم وصار متبحّـرا في شتى العلوم النقلية و العقلية .(2)

ومن الذين تتلمذوا معه : أبو سعيد سليمان بن علي الدرجيني (3) و أبو عمرو عثمان بن خليـفة السوفي (4) ، و أبو عمار عبد الكافي (5).

وقد انتـقل في شبابه الى الأندلس حيث درس في قرطبة وفيها حصل بضاعة وافـرة، (6) وكان لتبحّـره في عـلوم اللغة يلقّـب بالجاحـظ .

وأرّجح أنه لم يتعلّم اللغة والأدب العربيين فقط ، بل لقد تعلّم بين قليـــل أو كثير اللغة الاسبانية أو اللاتيـنية ذاتهـا و ذلك لما استعمله من ألفاظ فـي كتابه مرج البحرين من بينها تعريـفه الهندسة بالغوماطيـا ، و أرجّح أنهـــا الجومتريـا (La géométrie) والارتماطيقا أي الارتميتيكـــا (l'arithmétique) وهي علم الحساب ، ومهما يكن فهي ألفـــاظ غيـرعربيـة .(7)

---

(1) الشماخي ، سير ص 443 .

(2) عبدالله شـريط ، محمد الميلي ، الجزائر في مرآة التاريخ ، ص 71- 72 .

(3) هو أبو سعيد سليمان بن علي بن يخلف بن يخلف الدرجيني جدّ مؤلف الطبقات أبي العباس أحمد وابن علي صاحب الرحلات الى افريقيا و أبوه يخلف أيضا درس على أبي سليمان أيوب.
انظر : الشماخي ، سير ، ص 435 .

(4) أبو عمرو عثمان بن خليـفة السوفي المارغني من الطبقة الحادية عشر .
==

و بعد رجوعه من قرطبة توجّه الى المشرق قصد الحجّ فاستفاد من العلوم الاسلامية أثناء مروره بالعواصم الاسلامية .(1)

وقد خلّد رحلته الحجازية هذه بقصيدة عدد أبياتها عدد أيام السنة بدأها بغزل رقيق ثم تحدّث عن الرحلة من وارجلان منزلة منزلة ، والبقاع المقدّسة منسكا منسكا الى أن رجع الى وارجلان مسقط رأسه .(2) كل ذلك بأسلوب رفيع لم تخل قصيدته من التذكير و الموعظة . و كان من مرافقيه في رحلته الى الحج أبو عمار عبد الكافي .

ثم يسافر أبو يعقوب بعد ذلك الى أو اسط افريقيا فيسبق بذلك الاوروبيين الذين يتبجّحون باكتشاف مجاهل افريقيا في القرون الحديثة ، ويتحدث بنفسه عن رحلته و يقول : " وقد وصلت أنا بنفسي الى قريب من خط الاستواء وليس بيني و بينه الأ مسيرة شهر وكاد أن يستوى الليل والنهار فيه أبدا ، و انما وصلناه الى قريب منه ، و أطول يوم السنة انّما يفضل أقصر يوم منه بساعة واحدة ، فالنهار الطويل ثلاث عشرة ساعة ، و النهار القصير احدى عشرة ساعة و لياليها كذلك . . ." (3)

==

(5) أبو عمار يلتقي أيضا مع أبي يعقوب في حلقة الدرس .
- الدرجيني ، طبقات ، ج 2 ، ص 489 - 490 .
- د . عمرو خليفة النامي ، محاضرة ، ص 11 .

(6) الدرجيني ، طبقات ، ج 2 ، ص 494 .

(7) أبو يعقوب ، الدليل والبرهان ، ج 2 ، ص 105 ، 106 .

(1) علي يحي معمر ، الاباضية في موكب التاريخ مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط 1 سنة 1979 م ، ص 238

(2) الدرجيني ، طبقات ، ج 2 ، ص 494 .

(3) أبو يعقوب ، م . س ، ج 3 ، ص 216 .

وهكذا نجده من الأوائل الذين اكتشفوا هذه المناطق، ولاشك أن الغرض من رحلته هذه كان نبيلا، ويكون بهذا قد مهّد الطريق لمن سيأتي من بعده أمثال أبي الحسن علي بن يخلف التميجارى (1) وغيره.

وقد لاقى في رحلته الى المشرق أهوالا، ورأى الموت ونجا منه بأعجوبة و مع ذلك لم تزده هذه الرّحلة إلاّ اصرارا على تخطّي الصّعاب.

وقد زادته هذه الرّحلات ثقافة عالية فيكفي من نصه أن نتيقّن أنه وعلماء الاسلام في القرون الوسطى - والتي تشتهر لدى الأروبيين بالجهل عندهم والتخلّف - يعلمون الإحداثيات من خطوط الطول و دوائر العرض، و تحديد موقع خط الاستواء بالضبط. وكذا استعمال الساعة، و تقسيم اليوم إلى أربع وعشرين ساعة من قوله : " فالنهار الطويل ثلاث عشرة ، والنهار القصير إحدى عشرة ساعة " . اذ أن مجموع النهاية الزمنية العظمى في منطقة ما ، والنهاية الزمنية الصغرى في نفس المنطقة يكون حتما أربعا وعشرين ساعة .

و بعد استغلال شبابه في الرحلات الطويلة يرتاح من عناء السّفر و يلقي عصا الترحال في وارجلان بعد أن قطع آلاف الأميال بين مشرق و مغرب و شمال وجنوب . فيخلو في داره سبع سنوات يدوّن حصيلة ماجمع من علوم ومعارف ليورثها للأجيال المسلمة الآتية من بعده . وقد شهد بذلك الدرجيني اذ يقول :" وذكروا عنه أنه أقام سبعة أعوام ملازما داره لاينصرف، فكان متى زاره أحد من الزوار وجده إمّا ينسخ ، وإمّا يدرس، و إمّا يقابل ، و إمّا يبرى الأقلام ، و إمّا يطبخ الحبر ، وامّا يسفّر كتابا لايعدل عن هذا الفن إلى ماسواه إلاّ إن قام لفريضة . " (2)

---

(1) أبو الحسن علي بن يخلف التميجارى سافر الى غانه سنة 575هـ .
انظر : الدرجيني ، طبقات ، ص 517 . ==

و قد ترك الشيخ أبو يعقوب الوارجلاني آثارا كثيرة وهي كالآتي :

1- تفسير القرآن الكريم في سبعين جزءا . (1)

لقد رأى البرادى في بلاد أريغ سفرا منه يصفه قائلا : " لم أر ولا رأيت قط سفرا أضخم منه ولا أكبر منه ، حزرت أنه يجاوز سبعمائة ورقة أو أكثر أو أقل ". أما عن محتواه فيقول : " فيه تفسير فاتحة الكتاب و البقرة وآل عمران " .

وحسب رأيه أنه فسّر القرآن كله في سبعة أسفار ، ويشيد ببلاغته ، واستطاعته ابراز الناسخ و المنسوخ و القراءة الظاهرة أو الشاذة ، أوغير ذلك من خصائص التفسير . (2)

2 - كتاب الدليل و البرهان .

يصفه الدرجيني بقوله : " أحسنها فيما ذكرلي أبو العباس ابن محمد كتاب الدليل و البرهان ، هو في علم الأصول .

و أما أنا فلم أقف عليه لأني اذ كنت بوارجلان لم اعلق همّتي بنظر هذا الفن ، فلا قوّة الا بالله ، وأيضا فان الأمهات منه قليلة . " (3)

أما الميلي و شريط فيصفانه بأنه أشبه بدائرة معارف صغيرة . (4)

= (2) الدرجيني ، طبقات ، ج 2 ، ص 492 .

(1) علي يحي معمر ، الاباضية في موكب التاريخ - في الجزائر - ص 238 .

(2) البرادى ، الجواهر ، ص 19 .

وكانت رؤيته له سنة 766هـ/ 5- 1364م ، ينظر :

- T. LEWICKI, Les Historiens.... p. 90 .

(3) الدرجيني ، طبقات ، ج 2 ، ص 495 .

(4) الشريط ، الميلي ، الجزائر في مرآة التاريخ ، ص 71، 72 .

أما الشيخ علي يحي معمر فيصفه بقوله : " جمع فيه من الفنون: الحكمة، الفلسفة، والإلهيات، وعلم الكلام، والمنطق، والهندسة، ومناقشة المذاهب، والتفسير. وهو أشبه بصورة لدائرة معارف إسلامية.(1)

وهو يتألف من ثلاثة أجزاء.(2)

3- كتاب فتوح المغرب.

ويحمل عنوانا آخر لدى المستشرقين وهو : التاريخ الكبير لوارجلان وسدراته ووادى ريغ، وهو من الكتب المهمّة الضائعة.(3) ولقد رآه الأستاذ حسن حسني عبدالوهاب في تركة المستشرق منتمكيو ولقلّة ذات اليد لم يستطع اقتناءه في جملة ما اقتناه مثل رسالة ابن الصغير.

وقد قصّ الأستاذ حسن حسني عبدالوهاب ذلك على تلميذه -آنذاك- (الشيخ) أبي اليقظان ابراهيم حينما كان يزاول عنه دروسه في الخلدونية بتونس سنة 1914م.(4) ويشير تاديوش ليفتسكي الى نفس الكتاب قائلا" وقد تعرّفنا عليه بفضل اخبار من "شاخت" بميزاب سنة 1952 - 1953م". (5)

---

(1) علي يحي معمر، الاباضية في موكب التاريخ - في الجزائر-، ص 239.

(2) النسخة المتداولة بكثرة والموجودة الآن هي المطبوعة طبعة حجرية بالمطبعة البارونية، بطالون- مصر سنة 1306هـ/ 1888م.

(3) وجدت اشارة عن وجوده في مكتبة برلين بألمانيا ولكن الشيء الغريب أن أجد خرما في الفهارس الخاصة بمخطوطات افريقيا وذلك مالم أجد له جوابا لدى المشرف على المخطوطات العربية بمكتبة برلين الغربية ويحتمل أن يكون في برلين الشرقية ونرجو من الله تبارك وتعالى أن يمنّ علينا بالعثور عليه.

(4) ينظر : علي يحي معمر، الاباضية في الجزائر، ص 239.

(5) - T. LEWICKI , Les Historiens... p. 89 .

4- كتاب العدل والانصاف في أصول الفقه في ثلاثة أجزاء(1) توجد منه نسخ مخطوطة في مكتبات قرى ميزاب ، وقد حققه الدكتورعمرو خليفة النامي.(2)

5- ترتيب مسند الربيع بن حبيب في الحديث، و زاد فيه مارواه غيره عن ضمام عن جابربن زيد . ويعتبره الاباضية من أصحّ الأسانيد ، و أقربها سندا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم .

6- قصيدته الحجازية ذكرها الدرجيني كمامرّ بنا ولكنه لم يورد ولابيتا منها، وقال معتذرا " فكنت اعتقدت أن أورد عما هذا الكتاب و أشرحها إجابةلرغبة من رغب الى ذلك ، ولكن منعتني العجلة في تعليق هذا الكتاب و كوني أيضا لم أجد من يرويها عن أبي يعقوب فأرويها عنه على صحّته، و أعرف مقاصده فأحدو حدوها، ولعمر الله إنّ فيها لفوائد كثيرة ." (3)

و مطلع القصيدة عبارة عن غزل :

عذ يرىعذ يرى من ذوات المعاجر	ذ اوت العيون النجل بيض المحاجر
ذ وات الشفاه اللمس بالظلم واللما	غرائر خرق الصنع سود الغدائر
نواعم لم يعرفن ما بؤس عيشة	كوانس في الأطلال مثل الجآ ذر

ثم يبدأ في ذكر التأ هب للحج قائلا:

فدع عنك ربات الحجال وذكرها	وعد الى ذكرالحجيج المسافر
خرجنا نؤم الشرق من حيز ورجـلان	بفتيان صدق من وجوه المشائر

---

(1) الشماخي ، سير ، ص 444 :"يرى أنه يتألف من أربعة أجزاء بالأجوبة" .
الدرجيني ، طبقات ، ج 2، ص 494 .

(2) أخبرني الدكتور فرحات الجعبيري من تونس أنه محقق من طرف الدكتور عمرو خليفة النامي .
رأيت نسخة مخطوطة كاملة وجيّدة في مكتبة آل الشيخ بالحاج بالقرارة .

(3) الدرجيني ، طبقات ، ج 2 ، ص 494 .
توجد نسخ مخطوطة مختلفة بمكتبات وارجلان و ميزاب .

ثم يقول عن وصوله مصر بعد ذكر المراحل كلها

نزلنا على مصر وفيها نجومها علي وعباس خليفا المفاخر
علي وعباس نسيبا رسولنا سمّياهما في الخير من سعد طاهر

ثم يقول :

فلما انتهينا نحو كعبة ربنا بكينا وجدنا بالدموع البوادر
تسبح على الخدين وبلا وديمة وتنهل مثل اللؤلؤ المتناثر

و نطوى المراحل كلها الى وصوله بوارجلان فيقول :

جزى الله عنا ورجلا (1) خيرما جزى به بلدا عن طالب الخير صائر
هو جنة الدنيا و أبواب مكة ومعدن تبر غانة والدنانر
فمن كان يبغي الحج فليأت وارجلان يجد سبلها رحبا وخفرة خافر

7— القصيدة البائية: (2) وهي في رثاء شيخه أبي سليمان أيوب بن اسماعيل ومطلعها :

أيوب ما أيوب لا أيوب أودى به قدر الردى المجلوب
فتلوثت أيامه و تصرمت حينا عليه وللردى تعقيب
علقته أشراك الردى من بعدما أوفى على مائة وجاب الجوب

ثم يقول :

رجل أتاه الله ربي بسطة في العلم والجسم الكريم لبيب
لله عبد خالص متخشع متهلل ، متهيء متعوب
ياغائبا ماتنقضي حسراتنا أبدا عليه ولات حين يؤوب
ياغائبا سكن الثرى في حفرة تعلو الصفائح قبره و الطوب
ان غبت عن أبصارنا وسماعنا لم تحتجبك عن القلوب غيوب

---

(1) في نسخة (وارجلان) .
(2) الدرجيني ، طبقات ، ج 2 ، ص 492 ومابعدها.

ثم يقول :

من للصلاة بجوف ليل مظلم	والليل أسود حالك غريب
أو للصيام اذا تطاول يومه	وامتد طرفاه وهاج لهيب
أو لليتامى والأرامل بعده	وتواترت في العالمين حروب

ثم يختم قصيدته قائلا :

فعليه رحمة ربه وسلامه	حتى القيامة والاله وهوب
سبقت به الأيام باقي دهرنا	فمضى وما أدراك ما أيوب
خلق ابن آدم عرضة لمهالك	إنّ المنية يومها لمصيب

والقصيدة تحتوى على ثمانين بيتا .

ان دلّت القصيدة على شيء فهي تدلّ على برّ أبي يعقوب لشيخه وحزنه العميق عليه وذلك لما لمسنا من ابراز الشيخ على تلاميذه وحنوّه عليهم. (1)

وقد ذكر الشيخ علي يحي معمر جملة من الكتب ضاع أغلبها :

8- كتاب مرج البحرين . (2)

9- رسالة في رجال كتاب المسند .

10 - ترجمة رجال الاباضية .

11- كتاب في الفقه . (3)

12- أجوبة كثيرة (4) لو جمعت لكونت مجلدا ضخما . (5)

---

(1) الشماخي ، سير ، ص 435 .

(2) وكتاب مرج البحرين في المنطق يوجد ضمن كتاب الدليل والبرهان ص 85 الطبعة الحجرية .

(3) وقد ذكره الشماخي في سيره ، ص 444 .

(4) وقد ذكره ذلك أيضا تاديوش ليفتسكي تحت عنوان : كتابه جوابات ورسائل (مفقود) -T.LEWICKI , Les Historiens..p. 90 .
وجدت رسالة مخطوطة عند الحاج سعيد محمد أيوب /غرداية .

(5) علي يحي معمر ، م.ن ، ص 240 .

ولا يفوتنا أن ننوه بجهود الشيخ أبي يعقوب لا من جهة التأليف فقط، و تضلعه في اللغة العربية ، و في شتى العلوم العقلية و النقلية، وكونه موسوعة من المعارف، بل صبره على الاستنساخ ودأبه على ذلك.

فيقول الدرجيني في ذلك " ولقد حدثنا بعض الثقات قال " وقفت ببلادنا قسطيلية، و سوف ، و أريغ ، و وارجلان على سبع نسخ أو ثمان من كتاب العدل والانصاف تأليف أبي يعقوب كلها بخط يده، و أما أنا فرأيت منه ثلاثا ". (1)

وهكذا نجد أن الشيخ أبا يعقوب يوسف بن ابراهيم الوارجلاني قد ترك تراثا اسلاميا ضخما، ولا يعد علما من أعلام الجزائر فقط، بل هو علم من أعلام الاسلام قاطبة.

3- أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني

(ت سنة 670هـ/ 1271م)

هو أبو العباس أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن يخلف بن يخلف التميجاري. ينسب أجداد أبي العباس أحمد الى تميجار قرية من قرى جبل نفوسة. نزح جده يخلف بن يخلف من تميجار الى بلاد الجريد،(2) وقد اشتهر جده علي بن يخلف بن يخلف بأسفاره الى السودان الغربي حيث استطاع ادخال ملك مالي سنة 575هـ/ 80 ـ 1179م في الاسلام. (3)

ثم انتقل أبوه سعيد بن سليمان الى درجين السفلى وإليها ينسب و يعرف كتابه

---

(1) الدرجيني، م. ن، ج 2، ص 492.

(2) د. الحبيب الجنحاني، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الاسلامي، دار الطليعة ـ بيروت، ط 1 ، 1980، ص183.

(3) الدرجيني، طبقات، ج 2، ص 517.

- T. LEWICKI , Les Hi^s^toriens ...., p. 23.

ينظر بالتفصيل دخول الاسلام في نتائج الرحلات التجارية فصل : الحياة الاقتصادية .)

طبقات المشايخ بالمغرب بكتاب " طبقات الدرجيني ".

أما عن بدء حياته العلمية فنستشفها من حديثه عن نفسه بنفسه اذ يقول : " دخلت حلقة وارجلان حرسها الله وذلك في ربيع الأخير سنة ست عشرة وستمائة ، في أول ماوجب عليّ الصوم والبال خال من الهمّ ". (1)

بهذا نعلم أنه أخذ العلم في شبابه ، وعند بلوغه بالضبط وذلك سنة 616 هـ الموافق لـ 20/ 1219 م وقد اغترف من حلقات العلم هناك قبل ارتحاله الى توزر . ثم ارتحل الى توزر سنة 633هـ الموافق لـ 36/ 1235 م، ثم انتقل بعدها إلى جزيرة جربة حيث اختاره العزابة لكتابة كتاب الطبقات. (2)

وأغفلت المصادر التاريخية تاريخ مولده وتاريخ وفاته (3)، ويرى الدكتور الجنحاني أنه ولد في النصف الأول من القرن السابع الهجري وتوفي في نصفه الثاني. (4)

ولقد أخذ معظم أفراد أسرة الدرجيني العلم في وارجلان في فترات متقطعة. فجده يخلف بن يخلف التميجاري درس على أبي سليمان أيوب بن اسماعيل. (5)

كما درس عليه جده سليمان بن علي بن يخلف وذلك ما رواه مؤلف الطبقات عن والده اذ يقول : " كان أبي (أي جدّ المؤلف وهو سليمان) في زمان شبيبته مهاجرا بوارجلان يقرأ على شيخه أبي سليمان أيوب بن اسماعيل حتى قضى حاجته من الطلب ،

---

(1) الدرجيني ، طبقات، ج 1 ، ص 180 .

(2) —
— د .الحبيب الجنحاني ، دراسات ، ص 95 .

(3) وحتى محقق الكتاب الطبقات للدرجيني الأستاذ : ابراهيم طلاى لم يذكر شيئا عن حياة المؤلف لا من قريب ولا من بعيد .
وأما الشيخ بكلي عبد الرحمن فقد سكت عن وفاته في مقدمته . ثم نجد في صفحة الغلاف أنه توفي سنة 670 هـ ولا نعرف مصدرها .

(4) د . الحبيب الجنحاني ، م . س، ص 187 .

(5) الدرجيني ، طبقات، ج 2، ص 459 .

فانفصل فجاء الى قسطيليه . . ." (1)

ونخلص من هذا بنتيجة وهي :

أن أجداد المؤلف : يخلف بن يخلف ، وسليمان بن علي بن يخلف كلاهما درس على أبي سليمان أيوب والأخير قد أدرك وفاته ودرس مع الشيخ أبي يعقوب.

كما يحتمل جدّا أن يكون علي بن يخلف والد سليمان قد درس عليه .

ولعلّ السؤال الذى يطرح نفسه . كيف التقى الحفيد مع الجدّ على شيخ واحد .

نجد الجواب في مرثية أبي يعقوب اذ يقول :

علقته أشراك الردى من بعدما   أوفى على مائة وجاب الجوب

وهذا يعني أن الشيخ أبا سليمان أيوب عاش طويلاً وأمدّ الله في عمره حتى زاد عن المائة و بهذا يكون قد درّسهما كليهما في أزمان متفاوتة .

أما أبو العباس أحمد الدرجيني فينص د . الجنحاني على أنه درس عن والده سعيد . (2)

كما أخذ أبو العباس أحمد العلم عن شيخه أبي سهل يحي بن ابراهيم أحد علماء وارجلان .ونستدلّ لذلك من القصيدة (3) التي وجّهها اليه والده سعيد يحثه فيها على طلب العلم اذ يقول :

مضت سنة واستقبلت بعدها أخرى   فياليت شعرى ماتجيء به البشرى

---

(1) الدرجيني ، طبقات ، ج 2، ص 461 .

والشيخ أبوسليمان أيوب هوشيخ أبي يعقوب يوسف الوارجلاني وقد رثاه كما مرّ بالبائية :

أيوب ما أيوب لا أيوب   أودى به قدر الردى المجلوب

(2) د .الجنحاني ، دراسات في التاريخ ، ص 187 .

(3) الدرجيني ،طبقات ، مقدمة الشيخ بكلي ، ص: ل .

أبالعلم فزتم أم الى اللهو ملتم ... ونحن نعدّ العام والفصل والشهرا

ألا إنّما تحصى عليك لياليــــا ... فما الترك والاهمال للحرّ بالأحرى (1)

ثم يــقول :

فان تك تلميذ انبيها وحاذقـا ... فشيخك بحر العلم أعظم به بحــرا

فماعذ ر من أستاذ ه فذّ عصره ... "أبوسهل" الحبر الذى قدعلا فخرا

ثم يــقول :

به ورقلا تزهو جمالا وبهجــة ... به أشرقت نورا به ابتسمت فخــرا

<u>كتــاب الطبــقات للدرجيني :</u>

لقد ألّــف أبو العباس أحمد كتابه "الطبقات" بالتــقريب بعد سنة 650هـ الموافق لـ 3 5/ 2 125 2م . ويتألف كتابه من جزئين : الجزء الأول : عبارة عن تهذيب لكتــاب السيرة و أخبار الأئمــة لأبي زكــرياء يحي بن أبي بكــر. والجزء الثاني : عبارة عــن ترتيب و تصنيــف لمشايخ الاباضية في طبــقات ، بداية من الطبقة الثانية وهي مــن (0 5هــ الى 100هـ) من عبد الله بن وهب الراسبي الى الطبقة الثانية عشـــر (550 هـ ــ 600هـ) بذكر حياة الشيخ يوسف بن سد ميمان. (2)

وسبب تصدى أبي العباس أحمد لكتابة الطبــقات ، و تكريره كتاب السيـــرة وأخبار الأئمــة لأبي زكــرياء أن أهل عمان أوفد وا الشيخ عيسى بن زكــريا بمجموعة من الكتب في المذهب الاباضــي مع رسالة ،يقولون فيها : " وجّهوا لنـــا كتابا يتضمن سير أوائــلنا ، ومناقب أســلافنا من أهل المغرب من لدن وقــع فيه مذ هبنا الى هلم جرا ، فانه عمــيت علينا أنباؤ هم ، وغابت عنّا آثارهم ، من بعـــد الشــقة ، وعظم المشــقّــة". (3)

---

(1) في النسخة المطبوعة: الاهمام بــدل الاهــمال يبدو أنه خطأ .

(2) ينظر : الدرجيني ، طبــقات ، ج 2 ، ص523 .

(3) البرادى ، الجواهــر ، ص 11 .

ولقد هم المزابة بارسال كتاب السيرة لأبي زكرياء ولكنهم وجدوه لا يلتزم بالقواعد العربية ، و يتسم بالطابع المغربي ، مع مافيه من لغة بربرية . عندئذ كلفوا أبا العباس بكتابة كتاب يتضمن سير مشايخ المغرب إلى عهده ، فكتب الجزء الأول من كتابه طبقات المشايخ الى نهاية حياة أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي مثلما فعل أبو زكرياء في الجزء الأول من كتابه السيرة . وبهذا يتضح أن الجزأين الأولين من كتاب أبي زكرياء والدرجيني متطابقان ثم يرجع في كتابه الجزء الثاني الى القرن الأول الهجرى - الطبقة الثانية - مصنفا العلماء والمشايخ في طبقات كما أسلفنا .

وبهذا يكون الجزء الثاني من تأليفه الخاص ، و قد جمعه من وثائقه الخاصة و الجزء الثاني [illegible] أبي زكرياء ، و طبقات أبي عمار وغيرهما . (1)

وتوجد نسخ مخطوطة لكتاب طبقات المشايخ في خزانات ميزاب ، ونسخة في كراكوفيا ضمن مجموعة سموجوزفسكي . (2)

وعلى كل فان كتاب الطبقات بالغ الأهمية لا من حيث دراسة التاريخ فقط ، بل حتى المسائل الفقهية ، و الفتاوى التي أفتى بها المشايخ ، فلو جمعت وحدها في كتيب لأفادت الكثير .

---

(1) وليس كما ينص د . الحبيب الجنحاني أن كتاب السيرة كله يوجد في الجزء الأول من كتاب الطبقات . ينظر كتابه دراسات مغربية ، ص 100 .

(2) لقد جمع سموجوزفسكي مجموعة من المخطوطات سنة 1926م من قرى ميزاب وهي في حوزة تاديوش ليفتسكي و قد حظينا بلقائه وتصوير ما أمكن تصويره من المجموعة . و يقول تاديوش أن مابقي في (لفوف) بعد احتلال روسيا للأراضي البولونية أكثر حيث كانت كل المخطوطات فيجهل مصيرها الى حد الآن .

(حوار شفوي مع تاديوش/ماي 1989)

و هناك علماء كثيرون اشتهروا بحرصهم على نشر العلم وتربية النشئ تربية اسلامية رفيعة لم يمكن لنا أن نخصص لهم تعريفا خاصا بهم، وذلك إما لعدم توفر المعلومات لدينا حيث أن كتب السير لم تذكر من حياتهم الا اليسير، أو لكونهم علماء مشهورين و لكن علاقتهم بوارجلان علاقة بسيطة جداً .

فمن هؤلاء تلامذة أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي بوارجلان و هم: ماكسن بن الخير، و أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي، و أبو العباس أحمد بن محمد ابن بكر فكان لهؤلاء الثلاثة الفضل في مراجعة ديوان العزابة(1) و هم جميعا من الطبقة العاشرة (450هـ - 500هـ). ويعدّ الديوان موسوعة فقهية وهي تشبه الموسوعة الفقهية التي اشترك فيها سبعة علماء في غار امجماج بجربة(2) قبلها (400- 450هـ) من حيث العمل الجماعي.

كما أن أبا عمرو عثمان بن خليفة السوفي المارغني من الطبقة الحادية عشر (500- 550هـ) الذي أخذ العلم عن ثلاثة أقطاب في ذلك الوقت و هم أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي (ت 471هـ) و أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر (ت 504هـ) و أبو زكريا يحي بن أبي بكر الوارجلاني (ت 474هـ) قد أسهم ... بعد ذلك في التأليف بكتاب السؤالات .ولم يبرز الدرجيني في طبقاته

---

(1) ديوان العزابة يشتمل على خمسة وعشرين جزءا : اشترك فيها عالمان من نفوسة أمسنان و هما : يخلفتن بن أيوب، ومحمد بن صالح، وعالم من قنطرار وهو يوسف بن موسى، و عالم من تجديت وهو: يوسف بن عمران بن أبي عمران المزاتي، و ثلاثة علماء من أريغ وهم عبد السلام بن أبي السلام ، و جابر بن حمو وابراهيم بن أبي ابراهيم .
ينظر : الدرجيني، طبقات، ج 2، ص 456 .

(2) ويسمى بديوان الأشياخ ميتألف من اثني عشر جزءا اشترك فيه أبو عمران موسى ابن زكرياء المزاتي ، جابر بن سدرمام ، كباب بن مصلح ، أبو جبير المزاتي ، أبو عمرو النميلي ، أبو محمد عبد الله بن مانوج اللمائي ، أبو زكرياء بن جرنان النفوسي . ينظر: الدرجيني، طبقات، ج 2 ، ص 409 .

أهميـة هذا المؤلف . ونشك في أنه قد ألـفه في عهد التلمذة ، ولعله قد ألفه في الحامّـة ابّان تدريسه هناك . وهو مزيـج من البحوث الكلامية واللغوية . (1)

كما أن الشيخ أبا يعقوب يوسف بن خلفون من الطبقة الثانية عشر (550 ـ 600هـ) كان عالما في تينباماطوس أجاب عن مسائل سئل عنها وجمعها الدكتور عمرو خليفـة النامي (معاصر) ونسبت اليه " أجوبة ابن خلفون" ، وقد يضاف الى علمـاء هذه الطبقة أبو الربيع سليمان بن عبد السلام الوسياني صاحب السير ، وقد عاش في قسطيلية وقضى شبابه في آجـلو .

ونجد في نفس الطبـقة الشيخ أبا سهل يحي بن ابراهيم بن سليمان ابن زرقـون ابن ويجمان من العلماء الذين لم يذكرهم الدرجيني في طبقاته رغم أنه عاش فـي وارجـلان وممّـن أخذ عنهم العلم ، وقد ذكره أبوه بقصيدة يقول فيها :

فما عذر من أستاذه فذّ عصـره | أبو سهل الحبر الذى قد علا فخرا
سلالة أشياخ كـرام وسـادة | فاكرم به فرعا وأكرم به نجـرا (2)

وقد حدّد الشيخ أعزام حياته بين 600 و 700 هـ (3) وله كتاب في التوحيد سمّـاه عقيدة التوحيد ، وقد خصّص له (بيركوبرلي PIERRE CUPERLY) دراسة مركّـزة . (4)

---

(1) د . عمرو خليفة النامي ، ملامح عن الحركة العلمية بوارجـلان ، مجلة الأصالة ، 1977 ، ص 27 .

(2) الدرجيني ، طبقات ، ج 1 ، مقدمة بكـلي ، ص: ل .

(3) أعـزام غصـن البان ، مخ ، ص 233 .
ويحدده تاديوش (القرن 6 هـ/ 12 م) .

- T. LEWICKI , LesHistoriens ... , p. 78 .

(4) ينظـر: - PIERRE CUPERLY , Introduction à l'étude de l'Iba--dism et de sa théologie, Alger ,O.P.U. 1984, p. 93 .

أما المشايخ الذين ذكرت أسماؤهم وأسهموا في دفع عجلة العلم والعرفان، وأوقفوا كل حياتهم لتعليم الناشئة وإن لم يتركوا آثارا فأعدادهم كثيرة يكفي أن يلقي الانسان نظرة سريعة على أسمائهم لدى فهارس كتب السير والطبقات ليعلم ضخامة أعدادهم .

كما لا يفوتنا أن ننوه بالرحلات العلمية التي كانت تحدث بين أهل المشرق والمغرب، وقد يأتي بعضهم من عمان كما حدث قبل تأليف كتاب الطبقات. وننوه بضخامة ما ألف حتى ان بعض المكتبات تحتوى على مايزيد عن ثلاثين ألف مصنف وأغلبها في الشريعة الاسلامية وذلك للاهتمام البالغ بهذه الناحية . وننوه بنسخ الأعداد الهائلة من الكتب وإهدائها من قبل مؤلفيها، كما فعل الشيخ أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم الوارجلاني . وبهذا نرى ما الدافع الذي من أثر في البحث والتأليف مع الاجتهاد في العبادة واخلاص العمل لله وحده .

بعد هذا العرض لحياة مشايخ بني وارجلان وآثارهم نقول اننا تركنا الكثير منهم خاصة الذين ذكروا على سبيل اظهار بركتهم وكراماتهم، أو بضعة أقوال على صيغة النصائح، أو العبر، أو الفتاوى .

وكذلك فاننا نجهل الكثير ممن طوت الفتن آثارهم وتاريخهم، ونذكر على سبيل المثال أيضا بعض الشخصيات التي سمعنا أسماءها وتعرفنا عليها من خلال ما كتبه المستشرقون ولم تذكرها المصادر الاسلامية لا من قريب ولا من بعيد .

لقد ذكر المستشرق الفرنسي جون ليتيو (1) في كتابه " ورقلة مدينة صحراوية" الشيخ سليمان بن ابو هيم بن بانوح السدراتي، ويقول بأنه ولد سنة 293هـ الموافق لسنة 905م، وبأنه توفي بوارجلان سنة 412 هـ الموافق لسنة 1021م، وبأنه

(1) - JEAN LETHIELLEUX , Ouargla... p. 24.

عاش 114 سنة ، وكتب عن الاباضية وتاريخهم خمس مجلدات تحت عنوان: "البراهيمي في سلوك المذهب الاباضي" (1).

ويتحدث عن شخصية أخرى مجهولة أيضا واسمها أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم بن اسماعيل الوارجلاني المفسّر للقرآن الكريم وقد توفي سنة 412 هـ الموافق لـ 1021م، وبتأليف تفسيره للقرآن الكريم من ثلاثة مجلدات وبأنه ألف كتاب فتوح المغرب الأقصى ، وبأن هذا الكتاب يتكلم عن الاباضية المنحدرين من عبد السلام المتوفى بسدراته والمدفون بجبل العبّاد سنة 170هـ/ 786م . وغير ذلك من الكلام الغريب.

فلو قارنّا هذه الشخصية الأخيرة بأبي يعقوب يوسف بن ابراهيم الوارجلاني المولود سنة 500هـ والمتوفى سنة 570 هـ وبأنه فسّر القرآن الكريم، وله كتاب في تاريخ المغرب يسمى التاريخ الكبير لسدراته ووارجلان ووادي أريغ كما يذكره البعض، وبفتوح المغرب كما يذكره آخرون . فاننا نقول بأن معلومات هذا المؤلف باهتة ومضللة ، وفيها الكثير من الخطأ في الاسم، التاريخ، والمولد، والآثار.

وأما اذا كانت شخصية مغايرة وأنّ ماذكره من المؤلفات المخطوطة توجد تحت حوزته فاننا نقول بأن تاريخ المنطقة سيتغير بظهورها رأسا على عقب خاصة نسبة عبد السلام إلى سدراته في سنة مبكّرة عن نشأتها المعروفة إلاّ اذا كان المقصود

==

(1) حينما راسلني الأستاذ مسعود مزهودي ونبّهني الى هذا المخطوط الهام مشكورا وأخبرني الحاج سعيد محمد أيوب بوفاة المستشرق ليتيو قصدت عنوانه في فرنسا علّني أجد تركته ، فوجدت المستشرق نفسه حيا يرزق ولكنه توارى وتعلّل بعلل حالت دون رؤيته - فلم أظفر بشيء . كان ذلك في 31/ 03/ 1989م .

هو القبيلة (أي قبيلة سدراته) ومع هذا فنفس المقصود بالفعل هو المدينة .

واذا وضعنا في حسابنا نشاط الآباء البيض في منطقة وارجلان وجمعهم للمخطوطات الاباضية والمستشرق المذكور من أنشطهم وبأن هذا الأخير عاش خمسين عاما يجمع الوثائق من مسالك الطرق التجارية دون كلل أو ملل .

واذا وضعنا في حسابنا ماذكر من حقائق سواء أكانت شخصيات كما أسلفنا أم أحداثا تاريخية محددة بالزمان والمكان وهي غير مذكورة في كتب السير ، فنكاد نجزم أن هناك تراثا يملكه الآباء البيض ويضنون به عن غيرهم ولا أدلّ من ذلك تهرّبهم وتمنعهم عن اهداء الحقائق .

وحقائق أخرى لاترتبط بالحياة الثقافية فقط بل بنواحي أخرى متعدّدة لاتزال تحت رحمة من يملك المخطوطات والوثائق ، ويضنّ بها سواء أكان من الآباء البيض أم من أبناء الاسلام والمسلمين أنفسهم .

ولعل الله تبارك وتعالى سيكشف عن الحقائق عاجلا أو آجلا .

الفصل الرابع
الحياة الاقتصادية

1) التجـــــارة :

كانت وارجلان بحكم موقعها الجيّد على مشارف الصحراء الكبرى حلقة وصل بين العواصم الاسلامية بشمال القارة الافريقية، والعواصم السودانية بالســـودان الغربي والأوســط .

فلعبت دورا بارزا وحيو يّا لايقلّ أهميـة عن الحواضـر الاسلامية في العـالم الاسلامي ان لم نـقل كان لها فضـل كبير على مستوى القارة الافريـقية .

لقد كانت الطرق التجارية الكبرى تتحاشـى العروق الرملية الكبرى مثل العـرق الغربي الكبير ، أو العرق الشرقي الكبير ، و تتحاشى المتاهات الكبرى مثـــل سطوح هضبة تادمايت (1) في تتبع أماكـن وجود الأودية وتجمّع الماء (2) وتجعـل من الواحات الكبرى والصغيـرة أماكن للراحـــة ، وتبادل السلع ، واستئجـــار الأدلاّء ، وجمع المعلومات ، واقتناء مزيد من الزاد .

فكانت وارجلان أهم واحة تجمع هذه الخصائـص الكبرى ، وكانت القوافــل الآتيـة من الجنوب وهي تتـبع غدران مياه نهر وادي ميه تجد نفسهـا حتما أمام واحات سدراته ووارجــلان الغنيـة بمياهها ، وآبارها ، وينابيعها الفوارة ، وتجـد نـفسها تشرف من أعلى الهضاب على المنبسـط الممتد بخضـرة غابات النخيل .

وكذلك القوافل الآتية من الغرب متحاشية العرق الغربي الكبير ، وكذا الآتيـة من الشرق متحاشية العرق الشرقي الكبير .

---

(1) هضبة تادمايت : هضبة مستوية صعبة المسالك توجد جنوب المنيعة .

(2) يرى د .محمد عيسى الحريري أن وارجلان من أشهر الواحات التي ربطت الدولـة الرستمية بالسودان بفضـل ينابيعها .

ينظر : د .محمد عيسى الحريري ، مقدمات البناء السياسي للمغرب الاسلامي ـ الدولة الرستمية (160 هـ ـ 296هـ) ، دار القلم ـ الكويت ، ط 2 ، 1403 هـ 1983م ، ص : 13 .

وكانت هذه الحركة الدؤوب من هنا وهناك عاملا مشيرا لسكانها كي ينشطوا في شتى مجالات الاقتصاد خاصة التجارة ، فحذقوا فيها وصار منهم الأدلاء المهرة، فاستقطبت وارجلان تبرغانه ، فظهر ذلك جليّا على أهلها غنى ويسارا، فبنى أهل سدراته خاصة القصور ، وشقوا الترع والسواقي ، واستحدثوا أسواقا لتجارتهم الرائجة .

وباشتهارهم بالأمانة ، والصدق أثروا في كلّ سوق حلّوا به وكانوا خير دعاة للإسلام بأعمالهم دون أن يجرّدوا لذلك سيفا ، أو يجرّوا جيشا . وكان هذا بداية من الدولة الرستمية التي أقامت المحطات وحفرت الآبار ، وأمّنت الطريق من قطاع الطرق .

كما فكّرت في ربط علاقات الودّ فكانت أسبق من بعث بالهدايا الى ملوك السودان ، فتذكر المصادر الاباضية أن الإمام أفلح بن عبد الوهاب (1) بعث بمحمد بن عرفة ومعه هدية الى ملك صوصو ، وماكان منه إلاّ أن أبدى إعجابه به وبهديته وبهيبته ، وبجماله، وبفروسيته اذا ركب الخيل بين يديه، وقال له ما معناه : " أنت حسن الوجه ، حسن الهيئة و الأفعال " . (2)
وكان المسافرون الى صوصو ، أو كوكو في تلك الفترة المبكرة أهل مدينة وارجلان . (3)

ولعل هذه العلاقات الودية وشهادات هؤلاء بحسن الهيئة والأفعال جعلت قلوب السودانيين الأفارقة تلين للاسلام ، وتنبذ الوثنية . وهذه التجارات المكثفة جعلتهم يتعلّمون أساليب البيع والشراء الاسلامية ، ويتأثرون مع مرور الزمن فيدخلون في دين الله أفواجا .

---

(1) أفلح بن عبد الوهاب ثالث أئمة الرستميين من سنة 211هـ الى 240هـ .
(2) الباروني ، الأزهار الرياضية ، ج 2 ، ص 223 .
(3) م.ن ، ص 174 .

أ- الأسـواق الكبرى وعـلاقتها بوارجـــلان:

ترتبط العواصم الاسلامية في تجارتها بالسودان(1) لما تتمتع به من غنـــى خاصة في معدن الذهب فارتبطت بها بطرق تجارية متعددة مستغلة بذلك الطـرق القديمـة .(2)

فكتب السير الاباضية المهتمةبحياة المشايخ و مناقبهم تجعلنا نستشف مـــدى أهمية التجارة و مدى ارتباط نفوسة والقيـروان، و تاهرت بالسـودان .

واذا حاولنا رسم خريطة لطريق القوافل نجد صعوبة بالغة في وصف هـــذه المسالك خاصة وأن الكتب التي عنيت بذلك (3) يهتم أغلبها بالمراحل الفاصلة دون عناية تذكر بالتفاصيـل ، ومنها مالايهتم حتى بالاتجاه ، أضف الى ذلك التضارب في المراحل لنـفس المسافة ، ولعلّ ذلك يعود الى نشاط التجارة بين حيـــن وآخر ، أو تباين الفصول ، فاذا نشطت التجارة و كان الجوّ منعشا جدّت القوافل في طيّ المراحل ، واذا كان العكس من كساد في التجارة ، وحرارة مرتفعـة وعواصف هوجاء قلّـت المسافات وصغرت المراحـل .

---

(1) تعرف دائرة المعارف الاسلامية السودان بقولها " وقولنا بلاد الســودان معناها الصحيح بلاد السود " . . ." وقدجرى العرب وكذلك الاوروبيـون على قصر هذه التسمية على الجزء الشمالي من تلك الأقطار ، أو اطلاقها بصفـة أعم على تلك المنطقة شبه الصحراوية من افريقيا التي تغلغل فيها الاسلام " . أحمد الشنتناوي ، دائرة المعارف الاسلامية ، دار المعرفة – بيروت ، ص 227

(2) ينظـر: - HENRI LHOTE , <u>Sahara</u> , p. 193 .

(3) ينظر لذلك ما ألف في الموضوع كل من: البكري والادريسي ، وابن حوقل وابن خرداذبه، والحميري، وابن بطـوطه .

وحينما نرسم هذه الخريطة نتحصل على أربعة طرق رئيسية يستطيع التاجر الوارجلاني الذهاب بواسطتها إلى الجنوب .

وأغلبها يتجه صوب السودان الغربي ، و أقلها يتجه صوب السودان الأوسط(1) فتنتهي إلى مراكز تجارية ، أو ما سميناه بالأسواق الكبرى .

وفيما يلي سنوضح هذه الأسواق التي كانت لها أهمية في ازدهار الاقتصاد بوارجلان ونواحيها .

المجموعة الأولى :

أسواق (تاكدة ، أغادس، كانم، كوار) .

حينما ننظر الى الخريطة نرى أن هذه المنطقة الجنوبية الشرقية والموجودة قريبا من بحيرة "تشاد" نجدها ترتبط بمسلك يتجه من الشمال الى الجنوب ، من القيروان شمالا ذاهبا إلى الشرق مبتعدا عن وارجلان إلى جبل نفوسة ، ومفصولا عن وارجلان بالعرق الشرقي الكبير متجها صوب زويلة نازلا الى كوار .

وحينما نجد النصوص الاباضية تتحدث عن وجود الوارجلانيين بأرض كوار نستبعد كل الاستبعاد أن تكون هذه المسالك مسالكهم الى أرض كوار ، وزغاوة .

انما الاحتمال المعقول هو أن يكون الطريق من وارجلان نازلا الى الجنوب متحاشيا العرق الشرقي الكبير الى تاكدة ، أو أغادس ومنها يرتبط جنوبا متجها نحو الشرق الى كانم عن طريق بيلمة .(2)

و أهم نص يؤكد لنا وجود الوارجلانيين في أرض كوار ما ذكره أبو يعقوب

---

(1) ينظر لذلك خريطة المسالك من وارجلان مع الملاحق .

(2) تنظر خريطة : - HENRI LHOTE , Sahara, p. 159 .

يوسف الوارجلاني نفسه في كتابه الدليل والبرهان عمّا رآه من غرائب لدى سفره الى تلك المنطقة . (1)

ومنطقة كانم معروفة لدى الاباضية بوارجلان اذن مثل مايعرفها إباضية جبل نفوسة اذ أنّ طريقهم كما أسلفنا يؤدّى الى هناك بل إنّ بعضهم يعرف اللغة التي يتخاطب بها الكانميون، فأبو عبيدة عبد الحميد الجناوني (2) عامل الامام على جبل نفوسة في عهد الدولة الرستمية يعرف الى [illegible] البربرية والعربية اللغة الكانمية .

وبلاد زغاوة على الخريطة لاتبعد عن كانم . وأهم مايلفت الانتباه مايقوله الادريسي [illegible] بلاد زغاوة اذ يقول : " وبها قوم رحالة يسمون صدراته يقال إنّهم بربر وقد تشبّهوا بالزغاويين في جميع حالاتهم وصاروا جنسا من أجناسهم وإليهم يلجؤون فيما عنّ لهم من حوائجهم وبيعهم وشرائهم " (3)

ولا يستبعد اذا قارنا بين كلام أبي يعقوب يوسف بن ابراهيم الوارجلاني السدراتي . وماقاله الادريسي آنفا أن نصل الى حقيقة تكاد تكون قطعية وهي وجود السدراتيين هناك بكثرة بل انّهم اندمجوا حتى صاروا جنسا من أجناسهم .

وتحدّث اليعقوبي عن قوم رحالة بزغاوة ولعلّهم السدراتيون حيث يقول : " فأول ممالكهم الزغاوة وهم النازلون بالموضع الذى يقال له "كانم" ومنازلهم

---

(1) ينظر: أبو يعقوب، الدليل والبرهان، ج 3 ، ص 209 .

(2) عاش في النصف الأول من القرن التاسع الميلادى .

(3) الادريسي، وصف افريقيا من النزهة، ص 20 .

من أخصاص القصب ، وليسوا بأصحاب مدن، و يسمى ملكهم كا كـرة" (1) خاصة و أن " كانم " هي مقصد أبي يعقوب السدراتي في رحلة من رحلاته وهذه يتحدث فيها عن وجودها بين كـوار و زغـاوة .(2)

المجموعة الثانيـــة : أسواق : تادمكـت ـ جـاو .

تا د مكـت :

كانت تادمكت من أحسن الأسواق التي أمّها الوارجلانيون ، والنفوسيـــو ن ، والقيـروانيون .

ويحدّد البكرى المسافة بين تادمكت ووارجلان وغيرها بقوله : " فاذا أردت من تادمكـة الى القيـروان فانك تسيـر في الصحراء خمسين يوما الى وارجلان وهـــي سبعة حصون للبرابر أكبرها يسمى " أغـرم أن يكامن" أىحصن العهود . (3)

ويرى (جون ديـفيس) أنه أهم طريق يربـــط السودان الغربي بالشمال الا فريـقي في القرن التاسع الميلادى .(4)

و كذا في رجوعهم الى تادمكت من وارجلان يأتون من نفس الطريق مـــرو را بأدرار أفو قاس (5) ، و لاشك بأن القوافل تتحاشى كذلك مرتفعات الهقـار(6) الصعبة .

ويصف لنا البكرى مدينة تادمكت بأنها مدينة كبيرة بين جبال وشعاب و هـــي

(1) اليعقوبي ، تاريخ ، ج 1 ، ص 168 .
(2) أبو يعقوب ، الدليل والبرهان ، ج 3 ، ص 159 .
(3) البكرى ، المغرب ، ص 182 .
(4) جودت عبد الكريم يوسف ، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ـ الجزائر ، 1984 ، ص 268 .
(5) م ، ن ، ص 266 .
(6) بالهقار أعلى قمة في الجزائر كلها وتصل الى 3000 م بقمة تاهـات .

وهي أحسن بناء من مدينة غانه ، ومدينة كوكسوا ، وأن اسمها تادمكة يعني هيئة مكة (1) ، وتسمى الآن "السوق" بالنيجر. (2)

ولقد تركت لنا الآثار ذكر بعض التجار في هذه المنطقة ومن بينهم أبو صالح الياجراني (3) تقول عنه: " جلب من إبله أبعرة الى وارجلان للبيع فاشترى وارجلاني منها بعيرا فلما أراد أن ينقده الثمن قال له إنّ ثمن جملك في تادمكت ". (4)

والشطر الثاني من نفس النص يتناول وديعة حمل أودعها شخص عنده ليبيعها في تادمكت فسمّى له الثمن فنقص من قدرها شيء يسير قال الدرجيني : " فقال لا يمكن البيع بدون ما سمي لي فرجع بالحمل الى وارجلان ، قالوا لم ير حمل رجع من تادمكت الى وارجلان غيره". (5)

ومن هذه الكلمة الأخيرة يتبيّن لنا مدى تردد أهل وارجلان على تادمكت ورواج تجارتهم ، وأمّا قول الوارجلاني ثمن جملك في تادمكت فلم يقصد إعفاته ولكن يفهم من هذا أن للرجل أموالا في تادمكت بحكم أسفاره السابقة، والثاني بحاجة إلى أموال هناك لشراء ما يحتاج من سلع .

---

(1) البكري ، المغرب ، ص 180 .
ويعارض العبدري هذا المعنى بقوله " وليس معنى" تاد " الهيئة كماذكر ولا لهيئة اسم في لسانهم البته وانما تعنى " تاد " " هذه " .
العبدري ، رحلة ، ص 159 .

- ROUVILLOIS-BRIGOL, MADELEINE, Le Pays de Ouargla, P.14 (2)

(3) أبو صالح الياجراني: يصنّفه الدرجيني ضمن الطبقة الثامنة (350 – 400هـ) .
(4) الدرجيني ، طبقات ، ج 2 ، ص 375 .

==

واشتهر من التجار الكبار من بني واسين تملي الوسياني ، فقد أثرى ثـــراء كبيرا بعد ماكان مقلاّ معدما، وذلك بسبب أخلاقه و تجارته الى تادمكت . (1)

جـــاو :

وتوجد جنوب مدينة تادمكت جاو ، أو جسوجو ، أوكوكو (2) وهي على تسع مراحل جنوب تادمكت (3) وهي مدينة كبيرة على نهر ينبع من الجبال . (4)

واذا أمعنّا النظر في خرائط قوافل التجارة نجد جوجو (أو جاو الحالية) على ضفة نهر النيجر .

و أن الطريق الصاعد منها شمالا يتفرع الى فرعين الأيمن يتجه نحو وارجلان، والأيسر يتّجه نحو سجلماسة .

أما الطريق العرضي فالمتجه منها شرقا يصل الى تاكدة و كانم، والمتجه غربا يصل الى زاغارى ومنها الى مدينة غانه ، والى بلاد التكرور ، أو الى مدينة مالى جنوب مدينة غانا .

ولأهمية موقعها كانت ممالك السودان كلها تخضع لملكها و يقول اليعقوبي في شأنها " ثم مملكة الكوكو وهي أعظم ممالك السودان، و أجلّها قدرا ، و أعظمها أمرا، وكل الممالك تعطى لملكها الطاعة " .(5)

وكذا نجد نصا يثبت عزم توجه أفلح بن عبد الوهاب إلى صوصو أو جوجو، ويبيّن لنا مدى تحرّج الامام عبد الوهاب في المعاملات التجارية فسأل ابنه عنها فلما لم

= = (5) نفس المصدر .

(1) تملي الوسياني عاش في القرن الرابع الهجرى ــ العاشر الميلادى .
ينظر : الوسياني ، سير ، (مخطوط) ، ص 22ــ 23 .
(2) هذا الاختلاف له شبيه بكثير من الأسماء ومثال ذلك و، رجلان، ورقلان، وركلان ويقال عن ذلك " كل ماجمجم ، قمقم، وكمكم " .
(3) البكرى ، المغرب، ص 183 . ==

يجبسه عن واحدة منها نهاه عن السفر.(1)

وكذا ماذكرناه في التمهيد عن ارسال افلح بهدية مع ابن عرفة الى نفس المكان .

ويؤيد الادريسي ماقلناه من وجود اباضية وارجلان هناك حينما يتعرّض لذكر وجود عود الحية واقتنائه من طرف الوارجلانيين و المغاربة قائلا : " والصحيح عند أهل المغرب الأقصى ، و أهل وارقلان أن ذلك العود اذا أمسكه ماسك بيده، أو علّقه في عنقه لاتقربه حية البته" .(2)

<u>المجموعة الثالثة</u> : أسواق: سجلماسة ـ تاغزه ـ ولاته ـ زاغارى ـ مالي .

<u>سجلماسة :</u>

تعد سجلماسة من أهم الأسواق المغربية التي تنطلق منها القوافل صوب الجنوب ، ولها اتصال وثيق بوارجلان من الجانبين الاقتصادى والسياسي .

لقد تأسست سنة أربعين ومائة أسسها مدرار بن عبد الله (3) وبنى سورها اليسع بن منصور سنة 179 هـ (4) الموافق لـ 757م، ويصفها الادريسي بقوله: " و أما مدينة سجلماسة فمدينة كبيرة كثيرة العامر ، و هي مقصد للوارد ،

== (4) ابن خلدون ،العبر ،ج 1، ص 93 .

(5) اليعقوبي ، تاريخ ،ج 1، ص 168 .

(1) الباروني ، الأزهار ،ج 2 ، ص 194 .

(2) الادريسي ، وصف افريقيا من النزهة ، ص12 .

(3) الحميرى ، الروض المعطار ، ص 305 .

يرى الحسن الوزان ان الذى بناها هو قائد روماني وسماها سجلوم ميسي .
الحسن بن محمد الوزان الفاسي (المعروف بليون الافريقي) ، وصف افريقيا تر/ عن الفرنسية د .محمد حجي ، د . محمد الأخضر ، ط 1 ، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، 1982 ، ص 136 .

(4) البكرى ، المغرب ، ص 148 ـ 150 .

والصادر، كثيرة الخضـر والجنات، رائحة البقاع والجهات، ولاحصن عليها وانّما هي قصورودیار، وعمارات متصلة على نهر كـثير الماء يأتي من جهة المشـرق من الصحراء" (1) وليس بهـا عين ولابئر (2) وهي على ضفة وادى زيز اليسـرى بتافيلالت بالجنوب الشرقي للمغرب وهي الآن خرائب. (3)

وللذهاب الى سجلماسة من وارجـلان تتجه القوافـل أوّلا إلى الجنوب الغربي إلى مدينة القـليعة حيث المحطـة العامة ثم تتجه غربا، وتمرّ بواحة قـسـو را وة وقصور توات، ثم تتجـه إلى الشمال الغربي حيث مدينـة سجلماسة وتكون بهـذا قد تحاشـت العرق الغربي الكبيـرمتتبّعـة مجرى وادى الساورة (4) و بعـد وصولها الى سجـلماسة يتجه هذا الخط مرة أخرى نحو الجنوب إلى تاغزة، وولاتن ثم زاغـارى، الى مدينـة مالي .

<u>وجود الاباضية بسجلماسـة :</u>

لقد كان التجار الاباضيون ينطلقون من وارجـلان إلى سجلماسة أو منها إلى وارجـلان .

فالشماخي من خلال نصوصه نجده يحدّثنا عن الشيخ أبي يحي زكرياء بـن صالح البراسني رواية عنأحد المشايـخ " قال وصل لـبـنوبحي زكـرياء

---

(1) الادريسي ، وصف افريقيا من النزهة ، ص: 37 .

(2) اليعقوبي ، البلدان ، ج 2 ، ص : 359 .

(3) - T. LEWICKI, <u>L'Etat nord -africain de Tahart et ses re--lations avec le Soudan occidental à la fin VIII et au IX siècle</u> / CAHIER D'ETUDES AFRICAINS. Vol. 2 (1962) , p. 516 .

(4) فرج محمود فرج ، اقليم توات خلال القرنين 18- 19، ديوان المطبو عـات الجامعية - الجزائر، 1984، ص: 78 .

ذات مرّة من سجلماسة الى وارجلان وخرج يريد جربة مع أصحابه ومعهم قرب مائتي ألف وخمسين ألفا ذهبا تبرا أعني مثقالا" (1)

ولعل علاقة الاباضية ببني مدرار كانت مبكّرة جدّا، وربما منشؤها كان بسبب زمالة الداعيتين سلمة بن سعد، وعكرمة مولى ابن عباس، فنشر الأول المذهب الاباضي بالمغرب الأوسط، ونشر الثاني المذهب الصفرى بالمغرب الأقصى، ثم ظهرت هذه العلاقة جليّة بزواج مدرار بن اليسع بأروى بنت الامام عبد الرحمن بن رستم. (2)

فكانت هذه العلاقة المبكرة بين تاهرت وسجلماسة سببا واضحا في ربط وارجلان بسجلماسة أيضا.

فتبين لنا كتب السير توجه أفراد وجماعات إليها، فنجد أبا عبيد الله الشيعي يمر بوارجلان حينما قصد سجلماسة فهزأ به سفهاؤها خاصة أهل قصر بكر. (3) ثم تنزل القوافل من سجلماسة إلى زاغارى مرورا بتاغزة ثم ولاته.

ولم تحدد كتب المسالك عدد المراحل بين وارجلان وسجلماسة مثل ماحددت المراحل بين وارجلان وغيرها من المدن ولذا فالمسافة تبقى مجهولة بين وارجلان وسجلماسة.

وتاغزة على هذا المسلك تشتهر بمالحها، وكذلك ولاته الموجودة بجنوبها وبالتالي تعدّان محطتين مهمتين للاستراحة من جهة ولنقل الملح منهما إلى

---

(1) الشماخي، سير، (ط.حجرية)، ص 449.

(2) الباروني، الأزهار، ص 95.

(3) أبو زكرياء، السيرة، ص 159.

قد يفهم من حديث أبي زكرياء أن قصر بكر قرية من قرى وارجلان، وقد يفهم كذلك أن القصر بعيد، ولكن أهله نزحوا الى وارجلان فسكنوها.

الممالك السودانية لمبادلته بالذهب من جهة أخرى .

وتحدد المسافة بين ولاته أو (ولاتن) وزاغاري بعشرة أيام .(1)

<u>المجموعة الرابعة</u> : أسواق: أزيل- أودغشت -غانه .

و من أهم الطرق المؤدية الى غانه هذا الطريق الغربي ، فمن وارجلان الى سجلماسة ثم الى تادولت ثم أزيل (أو أجيل) وهذه الأخيرة معروفة بمالحها و منها يحمل التجار كذلك الملح إلى الجنوب حيث ممالك السودان الغربي لمقايضته بالذهب.

و من أزيل إلى مدينة أودغشت ، وقد وصفها صاحب الروض المعطار بقوله : " وهي مدينة عظيمة آهلة لكنها صغيرة ، و في صحرائها ماء قليل ، وهي بين جبلين شبه مكة في الصفة ، وليس بها كبير تجارة ، ولأهلها جمال منها يتعيشون" ثم حدد المسافات بقوله : " و منها الى غانة اثنتا عشرة مرحلة ، وكذلك من أودغشت الى مدن ... كلان احدى وثلاثون مرحلة . .."(2)

و غانة يحدد موقعها الادريسي بقوله: " تتصل من غربها ببلاد مقزارة، و من شرقيها ببلاد ونقارة و شمالها بالصحراء المتصلة بالأرض البربرية، و من جنوبها بأرض الكفار اللملمية" .(3)

وحسب البكري فإن غانا مدينتان سهليتان احدهما المدينة التي يسكنها المسلمون وهي مدينة فيها اثنا عشر مسجدا . . . وحواليها آبار عذبة منها يشربون وعليها يعتملون الخضراوات ." (4)

---

(1) ينظر : ملحق المراحل .

(2) الحميرى ، الروض المعطار ، ص 63 .

(3) الادريسي ، وصف افريقيا من النزهة ، ص 8 .

(4) البكري ، المغرب ، ص 174 .

ويحدد دونيس بولم تاريخ تأسيس مملكة غانة بالقرن الرابع الميلادى ، و أن الذى أسسها جماعة من البيض على الأغلب ثم جاءت بعدهم عائلة من السود في القرن الثامن الميلادى ، ثم توالت الضربات عليها من طرف المرابطين خمسة عشر سنة من 1051م الى 1076م ، ثم زال نفوذهم عنها بعد أن تركزوا في الشمال و أضعفتهم الحروب الداخلية .(1)

غير أنه لايزيد الآ غموضا بقوله جماعة من البيض، وجماعة من السود .

ويرى أن كلمة غانة في الأصل عبارة عن لقب يطلق على الحاكم ثم أصبح يطلق على مقره ثم على كل البلاد .

فمدينة غانه ، وونقارة بالقرب منها ، هما أرض التبر الجيّد المشهور بالطيب والكثرة ، حتى أن أهل وارجلان يصلون بتجارتهم الى هناك . (2)

ويصف الادريسي ونقارة بأنها جزيرة طولها ثلاثمائة ميل وعرضها مائة وخمسون ميلا، والنيل يحيط بها من جميع جهاتها فيغطيها في شهر أغشت ثم ينحسر عنها ، ويأتي الناس بحثا عن الذهب، " فيجدُ كل انسان منهم في بحثه هناك ما أعطاه الله سبحانه كثيرا أو قليلا . . . ومايخيب منهم أحد .

فاذا عاد النيل الى حدّه باع الناس ماحصل بأيديهم من التبر، وتاجر بعضهم بعضا ، واشترى أكثره أهل وارقلان ، و أهل المغرب الأقصى و أخرجوه إلى دور السكك في بلادهم فيضربونه دنانير و يتصرفون بها في التجارات ، والبضائع هكذا كل سنة" .(3)

---

(1) دونيس بولم ، تر/ علي شاهين ، الحضارات الافريقية ، دار مكتبة الحياة ، بيروت (بدون تاريخ) ، ص 49 .

(2) الادريسي ، وصف افريقيا ، ص 89 . (والمقصود بالنيل هنا " النهر")

(3) ينظر : م . ن ، ص: 8- 9 .

وهكذا بهذا الكلام يوضح لنا الادريسي كيفية الحصول على الذهب وكيف أن أهل وارجلان يشترون أغلبه ولهم دور خاصة لسكه نقودا ، يتعاملون بها فيما بينهم . غير أننا لم نجد أثرا لهذه النقود لافي المتاحف الاسلامية التي جمعت العملات الاسلامية ، و لافي الكتب و الرسائل التي تناولت موضوع العملات ، هذا بالنسبة للعملة التي أشار إليها الادريسي أنها سكت في وارجلان .

أما ماورد عن وجود العملة الرستمية ، والاباضية من كلام من لدن ولاية عبد الرحمن بن رستم على القيروان (سنة 140 هـ ــ 144 هـ) فكثير . (1)

ويواصل الادريسي وصف هذه المنطقة ، و يصف لنا جنوب غانه وهي أرض لملم محدّدا أياها بأن أرض مقرازة تكون من جهة الغرب بالنسبة إليها (مثل مدينة غانة) . وأن بشرقيّها أرض و نقارة (مثل مدينة غانة أيضا) ، غير أن غانا نفسها هي حدودها الشمالية ، وبهذا نفهم أنها متاخمة لغانة مباشرة من جهة الجنوب ، والنيل بها يجرى من المشرق الى المغرب .

و رغم بعد الأرض الملمية فان أهل وارجلان يجلبون إليها التمر من بلاد سجلماسة ، أو بلاد الزاب . (2)

وبذكر وصول الوارجلانيين الى هذه المنطقة نكون قد تحصلنا من خلال هذا النص على أبعد نقطة وصلوا اليها في الجنوب الغربي .

---

(1) ينظر : بحاز ابراهيم ، الدولة الرستيمة (دراسة في الأوضاع الاقتصادية والسياسية الفكرية) ، لافوميك ــ الجزائر ، 1985 ، ص: 181ــ187 .

(2) الادريسي ، وصف افريقيا ، ص: 5 .

ب - أهمّ السلع المتبادلة :

1- الذهب :

لعل أهم السلع المجلوبة من السودان على الاطلاق هي الذهب ،فالذهب الموجود بجاوجاوا ، وفي أودغشت ، وغانه ، وونقارة أغلبه كان يجلب إلى وارجلان ، أو إلى غيرها من البلدان مرورا بها.

ولقد وصف الادريسي قصر أحد ملوك السودان الغربي المسمى صالح بن عبد الله من حفدة الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فلقد بناه بالتحديد سنة 510هـ . وبعد وصف القصر يقول عن الذهب" ان له في قصره لبنة من ذهب وزنها ثلاثون رطلا من ذهب تبرة واحدة خلقها الله تعالى خلقة تامة من غير أن تسك في نار، أو تطرق بآلة ، وقد نقر فيها ثقب و هي مربط لفرس الملك ، وهي من الأشياء المغربة التي ليست عند غيره، ولا صحّت لأحد إلاّ له ، وهو يفخر بها على سائر ملوك السودان " (1)

كما يصف البكرى مجلس ملك غانة وكيفية تحلّيه بالذهب اذ يقول:" وملكهم يتحلى بحليّ النساء في العنق ، والذراعين، ويجعل على رأسه الطراطير المذهبّة عليها عمائم القطن الرفيعة " ويصف حاشيته كذلك بقوله: " ووراء الملك عشرة من الغلمان يحملون الحجف، والسيوف المحلاّة بالذهب " . (2)

وكذلك يبين لنا كثرة هذا المعدن بمدينة سجلماسة بقوله" ومن الغريب عندهم أن الذهب جزاف عدد بلا وزن، والكرّاث (3) يتبايعونه وزنا بلا عدد ".(4)

---

(1) الادريسي ، وصف افريقيا من النزهة ، ص : 7.
(2) البكرى ، المغرب ، ص: 175.
(3) الكرّاث : نوع من البقل . من فصيلة الزنبقيات يشبه الثوم
(4) البكرى ، المغرب ، ص: 151.

و أمام كثرة الذهب ورخصه في السودان الغربي، وندرته، وغلاء ثمنه في المغرب المربي جازف التجار وسط الصحراء المترامية الأطراف بما فيها من مسالك صعبة، وحرارة قاسية، وانعدام للمياه.

فكانت وارجلان أسرع الى هذه التجارة المربحة، وأهم قاعدة يكون منها الانطلاق. ويقول د. محمد عيسى الحريرى في هذا الشأن: " وأول هذه القواعد الصحراوية في الدولة الرستمية كانت وارجلان التي ترتبط ببلاد السودان ارتباطا وثيقا، والسفر منها الى هذه البلاد كان كثيرا " (1) حتى تخصص أهلها كما قال فيها بعد " في قيادة هذه القوافل التجارية فكان منهم الأدلاء ذوو الخبرة بالطرق الصحراوية في بلاد السودان " . (2)

و لم يكن جلب الذهب من السودان وغيره كالعاج، والعبيد قد بدأ منذ ذلك العهد، بل ان المصر يين القدماء، والفنيقيين، و القرطاجنيين كانوا أسبق الى ذلك. (3)

ولانعجب اذن اذا رأينا كثرة الذهب لدى قصور الفراعنة حيث سخّروا كل طاقاتهم لجلبه الى قصورهم من شتى الجهات، واستعماله لغرض الزينة، والأبهة، ولا أدلّ على ذلك مما وجد في مقابرهم ووسط توابيتهم موارى في التراب، مثل مقبرة توت عنخ آمون وغيرها كثير.

ولعل المصريين القدامى لهم اتصال بمدينة وارجلان مسبكة ذهب غانا و قاعدة

---

(1) ـ د. محمد عيسى الحريرى، مقدمات البناء السياسي للمغرب، ص 210.
ـ د. عبد العزيز سالم، المغرب الاسلامي، دار النهضة العربية ـ بيروت، 1981، ص 573.

(2) نفس المرجع، ص 211.

(3) د المعرة المعارف الاسلامية، دار المعارف ـ لبنان، بيروت، مج 12، ص: 227.

استقباله وتوزيعه . وهذه الاشارة الواضحة تثبت وصول التجار إليها و إلى وارجلان في نفس الوقت .

يتحدث الادريسي عن أناس من مدينة أنكلاس من بلاد كوار يتجولون بين مصر و وارجلان قائلا : " وأهل هذه المدينة يتجولون حتى ينتهوا من جهة المشرق إلى بلاد مصر ، ويتصرفون فيصلون بلاد وارقلان، وسائر بلاد المغرب " (1) ، وبهذه الاشارة تتبين لنا أهمية وارجلان بصفة خاصة حيث خصّها الادريسي بالذكر على سائر بلاد المغرب من جهة ، وبين علاقتها بمصر مباشرة .

فلا نستبعد اذن ماقلناه مع توجه الذهب الى مصر ، وتأثير ذلك على تجارتها ورخائها ، وحضارتها بين قليل أو كثير ، ولعل الدراسات المستقبلية خاصة بعد فك الهيروغليفية (2) توضح لنا هذه العلاقة منذ القديم .

ولا شك أن لذهب السودان تأثيرا على الحركة الاقتصادية على كامل المغرب العربي ، وعلى المشرق العربي ، وعلى الأندلس أيضا ، وعلى الدولة الرستيمية بصفة خاصة .

ولذا فاننا نلاحظ أن جميع العلاقات مابين عداء وودّ كان منشؤها أساسا حب السيطرة على طريق الذهب أكثر من كونها عداء مذهبيا أو سياسيا ، و يرى المستشرق (جون ديفيس J. DEVISSE) أن محاربة الفاطميين للاباضية كان من أهدافها الاستيلاء على طريق الذهب.

و تأييد الدولة الأموية بالأندلس للدولة الرستمية ، وللحركات الثورية مثل ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد ، أو حركة أبي القاسم يزيد بن مخلد و أبي خزر

---

(1) الادريسي ، وصف افريقيا من النزهة ، ص: 25 .

(2) فك العالم الفرنسي (شنومبو ليون CHAMPOLLION) اللغة الهيرو غليفية سنة 1824 م .

يغلا بن زلتاف كان منشؤ ها أساسا عامل تأمين وصول الذهب الى الأندلس(1)

واذ اكان كذلك فان الاباضية قد كانوا على يقيـن من انجادهم من طرف الأمويين حينما استنجدوا بهم يوم مجيء العبيديين حتى يحافظوا على طرق القوافل السودانية الرستميـة .

و بالفعل فان الدكتور ابراهيم فخـار قد كان دقيـق الملاحظة حينما قـال ان العبيديين كان غرضهم شلّ هذه الحركـة الاقتصادية الضخمة ، فبدأوا أولا بأهمّ المراكـز التجارية ، و الاقتصادية التي كانت تتحكـم في مراكـز التجارة مـن السودان الغربي عن طريـق سجلماسة ،ثم تيهـرت ، ثم تلمسان ، ثم بسكـرة و وارجـلان،ثم القيـروان فهو يرى أنهم بدأوا أولا بغلق أوّل و أهمّ منـفـذ للتجـارة المربحـة ــ تجارة الذهب ، وهـو عمل مخطّـط وليس من قبيـل الصـدفـة . (2)

2ــ <u>الـمـلـح :</u>

و الى جانب ماوقع عليه الطلب من أهل السودان ووقعت مقايضته بالذهب ، معـدن الملح . و يقول الحسن الوزان عنه" يستخرج من المناجم بحفر سراديـب كمايفعل بالرخام و منه الرمادى ، والأبيـض، و الأحمـر ، و منه أيضا مايجمـد في الصيف في بعض البحيرات الصغيـرة ، والغدران ببلاد البربر.(3)

ويرى الدكتور محمد عبد الغني سعودى " أن الملح يأتي في الدرجة الثانيـة

---

(1) د . عبدالحبيـب الجنحاني ، دراسة في التاريخ الاقتصادى،ص : 84 .

(2) د .ابراهيم فخار ، العلاقات التجارية بين الدولة الرستمية والسودان الغربي ــ محاضـرة ــ ملتقى تاهرت ،1ــ2 أفريل 1987م ، ص: 47 .

(3) الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، وصف افريـقيا ، ص: 280 .

بعد الذهب " ، ويرى أن التراجع التدريجي للصحراء أبعد سكان الجنوب عن هذه المادة المهمّة فعمدوا الى تقطير بعض أنواع الحشائش، وبهذا وصلت قيمته الى قيمة الذهب . (1)

ولعل المالح التي ذكرناها لدى تعرضنا للأسواق الكبرى كافية عن التوضيح . الاّ أن هناك أماكن أخرى لها الأهمية القصوى في تزويد السودان بالملح منها جزيرة " أوليل" ولسنا ندري أيعرّج تجار شمال افريقيا عليها في رحلاتهم الى السودان أم لا . وقد ذكرها الادريسي بقوله : " فأما جزيرة أوليل فهي في البحر وعلى مقربة من الساحل، و بها الملاّحة المشهورة ، و لا يعلم في بلاد السّودان ملاّحة غيرها، و منها يحمل الملح الى جميع بلاد السودان ، وذلك أن المراكب تأتي الى هذه الجزيرة فتوسق بها الملح ، وتسير منها الى موقع النيل، وبينهما مقدار مجرى فتجرى في النيل الى سلى ، و تكرور ، وبريسي ، وغانة ، وسائر بلاد ونقارة وكوغة . . "(2)

ويحتمل كذلك أن تكون السباخ الموجودة بوارجلان نفسها أماكن تجمع الملح وبيعه، أو تصديره الى السودان، فنلاحظ من خلال فتوى الشيخ أبي يعقوب يوسف ابن ابراهيم الوارجلاني ذلك و الفتوى صدرت فيمن سرق الملح من وارجلا نوهو في السودان أنّ عليه بردّ قيمته ، أو ارجاعه الى الموضع الذى أخذه منه .(3)

والسبخات موجودة في ذلك الحين وهي مورد أساسي للملح ، و من خلال كتب السير نجد الإشارات الكثيرة إلى ذلك .

(1) د .محمد عبدالغني سعودى ،طرق القوافل وأثرها في انتشار الاسلام، محاضرة بملتقى أدرار، جانفي 1988م ، ص: 8 .
ـ د .محمد الغربي ، كتاب بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ،مؤسسة الخليج العربي للطباعة والنشر، الصفاة ـ الكويت ، 1982م ، ص: 31 .
(2) الادريسي ، وصف افريقيا من النزهة ، ص: 3 .
(3) أبو يعقوب ، الدليل والبرهان، ج 2 ، ص:78 .

3- العبيـــــد :

لو أمعنّا النظر في الخريطة التي رسمت مسار العبيد من الســـودان نجدها لا تتوقف عند وارجــلان ، أو تنتهي عندها ، بل نجد القوافل تواصل سيــرها بعيـدا عن جنوب المغرب العربي ، فهي تواصــل سيرها الى الحواضــر الأكــثـر تحضّــرا ، فتصــل الى تلمسان شمالا ، و تامدلت (1) غربا ، وتونس ، وطرابــلس فــي الشمال الغربــي ، و القاهرة شــرقا .(2)

و هكذا تتبين لنا حاجة هذه الحواضــر إلى العبيد المجلوبيــن من السودان ، فوارجــلان ماهي إلاّ ســوق واحدة من عشــرات أسواق النخاسة ، وجسر تمــرّ فوقــه هذه القوافــل والحشود من العبيــد .

و لعل الأراضــي الزراعيــة الواسعة المحتاجــة الى الأيدى العاملة ، و قصــور الملوك ، ودور الأغــنياء كانت السبب في طلب المزيـــد من هؤلاء العبيـــد ، فنعم هؤلاء بتواجدهم في الأسواق الاســلامية بكــثيــر من الميزات أولها المعامــــلة الحسنــة ، وثانيــها العتق من الرّق والعبودية حسب تعاليم الاسلام والقرآن إبّــان تكــفير المسلم عن ذنوبــه ، وثالثها الانعام بالخروج من الشرك و الدخول في الاسلام بعد التربية التي يتلقّــاها العبد الوثني من سيّــده المسلم .

ولعلّ أول ذكر للعبيــد لدى إباضية المغرب الأوسط يرجــع الى زمن فـــرار عبد الرحمن بن رستم من القيــروان بعد تــفرّق جنود الامام أبي الخــطاب عبــــد الأعلى بن السمح . فيذكر الدرجيني ذلك بقوله: " خرج عبدالرحمن و ابنه عبــــد الوهاب ، و عبد لهما خائــفين مستخفيــن ".(3)

(1) تامدلت: مدينة بمنطــقة درعــة بالمغرب .

(2) - HENRI LHOTE , Sahara , p. 194 .

(3) الدرجيني ، طبــقات ، ج 1، ص : 35 .

وفي عهد عبد الوهاب بن عبد عبد الرحمن بن رستم نرى أن له عبيدا يعدهم بالمئات ان هم بشّروه بقدوم النفوسيين حينما استنجد بهم ضدّ المعتزلة .(1)

ونجهل مصدر هؤلاء العبيد ، أهم من السودان الغربي ؟ أم من مكان آخر لعدم اهتمام المصادر التاريخية بذكر مصدرهم ، غير أن علاقة العائلة الرستمية بالسودان تجعلنا نرجّح كونهم من تلك المنطقة خاصة علاقتها بأرض لملم ، وجلبها للعبيد من هناك فيما بعد (2) ، ويعدّ جلب العبيد أصعب تجارة من أى بضاعة كانت فإنّ فيها المسؤولية الكبرى ، والربح الضئيل اذا قارنّا ذلك بالذهب ، فان المتاجر بالذهب يبيع كل جماله و يترك واحدا لحمل بضاعته و آخر لسفره .

أما صاحب العبيد فيتعب في أكلهم ، وسقائهم ، وايوائهم ، وحمل المتعب منهم ، و مراقبة الآبق منهم ، و مداواة المريض اذا اشتدّ مرضه .

ونستشف ذلك من خلال هذا النص الذى يتحدث عن الشيخ أبي محمد عبد الله بن محمد السدراتي - الوارجلاني (3) حينما سافر الى السودان " جعل تجارته صامتا ، وحملها على جمل ، ودخل خباءه ، وانشغل بالعبادة ، وكان معه حضرى جعل تجارته عبيدا فشقوا عليه ، فاذا نظر الى الشيخ وهو في هناء و راحة قال سبحان الله من خلص عبد الله من هذا البلاء و أراحه " (4)

و من النصوص التي تشير الى وجود العبيد في وارجلان في هذه الفترة

---

(1) - أبو زكرياء ، السيرة ، ص: 107 .

- مقرين بن محمد البغطوري ، سير نفوسة ،(مخ) ، ص: 73 .

(2) ينظر : جودت عبد الكريم ، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية ، ص: 269 .

(3) عاش أبو محمد عبد الله خلال القرن 5هـ/ 11م .

(4) - الوسياني ، سير ، (مخ)- مكروفيلم - ص: 149 ، ج 1 .

ماقاله الدرجيني في طبقاته : " وغارت غارة لبعض العرب على وارجلان فسا قوا عدة من الإماء ، فلحقهم الشيخ ماكسن (1) " بالدرمون" فوق بئر الكاهنة فسألهم بالله أن يردوا عليه ما أخذوا من أموال المسلمين . " (2) فردوا ما أخذوه .

أما عن أسعارهم فانها تختلف حسب الأزمان، وحسب الأعمار فالشاب القوى أغلى من الضعيف ، و الأمة الحاذقة بفنون الأعمال أغلى من الجاهلة .

وحينما غزا عقبة بن نافع فزان سنة 667م وصل الى كوار بلغ أغلى ثمن لأمة بيعت في عهده ألف دينار . (3)
والخصيان يبلغون أربعين دينارا، ويتوجه بهم خاصة الى مصر و الشام حيث يباعون بأغلى ثمن .

أما عن لونهم فأغلبهم يغلب عليهم اللون الأسود ، ولكن لا يعني أن كل أسود عبد ، فأهل وارجلان الأصليون أنفسهم سود البشرة ، أو أميل الى السواد و يؤكد هذا جون ليتيو بقوله : "ان الشيخ حادور الذى جاء مع جماعة من رفاقه من المراكز الاباضية في زنجبار والذى كان يمارس تجارة العبيد ، والذى يعتبره المؤرخون مؤسس وارجلان تدل كل الوثائق على أنه كان شديد السمرة" .
وكذلك يرى أن كلمة واركلان تعني بالبربرية الأبناء السمر . (4)

---

(1) من الطبقة العاشرة 450 ـ 500هـ .
(2) الدرجيني ، طبقات ، ج 2 ، ص: 434 .
(3) ينظر : - HENRI LHOTE , <u>Sahara</u>. pp. 197 / 198 .

(4) - JEAN LETHIELLEUX , <u>Ouargla...</u>, p. 20 .

4ـ بقيـة الصـادرات والواردات :

تصدر وارجـلان الحنطـة الى السودان الغربي ، خاصة إلى بلاد زغاوة (1)

ويقول الادريسي : " وأكثر مايزرعه أهل زغـاوة الذرة ، وربما جلبت الحنطـة إليهم من بلاد ورقلان وغيـرها " . (2)

ومن أهم المنتجات التي تصدرها وارجـلان التمور بمختلف أنواعها وتصدرهـا سواء الى الشمال الى عاصمة الدولة الرستميـة تاهرت أم جنوبا الى بلد السـودان (3)

وقد يصدر من وارجلان المصنوعات الوارجـلانية ـ التاهرتية مثل الأوانـي النحاسية ، والخشب المنقوش المرصّـع بالعاج ، والمصنوعات الحديدية كالأسلحة والأقفال ، وكذلك الأغاويج ، والملح ، والعطور ، والمنسوجات الصوفيـة ، والقطنيـة ، والكتانيـة ، والفخار المطلي والمزخرف ثم الحلي الذهبية والفضية . (4) ويرى البعض أن مـن أهمّ المنتجات التي تحملها القوافل الرستمية إلى بلاد السودان الأكسية القطنيـة والكتانية ، وثياب الصوف ، والعمائم ، والمآزر ، وأصناف الزجاج ، والأصداف ، والأحجار . (5)

ومن بين الأشياء التي كانت توجد بكثرة بنواحي وارجـلان وفي الجنوب الجزائري النّـعام ويذكر ذلك الأستاذ محمد العربي الزبيـري قائلا : " يوجد النّعـام

---

(1) زغاوة: قوم ظواعن رحالة ، والابل عندهم كثيرة اللقاح .

(2) الادريسي ، وصف افريقيا من النزهة ، ص: 21 .

(3) محمد العربي الزبيري ، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة مابيـن 1792 و 1830م ، ط 2 ، المؤسسة الوطنية للنشر ـ الجزائر ، 1984 ، ص: 165 .

(4) ينظر: محمد الطمار ، الروابط الثقافية ، ص97 .

(5) محمد عيسى صابر ، الدولة الرستمية بالمغرب ـ قيامها وتطورها ـ (رسالة ماجستير) 1395 هـ/ 1975م ، ص : 269 .

ـ د . محمد عيسى الحريري مقدمات البناء السياسي ، ص 210 .

في جنوب الجزائر وفي نواحي ورقلة على وجه الخصوص يصطاده الأهالي للحصول على جثته، وشحومه، والريش الذى يباع منه أبيض وطويل يقع في أقصى الجناحين وتستعمله القبائل في خيامها للتدليل على شرفها وسمو مكانتها " (1)

ولقد أكدت المصادر التاريخية وجود النعام في المنطقة من بينها ماوجده علماء الآثار من بيض النعام، وكذا ماوجده العبيديون أثناء هجومهم على وارجلان وسدراته، وجبل كريمة من بيض النعام مليئا بالشعير، أو مانراه في فصل العمارة أن الناس يزينون بواباتهم ببيض النعام، غير أن البعض يصنف ريش النعام من بين المستوردات من السودان . (2)

اذا وفقنا بين الرأيين نخلص الى أن نتاج ريش النعام بالمغرب الأوسط لايكفي لحاجياتهم فكملوا ذلك باستيراده من السودان فكان الانتاج والاستيراد في آن واحد .

والى جانب النعام نجد الجمال التي تحمل السلع نفسها تكون عرضة للبيع في السودان اذا اقتضت الضرورة ذلك .

- . السيد عبد العزيز سالم ، كتاب المغرب الكبير - العصر الاسلامي ، دار النهضة العربية - بيروت ، 1981 ، ج 2 ، ص : 573 .

(1) محمد العربي الزبيرى ، التجارة الخارجية للشرق الجزائرى ، ص 167 .
نشر البنك المركزى الجزائرى يومية سنة 1970 بها صور زيتية قديمة من بين مناظرها صيد النعام في الجزائر .

(2) - محمد الطمار ، الروابط الثقافية ، ص 97 .
- محمد عيسى الحريري ، البناء السياسي للمغرب الاسلامي ، ص : 211 .
- محمد علي دبوز ، تاريخ المغرب الكبير ، ج 3 ، مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة ، 1383 هـ/ 1963م ، ص : 347 .

2) الزراعـــــــة :

من خلال ماقدمناه عن موقع وارجــلان بالصحراء الجزائرية و من خلال الأهميـــة الاقتصادية التي اكتسبتها يتبيّــن لنا بوضوح أن للمنطقـــة دورا بارزا فـــي الزراعـــة .

فهذه المنطـقة الزراعية توجد في منخفض تتجمع فيه مياه الأودية الآتية من الغـــرب والشمال الغربي كمياه وادى النساء ، و من الجنوب كمياه وادى ميه . وانّ الكثيـــر من هذه المياه مع مياه وادى اغرغـار ان سالت تغوص تحت الطبـقة السطحيـــة فتكـون للمنطـقة موردا مائيا غنـيّا، كما أنها كانت سببا في تراكـم الطمي والتربـة الصالحة للزراعة في الأزمـنة المطيـرة القديمـة .

غير أنه بالتصحر الدريجي ، والحرارة الزائـدة في هذه الأزمنـة تحولـــت التّـربة الى تربـة ملحيـة فقيـرة غير صالحـة لجميـع أنواع المزروعـــات فـفوق هذه التربة الفقيـرة ووسط هذا المناخ القارى ، الحار صيفا والبـــارد شتاء مع الجفاف المستمـر ، لاينبت هناك الأشجر النخيـل المقاوم له ، مــــع أشجار المنـب والتيـن و ماشابه ذلك .

و مع ذلك فإنّ الأمـلاح قد كانت فعلا قليلـة نوعا ما في الحقـبة الزمنيـــة المدروسـة اذ أن المياه والعيون العذبـــة كانت تسيـل أودية على وجه الأرض.(1)

أ- المـزروعـــات :

1 - النخيـــل :

حسب النصوص القديمـة فان وارجـلان و ماجاورها كانت غنيـة بغاباتها

---

(1) ينظر : - ابن خلدون ، تاريخ ، م 7 ، ص: 119 .
- الحميـرى ، الروض المعطار ، ص: 600 .
- LARGEAU , <u>Le pays de Rirha</u> , p. 142 .

ذات النخل الكثير ، وقد عرفت مع المناطق المجاورة لها أنواعا من التمر الجيّد .

لقد وصف ياقوت الحموي وارجلان بأنها " كورة بين افريقيه وبلاد الجريد ، ضاربة في البرّ كثيرة النخل والخيرات " (1)

ومايؤيد ذلك في كتب السير أن أبا صالح جنون بن يمريان أكرم أبا نوح سعيد بن زنغيل بعد ثورته على العبيديين وأمّنه حينما التجأ اليه بوارجلان قائلا : " لاتخف نجوت من القوم الظالمين " ثم ملأ بيته الى السقف تمرا وأجرى له مائدة بكرة ، وأخرى عشية . (2)

وقد اشتهر الشيخ أبو صالح بكثرة جناته ، فكان عند جني التمر يجملها صبرات حتى لأنّ الواقف خلفها لايرى المار من أمامها . (3)

والنصوص للاستدلال عن وجود النخيل قديما لاتعدّ ولاتحصى ، وكذا الآثار من جرار كبيرة وجدت في دور سدراته كانت تجتمع فيها محاصيل التمر ، وكذا أخشاب النخيل التي كانت تستعمل في بناء المنازل وحفر الآبار . (4)

والتمر يعدّ الغذاء الأساسي وهو أحسن مايقدّم للضيوف ، فالدرجيني في طبقاته يروى لنا عمّا قدّمه الشيخ أبو محمد عبد الله بن يحي بن عيسى العباسي (5)

---

(1) ياقوت الحموى (الشيخ الامام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومي البغدادى) كتاب معجم البلدان ، مج 5 ، دار صادر للطباعة والنشر - بيروت ، دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت ، 1404هـ/ 1984م ، ص : 371 .

(2) الدرجيني ، طبقات ج 1 ، ص : 144 .
أبو زكرياء ، السيرة ، ج 1 ، ص : 222 .

(3) سير مشائخ المغرب ، (مخ) ، ص : 39 (المؤلف مجهول) .
أبو زكرياء ، السيرة ، ج 1 ، ص : 222 .

(4) ينظر فصل العمارة .

(5) يصنّفه الدرجيني ضمن الطبقة الثانية عشرة (550 هـ - 600 هـ) .

من التمر الجيّد حيث يقول : " حدثني بعض المزابة عن الشيخ عبد الله عن علي قال خرجت من أريغ أريد وارجلان في جماعة من المزابة فسلكنا على تلا منزل الشيخ عبد الله بن يحي ، قال فخرج الى المزابة فسلّم عليهم ، وأنزلهم للضيافة ، فلما دخلنا موضعه قدّم لنا تمرا كبيسا معسلا ، ولبنا عجيبا فلمّا أكلنا من ذلك ما اشتهيناه أحضر صفحة ثريد . . . وعليها من الزبد ما أخرجه من اللّبن الذى شربناه أولا مع التمر " .

ومع ذلك يجده أحدهم يأكل الحشف والماء وحينما سأله عن سبب ذلك أجابه قائلا : " يابني انّ من أكل خيار ماله فقد أكل دم وجهه وذلك مدّخر لأمثالكم وأن الذى بين يدى مع العافية كثير" . (1)

فتعلّق أهل وارجلان بأرضهم من أجلها شديد جدّا فلقد كاتب أباصالح جنون ابن يمريان ابن عم له من المغرب يزهّده في وارجلان ويقول له في رسالته: " يا ابن عمي إيتني فانك قمت في أرض الفقر فانّ عندنا أرضا كريمة ، قدر الكساء ، يحمل البعير وسقه حبّا " .

فأجابه أبو صالح" يا ابن عمي ايتني فانّ عندنا أرضا قعدة الرجل يحمل البعير وسقه عسلا" . (2)

وكان ذلك نتيجة حذقه في عمل النخيل من ازالة الكرانيف ، والجريد اليابس ، وتنقية قلبها من الحشف الساقط ، ونسيج العنكبوت . (3)

ورغم الاجتياحات التي شهدتها وارجلان عبر التاريخ ، وقطع نخيلها عبر القرون فان العياشي الذى أتى بعد هذه الفترات في رحلته مارّا الى البقاع المقدّسة أول مايؤخذ به نضارة واحتها ، وكثرة نخيلها ، وكثرة خيراتها . (4)

---

(1) الدرجيني ، طبقات ، ج 2 ، ص: 507 .
(2) الدرجيني ، طبقات ج 2 ، ص: 343 .
(3) سير مشايخ المغرب ، مخ ، ص: 212 .
==

2 - الزيتـــون :

والى جانب أشجار النخيل كانت توجد أشجار الزيتون . والاشارات مـــن خلال النصوص تبيّـن ذلك ، غير أننا لم نتمكن من تحديد كمية هذا المنتوج المهمّ فالدكتور السيد عبد العزيز سالم يقول بأن منطقة وارجلان كانت تشتهر الى جانب كثرة نخيلها بكثرة زيتونها .(1)

ويمكن اذن أن نقول إنّ الزيت الذى وضعه المحاصرون في قصع لايهام العدوّ بوجود الماء لديهم حتى يفك الحصار عنهم بجبل كريمة كان من نتاج المنطقة .(2) وبهذا تكون واحة وارجلان لاتقلّ أهمية عن بسكرة وبلاد الجريد ولاتقلّ غنى في ثروات النخيل والزيتون والفواكه .(3) وكانت لجودة نتاجها ووفرته لاتغذى المنطقة فقط ، بل كل السودان يعتمد عليها مثل اعتماده على توات .(4)

كما تشير مخطوطة أبي عبد الله القاضي الى أنّ جيوش أبي يزيد مخلد بن كيداد الجرارة كانت تعتمد على واحات وارجلان أيضا ابّان حملاتها المتعددة .(5)

غير أن هذه الغابات الغنية والخيرات الوفيرة التي هي أساس اقتصاد واحات وارجلان كانت مستهدفة في كل غارة يشنّها اعداؤها عليها فاذا أرادوا ضرب

==(4) العياشي ، رحلة ، ص: 46 .

(1) د . السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ص: 576 .

(2) حينما حاصر أبو عبيد الله الشيعي جبل كريمة اثر فرار أهل وارجلان اليه انتظر استسلامهم بعد العطش ونفاذ الماء ، فعمد هؤلاء الى حيلة لا يهابه بأن وضعوا أواني مملوءة زيتا فكلما أتت الجمال لتشرب منها رفعت رأسها عنها وتتطاير قطرات الزيت وحينما رأى العدوّ ذلك فكّ الحصار و رجع خائبا . ينظر : الدرجيني ، طبقات ، ج1 ، ص 95 .

(3) محمد عيسى الحريرى ، مقدمات البناء السياسي ، ص: 232 .

(4) ابن خلدون ، تاريخ ، دار الكتاب اللبناني 1981م ، ج 1 ، ص: 93 .

(5) القاضي أبو عبد الله (بلا عنوان) ، مخ ، ورقة 50 .

اقتصادها قطعوا النخيل، و ردموا الآبار و تركوها قاعا صفصفا كأن لم تغن بالأمس. (1)

كما أنه يحتمل زراعة القمح والشعير ولكن بقلّة، و أما عن الحنطة فكانت تزرع بكثرة وذلك حسب ماذكرت المصادر القديمة (2).

أما بقية المزروعات فلم تذكرها المصادر لعدم اهتمامها بهذا الجانب، ولكن يحتمل أن الفلاحين في بساتينهم كانوا يهتمون بما يقتاتون به خاصة و أن البيئة الصحراوية تعلّم الناس الاكتفاء الذاتي، فطول المسافات بين المدن مع الحرارة تحولان دون حركة كثير من المنتوجات الفلاحية.

ب — <u>وسائل الري :</u>

اذا تأمّلنا جميع خرائط العالم لانجد توزع الانسان الاّ حيث توجد المياه سواء أكانت مصادرها أمطارا أم أنهارا، أم ينابيع طبيعية، أم آبارا تستخرج منها المياه بجهد الانسان.

واذا قسنا هذا على وارجلان سنجدها المنطقة المحرومة من جلّ ذلك. لا أمطار فيها ولا أنهار جارية دائمة، اذ أنّ الواحات النضرة، والغابات الممتدة كلها تسقى بعرق الانسان وكدّه، فاستطاع أن يحفر الآبار و يستخرج منها المياه و يوصلها تارة بالسواقي فوق الأرض، و تارة تحتها. تارة ينزحها بالجمال والحمير، وتارة تخرج بعد الحفر فوارة متدفقة.

فمدّ السواقي بعيدا عن مصدرها الى الأجنّة والغابات يحتاج إلى هندسة دقيقة، وحفر الآبار في أرض رملية والى أعماق بعيدة يحتاج إلى خبرة فائقة.

---

(1) ابن خلدون، تاريخ، م 7، ص : 98 .

(2) الادريسي، وصف افريقيا من النزهة، ص : 21 .

فالآبار تحفر عميقة ، بعيدة المهوى ، و تربط جوانبها بجذوع النخل حتى اذا وصل الحفّارون الى طبقة صلبة فتنحت بالمعاول و الفؤوس الى أن يرق جرمها ويرمون عليها زبرة من حديد فيصعد الماء غزيرا حتى يجري على وجه الأرض. (1)

ولقد قدّر الحميري عمقها بمائة قامة (2) كما أن (هارولد طاري HAROLD TARRY) قدّر عمق بئر جبل كريمة بثمانين مترا قيا سا على طول طريق جمل النسر ... (3)

بينما قدّر (كوردو) عمق بعض آبار وارجلان بثلاثين مترا ، وقدّر صبيبها بستمائة مترا مكعّبا للدقيقة الواحدة، و بحرارة تقدّر بخمسة وعشرين درجة مئوية 25 + مع كمية قليلة من الملوحة . وهذه الدراسة الحديثة تعطينا بالتقريب صورة عن آبار الماضي . ولقد ذكرت المصادر أن في هذه الحوزة ألفا واحدى وخمسين عينا جارية و أهم هذه الآبار عين الصفا بناحية سدراته و فيها ثلاثة مصارف :

1- مصرف لأولاد ابراهيم بن اسماعيل.

2- مصرف لأولاد عيسى بن أحمد .

3- مصرف لأولاد ابن الشيخ .

وفي ناحية يفرن عين تسمى بعين القبائل وفيها ثلاثة مصارف :

1- مصرف لأولاد محمد بن موسى .

2- مصرف لأولاد جابر بن ابراهيم .

3- مصرف لأولاد يوين بن الصحب .

---

(1) ابن خلدون، تاريخ ، مج 7 ، ص: 119 .

(2) الحميرى ، الروض المعطار ، ص: 600 .

(3) طريق الجمل : هو المسلك الذى يسلكه الجمل وقت نزح الماء من البئر

وفي ناحية نقوصة ثلاثة مصارف :

1- مصرف لأولاد عيسى بن نوح .

2- مصرف لأولاد عيسى بن ابراهيم .

3 - مصرف لأولاد عيسى بن سليمان .

وحسب الشيخ أعزام (1) أنها خربت في عهد يحيى بن اسحاق الميورقي سنة 624 هـ/ 1227م ، أما المخطوطة الموجودة لدى تاديوش ليفتسكي في بولونيا فترجع خرابها الى قائد يدعى بمنصور المشرق سنة 672 هـ/ 1273م . (2)

الاهتمام بالآبار والسواقي :

ظهر الاهتمام واضحا بوسائل الري لأنها شرايين الحياة الزراعية فالبئر هي المورد الأساسي للماء فاذا تراكمت على قاعها الرمال والأوحال انطمست منابعها وأسنت مياهها ، ولذا فيعمد الغطاسون إلى النزول إلى أسفلها وهي مملوءة ماء بقفاف يربطونها في أحزمتهم قصد نزع الحمأ منها ، ولقد وصف لنا كيساك ذلك بقوله : " يزال الحمأ من البئر مرتين في السنة فاذا كان عمق البئر ستين مترا فان المدة التي يبقى فيها الغطاسون تحت الماء صعودا ونزولا مع أعمال التنظيف قد تصل الى ثلاث دقائق ." (3) وهذا ماتركه مشدوها ويعده من الغرائب التي قد لاتصدق ، ولعل هذه الحرفة قد توارثها سكان المنطقة أبا عن جد ، كما اهتموا أيضا بتنظيف الأنفاق الأرضية لسواقي

---

(1) أعزام ابراهيم ، غصن البان ، مخ ، ص: 29 .

(2) ورقات مخطوطة ، مجموعة كراكوفيا تحت رقم 00280 ، ص: 10- 12 .

(3) لقد اهتم بالغطاسة كثير من الباحثين الأوروبيين . ينظر:

- J. CUSSAC , Sahara, le pays de la Mission, Bélgrade, S.A.D.G 1941 , p. 22 .

المياه المتجهة من سدراته الى وارجلان والرويسات والمسماة أيضا "بالفقارات"، واستحدثوا بها غرفا واسعة لأدوات العمال و راحتهم (1) وأرصفة جانبية للسير فوقهـا . (2)

ومن الاهتمامات بهذا الجانب النظر اليها من الجانب الديني فالمسلم عموما يرى أنّ عمله ذلك من حفر للآبار ليشربه منها المارة و خاصة أيام الجفاف ، و كنس للسواقي ، وبناء للأحواض ، كل ذلك يراه تقرّبا الى الله عزّ وجلّ وقربة لاتعدلها قربة .

وكتب السير تورد لنا نموذجا لذلك . فالشيخ أبو الربيع سليمان بن موسى (3) لما أراد أن يكنس عينا أو أن يحفرها استعان بالعمال والعبيد فصاروا يغنون ، "فقال لهم اطلعوا من عيني فان كانت لاتحفر الاّ بمعصية الله فلاحفرت . . . فلما رأوا ذلك منه تركوا ماكره" . (4)

كما أن أبا العباس أحمد بن محمد بن بكر يهتم بذكر أعراف للسواقي والآبار والعيون فيحدد حريمها فيقول بالنسبة للسواقي : " ومنهم من يقول بأن حريمها جميع مايحتاج اليه منافعها من كنسها ولو أكثر من ثلاثة أدرع . " ومنهم من يقول انّ حريمها جميع مايحتاج اليه لجميع منافعها من كنسها ومجازها و ماأشبه ذلك .

---

(1) أقدم حفرية كشفت انفاق السواقي بوارجلان ترجع الى سنة 1872 م حينما شرع الأوربيون في بناء البرج العسكرى ، وأحدثها حينما شرعوا في بناء دار البريد والبلدية سنة 60- 1959م .
ينظر : JEAN LETHIELLEUX , Ouargla ... p. 61 -

(2) ينظر الفصل الخاص بالعمارة الاسلامية بوارجلان .

(3) هو أبو الربيع سليمان بن موسى الزلفيني يعده الشماخي من الطبقة العاشرة (450 هـ/ 500هـ) .

(4) يرى الدرجيني بأنها فوق مسجد تامولست . ينظر: الدرجيني ، طبقات ، ج 2 ، ص

و أما الساقية التي لاتحتاج الى الكنس فلاتحتاج الى الحريم الآ جواز من يمرّ عليها وقت حاجته إليها . (1)

ومثلما اهتمّ علماء الشريعة بوسائل الري كما رأينا اهتموا أيضا بالزراعة بصفة عامّة ، فنجد أقوالا متفرقة وسط كتب السير القديمة تحثّ على الزراعة و ترغّب في امتلاك الأجنّة و عدم بيعها قال الوسياني : " قال أبو عبد الله : بائع النخل ممحق ، و مشتريها ممان " . وعنه :" من باع ترابا ولم يجعل عنه مثله في التراب جعل على رأسه التراب ، و عنه أيضا : " حبّ النخيل من الايمان ، وبغضها من النّفاق ".(2) وهذا الاهتمام بغرس النخيل و اعتقاد البركة و الأجر فيه متوارث الى حدّ الآن لدى سكان وارجلان و أريغ و أسوف و بلاد الزيبان، ووادي ميزاب(3) وغيرها كمنطقة نفزاوة و نفوسة . فالشيخ أبو خليل ينصح أبا ذر على الاستمار* في زرع الفسيل الى آخر نفس من أنفاسه قائلا : " واغرس ولو يجدك الناس في حفير الفسيل ".

كما أن الشيخ أبا يوسف يعقوب بن سيلوس الطرفي السدراتي كان يوصي ابنه بوصايا ، ومن جملة ما أوصاه به قوله " لايكن ندبك الناس الى الخير أوكد من ندبك نفسك ، ولايكن غيرك أسبق الى الحرث منك ، وكن للناس كالميزاب ،

---

* ص : 441 . بينما يحدد الوسياني موقعها بمسجد تاماست .

(1) أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر ، أصول الأرضين ، مخ ، ص : 2 31 .
ينظر الملحق الخاص بالحريم .

(2) الوسياني ، سير ، مخ كراكوفيا ورقة A 64 .

(3) لقد اهتم الشيخ طفيش قطب الأئمة بذلك فألّف كتابا سمّاه "كتاب النحلة في غرس النخلة" (طبع ضمن مجموعة ستة كتب بغرداية دون ذكر المطبعة والسنة) . وللاستفادة أيضا ينظر : كتاب الشيخ سالم بن حمد بن سليمان الحارثي تحت عنوان " النخلة " مطابع النهضة ـ سلطنة عمان، 1411 هـ 1990م .

وكالسيـل للأدران ، وكالسمار للمـاء" (1)

ومن هذا يتضح لنا أنّ الزراعة لم تـقم على حاجـة الناس الدنيوية فقط ، بل الحافز أمام الصعوبات المعترضـة هو الحافز الأخروي طلبا للأجر والثواب.

ومع ذلك فرغم ماحقّـقه أهالي المنطقة من احياء لموات الصحراء ، واستحداثهم لجنات واسعة ، وانتاج وفير ، نجدهم دائما كما رأينا في صراع مع الطبيعة فتـارة يتّسع الاخضرار ، وتارة يعمّ القحط ، فتارة تختفي العروق الرملية تحت غـابـات النخيل ، وتارة تقف أعجاز النخل المنقعر فوق الكثبان الرملية دالة على حيـاة سادت ثم بادت.

كما أن حملات الأعراب المتكررة أضعفت الزراعة بل قلّصتها لعدم استتبـاب الأمـن في الأماكـن النائية الى أن انحسرت خلف أسوار المدن الحصينـة (2) أضـف الى ذلك الحرارة المرتفعة مما تسبّـب في انحسار أوقات العمل وصعوبتـه ، وتـبخر المياه ، وكـثرة الأمـلاح . فاذا قدّرنا وزن هذه الصعوبات علمنا ما قدّمـه أهالي هـذه المناطـق من أعمال جبّـارة حتى حوّ لوا الصحراء المحرقة إلى واحات وارفـة الظـلال .

3) <u>الرعـي وتربيـة الحيوانـات :</u>

يعدّ الرعي التقليدي أصعب حرفة عرفها الانسان وذلك في المناطـق الصحراوية خاصة ، حيث يقلّ فصل الانبات ، وتجفّ أحواض الغدير وبالتالي تنحسر مناطـق الرعي وأماكـن الكلأ . فبهذا يتحوّ ل الراعي الى متجوّل في الصحـراء يتسقّط أخبار أماكن الخصب ، ويتمرّن على أوقاتهـا حتى يتحوّل إليها .

---

(1) الشماخي ، سيـر ، ص: 288 .

(2) عز الدين أحمد موسى ، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القـرن السادس الهجري ، دار الشروق : بيروت/ القاهرة، 1403هـ/ 1983م ، ص: 193 .

والمصادر القديمة لاتهتم بذكر هذه الأشياء إلا عرضا وبهذا يصعب على الدارس تخصيص فقرات طويلة لهذا الجانب.

ومن اشارات بعض الدراسات والمصادر نذكر انتقال بعض القبائل والأفراد الى جهات شتى قصد الرعي. فقبائل مزاتـه، وسدراته كانت تصعد إبان الربيع الى أحواز مدينة تاهرت لانتجاع الكلأ، (1)، كما أن أبا عبدالله محمد بن بكر (صاحب الحلقة) كان يتتبع مواطن الكلأ والماء الى أن يصل بادية بني مصعب. (2)

واذا علمنا أن الأودية الآتية من بادية بني مصعب كوادي ميزاب، ووادي النساء تتجه صوب وارجلان. حددنا على الأرجح أماكن الماء والكلأ، وعلمنا سبب توجّه الوارجلانيين الى بادية بني مصعب لرعيهم وتوجّه حلول السدراتيين لاستقرارهم فيها، وحددنا المسلك الشمالي من وارجلان إلى تاهرت على مجرى وادي زقرير.

أما ماورد من ذكر للمناطق الرعوية بمنطقة وارجلان فقليل، ومن بين هذه المناطق منطقة كانت تدعى " ايفدانن طوم" (3) بين وارجلان واندرار (4)، فنادرة

---

(1) محمد بن عميرة، دورزناته في الحركة المذهبية بالمغرب الاسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب ـ الجزائر، 1984م، ص: 121.

(2) أبو زكرياء، السيرة، ج 1، ص: 255.
بادية بني مصعب هي مايسمى الآن بشبكة وادي ميزاب، وعاصمتها مدينة غرداية.

(3) يورد الدرجيني في طبقاته قصة مفادها أن رجلا من دمر قصد الشيخ أبا يوسف يعقوب بن سهلون (من الطبقة السادسة 250ـ 300هـ) يطلب منه مايقتات به فأعطاه أمانة كانت عنده، اشترى بها ثلاثة جمال فأمره برعيها بايفدانن طوم لخصبها فباع واحدا منها فرد الأمانة كاملة واشترى بالثاني مايقتات به، وحمله على الثالث.
ينظر: الدرجيني، طبقات، ج 2، ص: 332.

(4) اندرار: لم نتمكن من تحديده.

الأعشاب بوارجلان قلل من ... الثروة الحيوانية وبالتالي صارت اللحوم نادرة وتجلب من أماكن أخرى مع الشحم بعد تمليحها . (1)

وتتمثل الثروة الحيوانية التي وقع الاهتمام بها في الغنم والجمال بصفة خاصة لحاجة الناس الى اللحوم ، والأصواف ، والأوبار ، والجلود ، والألبان .

ويستدعي الاعتناء بالجمال (2) حاجة الناس إليها للأسفار البعيدة سواء أكانت الى السودان للتجارة أم الى البقاع المقدسة قصد الحج ، أو للأعمال الصعبة كنزح الماء من الآبار العميقة . وهي أكثر الحيوانات صبرا وتحملا للعطش .

ويهتم الوارجلانيون الى جانب الجمال بالخيول مثلهم مثل سكان البوادي العربية دفعا لغارات الأعراب ، وعدّة للحرب (3) .

كما دلّت بعض الدلائل على صيد النّعام والاهتمام به قبل الفترة المدروسة وبعدها ، فقد دلّت الحفريات على وجود بقاياه من بيض مغمور في رمال القرى المندثرة ، وهيا كل عظمية له ، وكانت تستعمل شحومه كأدوية ، وريشه على مداخل الخيام علامة لليسر و الرخاء ، وعظامه لحفظ التّبر ، وبيضه لخزن بعض

---

(1) الحسن الوزان ، وصف افريقيا من النزهة ، ج 2 ، ص : 136 .

(2) يرى البعض أن أصل الجمال من المشرق أتت الى مصر في القرن الخامس قبل الميلاد ثم ليبيا ثم الى شمال افريقيا فالصحراء الافريقية ، وكان وصولها الى المغرب في بداية القرن الثالث الميلادي بعد أن جلبته من الشام .
ينظر : - د . محمد الغربي ، كتاب بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ص : 28 .
- Lt. D'ARMAGNAC , Le Mzab , p. 124 .

(3) حينما استنفر أبو خزر وارجلان يطلب منها المدد لمحاربة أبي تميم خرجت مزاته وحدها في اثني عشر ألف فارس .
ينظر : أبو زكرياء ، السيرة ، ج 1 ، ص : 203 .

أنواع الحبوب ، ولتزيين واجهات المنازل ، كما أسلفنا في فصل العمارة .

وبهذا يتّضح لنا أنّ الرعي قليل الأهمية من الناحية الاقتصادية ولا يصلح الآمع توفّر الشروط المناخية ، وحيث أن الصحراء تنعدم فيها هذه الشروط فان هذه الحرفة لايرجى منها كبير فائدة من هذه الناحية ، ولقد احتفظ بها أهالي المنطقة الوارجلانية خاصة ، والصحراء عامة لتأمين معاشهم ، و اكرام ضيوفهم ، وقد يتتبّعون بها شعف الجبال فرارا بدينهم من الحواضر اذا فسدت أخلاق الناس فيها و أرادوا الانقطاع للعبادة و التأمّل في ملكوت اللّه .

نتائج الحياة الاقتصادية

انّ أبرز مايمكن الاعتماد عليه في الحياة الاقتصادية في ذلك الحين هو التجارة ، وانّ أهم مايجب أن يذكر بعد التجارة نتائج انعكست على الداخل والخارج على السواء بسببها .

1) أول شيء اهتمّ به الرستميون هو عمارة طرق المواصلات بشتى محطات الاستراحة ،كما اهتموا بحفر الآبار لشرب المسافرين و لتزويدهم منها لطول المرحلة، وارسال الجنود صحبة التجار لتأمينهم من غارات قطاع الطرق .(1)

ولا أدلّ على ذلك مما فعله الامام أبو اليقظان قبل وفاته من ارساله لابنه أبي حاتم يوسف لحراسة قافلة تجارية بجيشه وذلك سنة 281هـ .(2)

2) و من أهم النتائج الايجابية للتجارة على الاطلاق هي اعتناق أهالي السودان الدين الاسلامي . يقول د . محمد عيسى صابر : " و لقد حمل التجار الرستميون هذه الألوان الحضارية ، حملوا معهم الاسلام الى هذه الجهات ، وكثيرا ما كان يرافق القوافل التجارية عدد من فقهاء المسلمين، الذين خالطوا أهل البلاد وتركوا فيهم آثارا بعيدة المدى ".(3)

وعلى هذا الأساس نجد أنّ الاباضية كانوا من أوّل الدعاة إلى الاسلام بواسطة تجارتهم الى السودان وذلك :

أ ـ لكون المذهب الاباضي من أسبق المذاهب ظهورا وانتشارا في شمال افريقيا.

ب ـ لوجود دولة ـ وهي الدولة الرستمية ـ تشجع هذه التجارة، والدعوة

---

(1) د . أحمد الياس حسين، دور فقهاء الاباضية في اسلام مملكة مالي قبل القرن الثالث عشر الميلادي، (بحث مرقون)، ص: 94 .

(2) الباروني ، الأزهار، ج 2 ، ص: 65 2 .

(3) محمد عيسى صابر ، الدولة الرستمية ، ص272

الى اللـــه بأخـــلاق التاجـــر نـــفسه .

ان الامام عبد الوهاب (1) يمكنه أن يترك ابنه افلح يستـــفيد من تجـــارة السودان في جوجوا خاصة لمايعرف عنـــه من أخلاق فاضـــلة تؤهّـــله لـــــذلك ولكننا نجده قد فرض عليه شروطا قاسية تتعدى الأخـــلاق الى معرفـــة تامـــــة بدقائق المعاملات الاسلامية ، فأجرى له امتحانا عسيـــرا ، وحيث أنّـــه لم يجـــب عن مسألة واحدة فقط من مسائـــل الرّ با ، كـــان ذلك سببا لمنعه خوفا مـــــن أن يأتي له بمال فيه شبهة الحرمـــة .(2)

ولذا فاننا نرى أن كتب السير أوردت لنا كـــثيرا من أسماء المسافـــرين العلماء حتى تبرز لنا أن من التجار علماء لايجلبون النفـــع المادى فقط ، بمثـــــل مايذهبون لزرع الأخـــــلاق الفاضـــلة ، والعقيـــدة الاسلاميـــة الصحيحـــة وسط المجتمعـــات الوثنيـــة المشركـــة .

وتذكر المصادر التاريخيـــة كيف أسلم بعـــض الملوك السودانيين علـــى أيديهم وبالتالي حاشيتهم ورعاياهـــم .

وتذكر من بين هؤلاء الشيخ أبا الحسن علي بن يخلف (3) التميجارى ، وأن ملك مالي أسلم على يديـــه وذلك سنة 575 هـ / 1179م .(4)

---

(1) كانت ولاية عبد الوهاب سنة 171 هـ .

(2) ينظر : الوسياني ، سير ، مخ كراكوفيا ، ص 58 .

(3) هو جد الدرجيني المتوفى سنة 1271م ، فالدرجيني هو أحمد بن سعيد بـــن سليمان بن علي بن يخلف .

(4) ينظر : ـ الدرجيني ، طبـــقات ، ج 2 ، ص: 517 .
ـ الشماخي ، سيـــــره ص: 457 .
ـ البكـــرى ، المغـــــرب ، ص: 178 .
ـ د . احمد الياس حسين ، دور فقـــهاء الاباضيـــة ، ص: 96 .

ولقد أورد البكري نفس القصة سنة 460 هـ - 8/ 1067م، وحسبما لاحظ الباحثون أن هذه القصة مادامت معروفة لدى البكري والتفاصيل نفسها يعني ذلك أن أصحاب السير مثل الدرجيني، والشماخي ومن أخذ عنهما قد وهم حينما اسند القصة لأبي الحسن علي بن يخلف التميجاري والذى سيأتي بعد مدة من الزمن بعد البكري.

ويرى (شاخت J. SCHACHT) أن عليا جد الدرجيني لايمكن أن يكون قد توفي قبل سنة 480 هـ/ 1090م وبهذا يكون الفاصل بين البكري وعلي جيلين على الأقل.. (1)

ومع ذلك (فشاخت J. SCHACHT) يرجّح أن الاباضية أول من حمل الاسلام الى مالي، كما أن الدكتور أحمد الياس حسين يعلل ذلك بقوله : " وقد يدلّ وجود هذه الرواية في التراث الاباضي على أن الفقيه الذى قام به إباضي ولهذا فأنا أميل الى افتراض أن المسلماني الذى ذكره البكري أسلم على يد أحد فقهاء الاباضية.

وهناك الكثير من فقهاء الاباضية يحملون اسم ابن يخلف من بينهم أبو نوح سعيد بن يخلف من علماء القرن العاشر الميلادى وقد اشتهر هذا أيضا بأسفاره الى غرب افريقيا". (2)

واذا كان المقصود فعلا هو أبا نوح سعيد بن يخلف المزاتي (3) فيزول

---

(1) J. SCHACHT, Sur la diffusion des formes d'architecture p. 22.

(2) د. أحمد الياس حسين، دور فقهاء الاباضية، ص: 97.

(3) ابو نوح سعيد بن يخلف أبوه من تصكويت المدوني معاصر لتملي الوسياني التقى به في تادمكت.

انظر : الوسياني، سير، (مخ القاهرة)، ج 1، ص 23.

الدرجيني، ج 2، ص: 367.

الاشكال لأن تاديوشليفتسكي يحدد حياته بسنة 350 هـ - 62/61 9م وذكر أنه سافر الى تادمكت. (1)

فيمكن بهذا أن تكون رواية البكري ومن بعده منبنية على تاريخ سابق لـ 460هـ تاريخ تأليف المسالك والممالك.

وأما الملك الثاني فقد أسلم على يدى أبي يحي بن أبي القاسم الفرسطائي فقد روت المصادر الاباضية قصة ذلك. (2)

ويقول د. أحمد الياس حسين: " إنّ أبا يحي الفرسطائي سافر إلى السودان في النصف الأول من القرن العاشر الميلادى و إنّ هذا التاريخ يمكن أن يوافق رواية البكرى ". (3)

غير أن مضمون الرواية يختلف تمام الاختلاف عن مضمون رواية ابن يخلف وبهذا يكون حسب ترجيحنا أن هناك ملكين مختلفين قد أسلما على يد شخصيتين اباضيتين مختلفتين أيضا، و كلاهما كان قبل زمن البكرى، وانهما اتّجها أيضا الى وجهتين متباينتين.

فالأول قد يكون أبا نوح سعيد بن يخلف المزاتي (350هـ - 62/961م) قد سافر الى تادمكت كما أسلفنا.

و أما الثاني فهو أبو يحي الفرسطائي النفوسي ويحتمل أنه سلك مسلك النفوسيين الى زويلة جنوبا ثم الى كوار، وكانم.

---

(1) - T. LEWICKI , Les historiens... p. 62 .

(2) ينظر: مقرين بن محمد البغطوري النفوسي، سير أهل نفوسة، مخ، ص: 41. الشماخي، سير، ص: 310.

(3) د.. أحمد الياس حسين، دور فقهاء الاباضية، ص 98.

3- و ينجم عن دخــول الأفراد والجماعات في الاسلام و لاء للحكم الاسلامـــي وبهذا يكون التجار قد كفوا السلطة الاسلامية مؤونـــة الجيوش الجرارة، والحـــروب القاسيـــة .

يقول د . عز الدين عمر موسى " فاذا دخل الاسلام الى البلاد السودانية مع التجارة فقد أسهم التجار في بسط سلطان الدولة وتوسيـــع رقعتها بنشر الاسلام بيـــن المجموعات التي هي غير متجانسة عرقيا و لغويا ففدا الاسلام عاملا موحّـــدا، واستفاد الحكام من ذلك فائدة كبيـــرة لأن ولاء الأفراد قد تجاوز نطاق القبيلـــة، وتحوّل الولاء الى الحاكم المسلم رمز السلطة الروحيـة الجديـدة . " (1)

فحرص الحكام المسلمون على المحافظة على هذا المكـــسب الجليل فسا رعـوا الى بناء المساجد و المدارس لتحفيظ القرآن الكريم ، و أقبـل الافريقيـــون على دراسة القرآن الكريم وعلوم الشريعة ، و اللغة العربية على الأقل مايكـفـي لأداء شعائـــر الله . (2)

4 - وبما أن الاباضية كانوا قد وصلوا الى السودان الغربي والأوسط في وقـــت مبكّـــر وقد بنوا هناك المساجد ، أو بناها الأهالي تحت اشرافهم . فان العـــالم الألماني شاخت قد درس الملامح المعمارية و قارنها بأماكن التواجد الاباضـــي مثل ميـزاب ، وورجـــلان ، وجنوب تونس فلاحظ غياب المنبر في مساجد البـــال وهذا له شبيه لدى اباضية ميزاب ، وورجـــلان وذلك من المنطلـــق

---

(1) د . عز الدين عمر موسى ، انتشار الاسلام في غرب افريقيا حتى القـــرن السادس عشر الميلادى ، ندوة العلماء الأفارقة - الخرطوم ، 1983م ، ص : 51 .

(2) د . عبد الرحمن عمر الماحي ، أثر الاسلام في المجتمع الافريـقي ، بحث مقدّم لملتقى أدرار ، جانـفي 1988م . ص8 .

الفقهي اذ أن الاباضية يربطون وجوب صلاة الجمعة بوجود الامام العادل فأسقطوا وجوبها بعد سقوط الامامة الرستمية، ولذلك انعدم وجود المنبر في مساجدهم. (1)

ولقد تأثرت شعوب السودان: الهاوسا ، الكاتوري ، البال ، الفولبي بالعمارة الاسلامية الآتية على الشكل الموجود لدى الاباضية . فبنوا المئذنة على الشكل الهرمي ، والمحراب المستطيل يشبه تماما مايوجد في ميزاب ووارجلان . (2) ومع هذا فان هذا كمايؤكد الاباضية أنفسهم ليست له علاقة بالمذهب نفسه مثل مايكون له تأثير بذوق الباني نفسه . (3)

5– ولعل آخر نتيجة على سبيل الذكر لا على سبيل الحصر أنّ هذه التجارة التي درّت الأرباح الطائلة على وارجلان وسدراته جلبت جيوشا لالتحمي طرقها التجارية أو لتعينها على الدعوة الى الاسلام ، بل لتقضي عليها، و على حضارتها الجميلة ، فكانت حملات شرسة أكلت الأخضر واليابس ولتستولي على طرق التجارة، وعلى مصادر الذهب . ولم يشفع فيها أنّها حملت الاسلام إلى أقصى بقاع افريقيا، أو أنّها أمّنت طرق القوافل .

هكذا تناقصت الرحلات الاباضية من وارجلان وسدراته ، ونفوسة ، والجنوب التونسي وتقلّص بسبب ذلك المذهب الاباضي منها .

---

(1) لقد افتى العلامة الشيخ بيوض رحمه الله باقامتها بعد نيل الجزائر استقلالها وذلك في غرة محرم 1390 هـ.

(2) ينظر J. SCHACHT, Sur la diffusion des formes d'archi-tecture... pp. 11 - 27 .

(3) ينظر : د .محمد ناصر ، دور الاباضية في نشر الاسلام ، محاضرة – غرداية 1988م ، ص ص: 35–39 .

ولم ترد لنا ملاحظات عن التواجد الاباضي هناك الآ مالاحظه ابن بطوطة في رحلته عن قبيلة صغنغو بقرية زاغارى على بعد عشرة أيام من ايوالاتن . (1)

وقد ساد هناك المذهب المالكي بحركة المرابطين في منتصف القرن الحادى عشر الميلادى على حساب المذهب الاباضي الذى ساد هناك منذ القرن الثامن الميلادى . (2)

و مهما يكن من أمر فإنّ الملاحظ أنّ الاسلام في غرب افريقيا قد توغل إلى الدّاخل في جبهة عريضة بفضل الجهود الفردية والجماعية ، وبفضل الدّعاة الذين سيأتون بعد هذا الزّمان - من الفترة المدروسة - بينما يكون في شرق افريقيا منحصرا في المدن الساحلية و الجزر (3) فقط . ولاشك أن اتساع الجبهة منشؤه تعدد طرق المواصلات التجارية من الشمال الى الجنوب من جهة ، و من جهة أخرى توزع الأسواق التجارية وعدم انحصارها على مسلك واحد ، وهذا مايسّر للتجار العمل في جبهات متعدّدة ممّا يسّر للاسلام أن يتلاحم فيما بعد .

---

(1) وذلك في امبراطورية مالي حتى القرن الرابع عشر الميلادى .

- ابن بطوطة شمس الدين أبو عبدالله محمد بن ابراهيم (ت 703هـ) ، رحلة ابن بطوطة ، دار صادر للطباعة والنشر - بيروت ، 1384هـ/ 1964م ، ص : 680 .

- محمد عيسى الحريرى ، مقدمات ، ص : 212 .

- د . أحمد الياس حسين ، دور فقهاء الاباضية ، ص : 95 .

(2) د . أحمد الياس حسين ، م . ن .

(3) محمد عبد الغني سعودى ، طرق القوافل وأثرها في نشر الاسلام ، محاضرة - أدرار - 1988م ، ص : 16 .

نتـــائـج البحـــث

بعد تتمة البحث يمكن أن نخلص الى نتائج عامة نجملها فيمايلي :

1) أن وارجلان اعتنقت الاسلام طواعية في نهاية القرن الاول الهجري وبداية القرن الثاني دون أن يجر اليها جيش أو يجرد عليها سيف .

2) أن البربر بعد اسلامهم سعوا قدر جهدهم الى تعلم اللغة العربية ، فكتبوا بحروفها أول الامر لغتهم البربرية ، ثم حلت بعدها اللغة العربية في كتبهم ورسائلهم وأشعارهم . وان من بينهم من هاجر وارجلان فترة من الزمن الى بيئة يغلب عليها الطابع العربي ليصقل لسانه ويعود .

3) أن البربر في وارجلان امتزجوا ببعض القبائل العربية فآخى الاسلام بينهم فانصهروا في بوتقة واحدة .

4) أن الاباضية استطاعوا أن يحافظوا على كيانهم بعد سقوط دولتهم بتاهرت فتنقلوا من الظهور الى الكتمان ، وأسسوا نظام الحلقة السائد حتى اليوم في ميزاب ووارجلان ، وأنهم استطاعوا أن يتوسموا بحركة علمية وبنتاج فكري ضخم يتسم بالطابع الاسلامي في جميع مناحيه .

5) أن يطلعوا على العالم فسافر بعضهم لغرض التجارة واستطاعوا أن يصلوا الى ما يقرب من خط الاستواء ، ويضبطوا الاحداثيات والساعات في عهد يعم فيه الجهل .

6) أن يبرز من بينهم علماء موسوعيون ، فيكتبون الاسفار الضخمة ويعددون من نسخها في مختلف التخصصات من شريعة ، وعلوم ، وآداب وغيرها .

7) أن يدخلوا الاسلام الى السودان الغربي لأول مرة بفضل سلوكهم المستقيم وحسن أخلاقهم ومعاملتهم .

8) أن يحولوا الصحراء الجرداء المحرقة الى جنات فيحاء بفضل ما بذلوه من جهد وعناء ، حفرا للآبار ، ومدا للسواقي تحت الارض وفوقها .

وبعد هذا كله نخلص الى أن وارجلان ليست بالمدينة العادية ، كما يظن الكثير بل تخفي في طياتها أسرارا لا تزال الى حد الآن بحاجة الى الكشف عنها ، وذلك بتظافر جهود الافراد والجماعات .

فبفضل الموقع الجغرافي الممتاز الذي يكاد أن يكون قطب الرحى لجميع المسالك الصحراوية في القديم ، وبكونها مأوى للمسافرين ، ومنطلقا للمواكب الافريقية والمغاربية الى الحج ، وبفضل الاسفار الطويلة التي قام بها أبناؤها وما جلبوه من ذهب وسلع مختلفة ، وبفضل التزام أغلب أهلها بالزهد والورع في اتجاهاتهم ، وبفضل جهود حلق التعليم بها .

كل هذه الامتيازات بينت بوضوح وجلاء أن وارجلان باختصار تعد من أهم المدن الاسلامية في صحراء المغرب الاوسط . وأنها بحاجة الى اهتمام أكبر للكشف عن أدوارها الريادية في انعاش المد الاسلامي بعد أن كادت خطاه تتعثر في الصحراء ، لولا أمثال هذه المحطات التي التقط فيها أنفاسه وكانت السبب في مواصلة مسيرته وانتشاره .

وأخيرا فان هذا البحث ما هو الا خطوة أولى للكشف عن معالم الحضارة الاسلامية في هذه الناحية ، نرجو أن تتكثف جهود الباحثين حولها لاثرائها بملاحظاتهم وأبحاثهم .

* ملحق *

الحياة الاجتماعية والسياسية


الخريطة الطبيعية
لمنطقة وارجلان
بسكرة
شط ملغيغ
اتجاه الرياح
غرداية
وادي إغرغار
العروق الرملية
إتجاه الرياح

ملحق نسب القبائل البربرية (1)

حام

كنعان

بربر

بر

هريك

مازيغ

كراد

همرحق

زجيك

مادغيس

يلا

قروال

مقبو

ضرى

ورساك

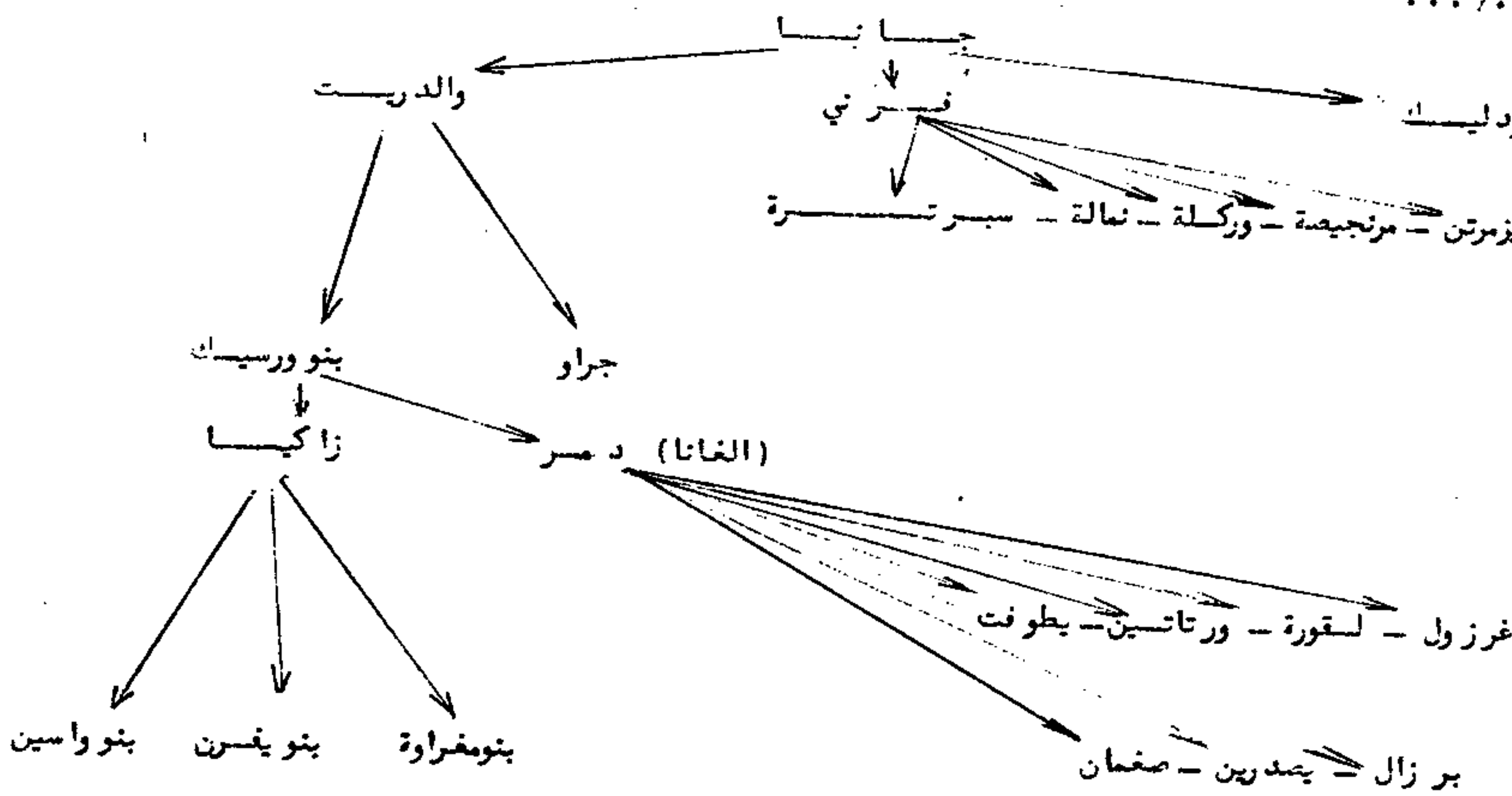
صولات

يحي

جانا

(1) الملحق مستخلص من المصادر المعتمدة في البحث .

.../...


جـــا نـــا
والد يـــت
نفـزني
ودليــك
يزمرتن ـ مرنجيصة ـ وركـلة ـ نمالة ـ سبرتـــــــرة
جراو
بنو ورسيك
زا كيـــا
د مـر (الغانا)
غرزول ـ لـقورة ـ ورتاتـين ـ يطوفت
بر زال ـ يصدرين ـ صغمان
بنومغراوة
بنو يفـرن
بنو واسين

ملحق ٤

العمارة الإسلامية

ملحق الحريم (1)

لايخفى على دارس العمارة الاسلامية ، أن العمارة الاسلامية الصحراوية تتميز عن غيرها فيها نصيب لابأس به مع تأثير البيئة ذاتها .

فالعمارة مع اتجاه الرياح ، والزوابع الرملية كل هذه ، جعلت سكان المنطقة يتحايلون معها بشتى الأوجه ، لتفتحت الدور مستقبلة الشمس ، ومستدبرة الريح في الأدوار العلوية المخصصة للشتاء البارد ، وسمكت الجدران حتى تعزل القيظ عن الأدوار السفلية الخاصة بالصيف ، واتخذ الناس سقائف يستظلون بها أثناء الهجير في الشوارع .

كما أن لاختلاف أسباب العيش في الصحراء من رعي للغنم ، أو استعمال للابل لدى الظعن والاقامة ، من أجل ذلك كله تغيرت المسالك مابين شوارع واسعة ، وأزقة ضيّقة .

وخوفا من النزاع وضع العلماء المسلمون في ذلك العهد قواعد مستندين في ذلك على أحاديث نبوية وردت في الموضوع (2) وأسس يبني عليها العرف المحلي من جلب للمصالح ودرء للمفاسد . وكان أهم كتاب صدر في هذا الموضوع بوارجلان كتاب " أصول الأرضين " للشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن بكر المتوفى سنة 504 هـ يتألف من ستة أجزاء في العمارة ومن جزئين في القسمة .

ونستخلص منه الحريم ، الذى يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار من شيء

---

(1) مستخلص من مخطوط أصول الأرضين لأبي العباس أحمد بن محمد بن بكر .

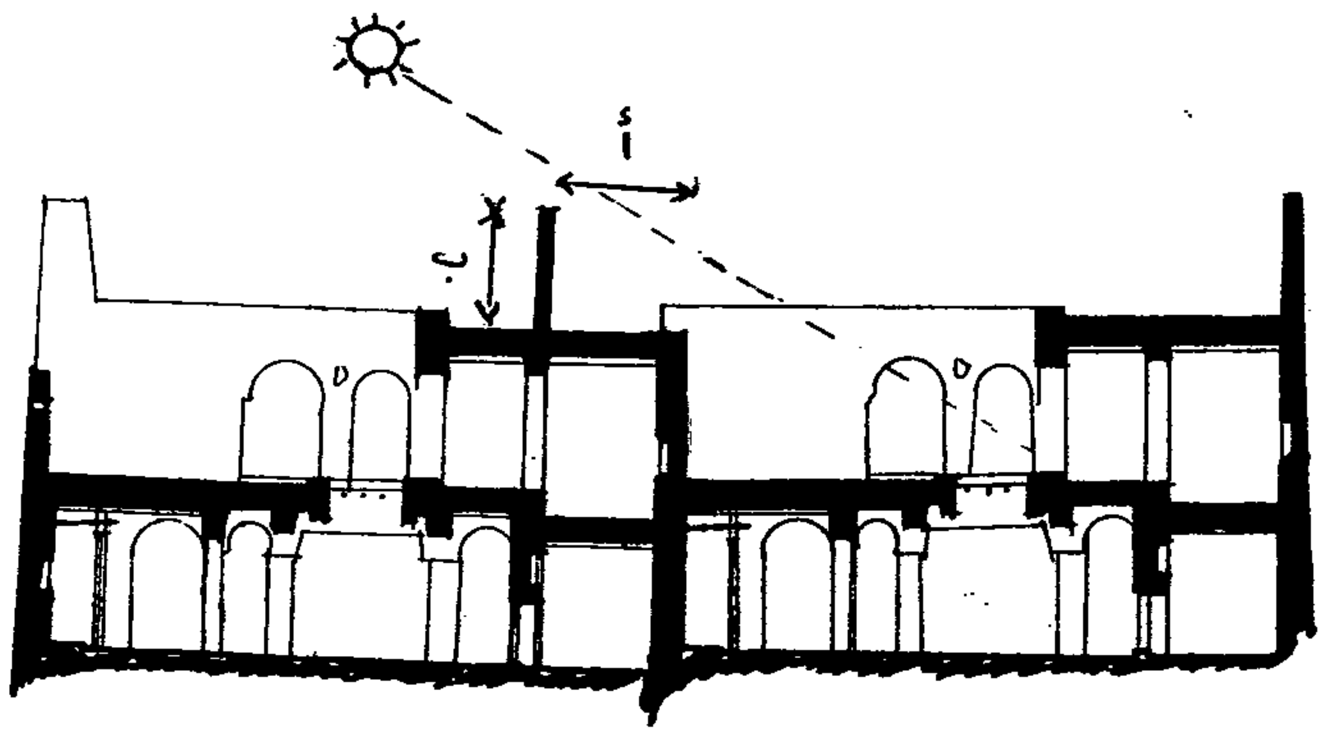
(2) ينظر : يحي بن آدم القرشي (ت 203هـ) ، كتاب الخراج ، صححه وشرحه ووضع فهارسه أبو الأشبال أحمد محمد شاكر ، مكتبة دار التراث ، مطابع المختار الاسلامي – القاهرة ، الطبعة الثانية (بدون سنة) .

موجود وآخر أريد استحداثه فلايمكن أن يحجب شخص ببنائه نور الشمس عند شروقها أو غروبها ، ولا يمكن لانسان أن يبني داره ملاصقة لسور المدينة ، ولايمكن أيضا لمزارع أن يزرع نخلا في مجرى الوادي وهكذا ، فالحريم مساحة تتخذ فاصلا لابعاد الضرر مهما كان نوعه عن كل مافيه مصلحة عامة أو خاصة ، فنأخذ منه عينات وللدارس المتخصص التعمق فيه أكثر.

وقد آثرنا في هذا الجدول اعتماد رأي أبي العباس وهو الذي يذكره في البداية ، وأهملنا الاختلافات التي ذكرها بعده .

جـــــدول الحريـــم

نوع الحـــــريم	المســـافـــة
حــريــم المدينـــة	400 ذراع
حريـــم القصـــر	40 ذراعا
حريـــم القـــرى	لاحــريم له
حريــــم المنـــازل	تدفع المضرة بحجب الشمس والظـــل والفجر ، أما الريح فيرجع أمره إلى الأمناء
حــريــم الجـــار	مـقدار قصبــة
حريـــم العين القديمة	100 ذراع
حريـــم العين الحديثة	40 ذراعا
حريـم الساقيـــة	3 أذرع
حريم الــــوادى	40 ذراعا ان كان فحلا
حــريم طريــق الراجلين	3 أذرع
حريم طريــق السقائين	5 أذرع
حريم طريــق الحطابين	6 أذرع
حــريم طريــق الحميــر على اختلاف مايحمل عليها	7 أذرع
حريم طريق البغال والخيل والبقر	7 أذرع
حريم طريـــق الجمـــال	12 ذراعا
حريم طريــق الجوائز والمحامل	24 ذراعا
حريم طــريق المواشـــي	40 ذراعا
حريم طـــريــق الحجـــاج	40 ذراعـا



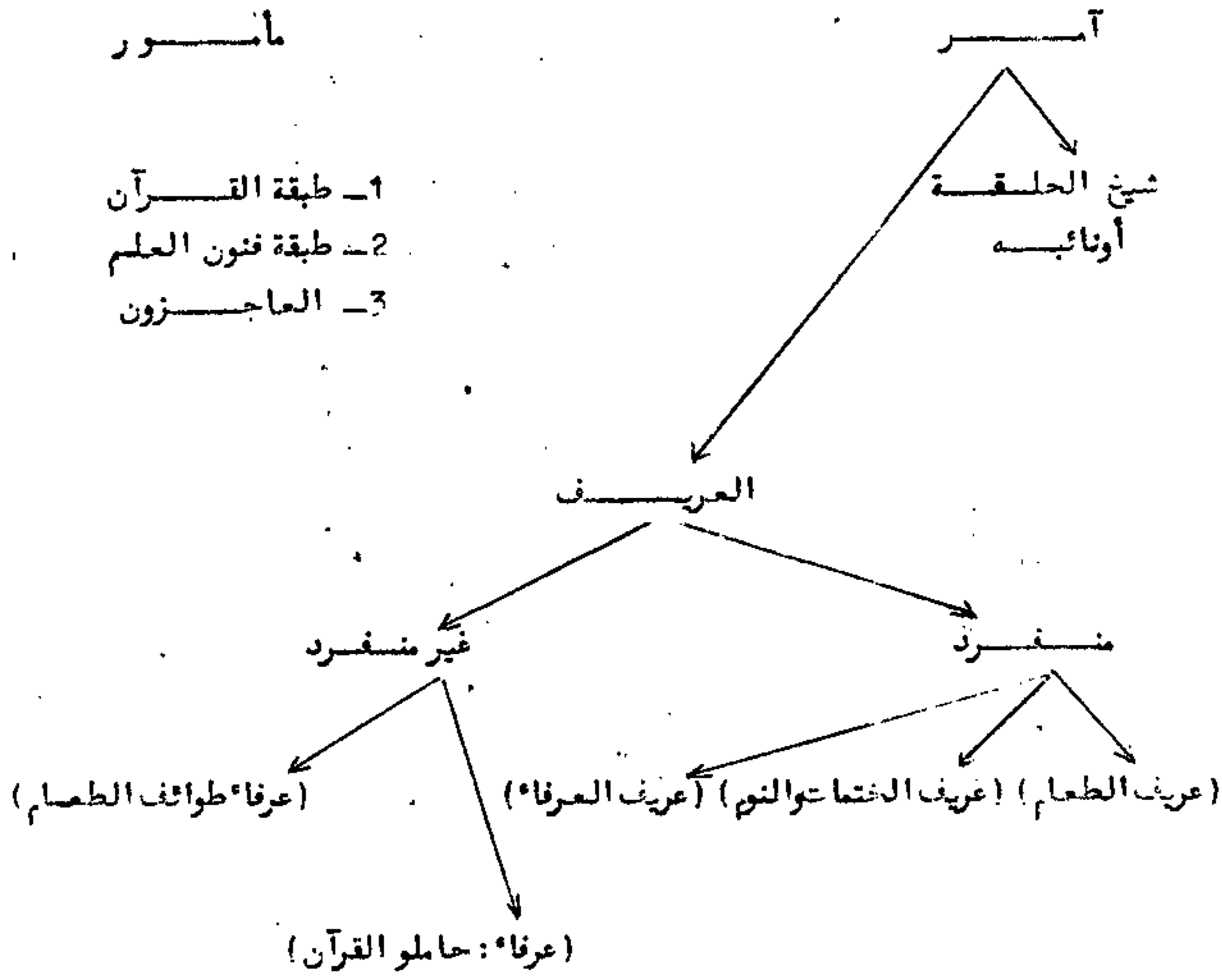
<u>الحرم بين المنازل</u>

يظهر في الرسم تأخر الجار القصوصلي بجداره العلوي بمقدار ارتفاعه حتى يسقط ظله على سطحه لا على جاره فالمسافة أ = ب ، هذا بالنسبة لنور الشروق وكذلك لنور الغروب

« ملحق »

الحياة الدينية والفكرية

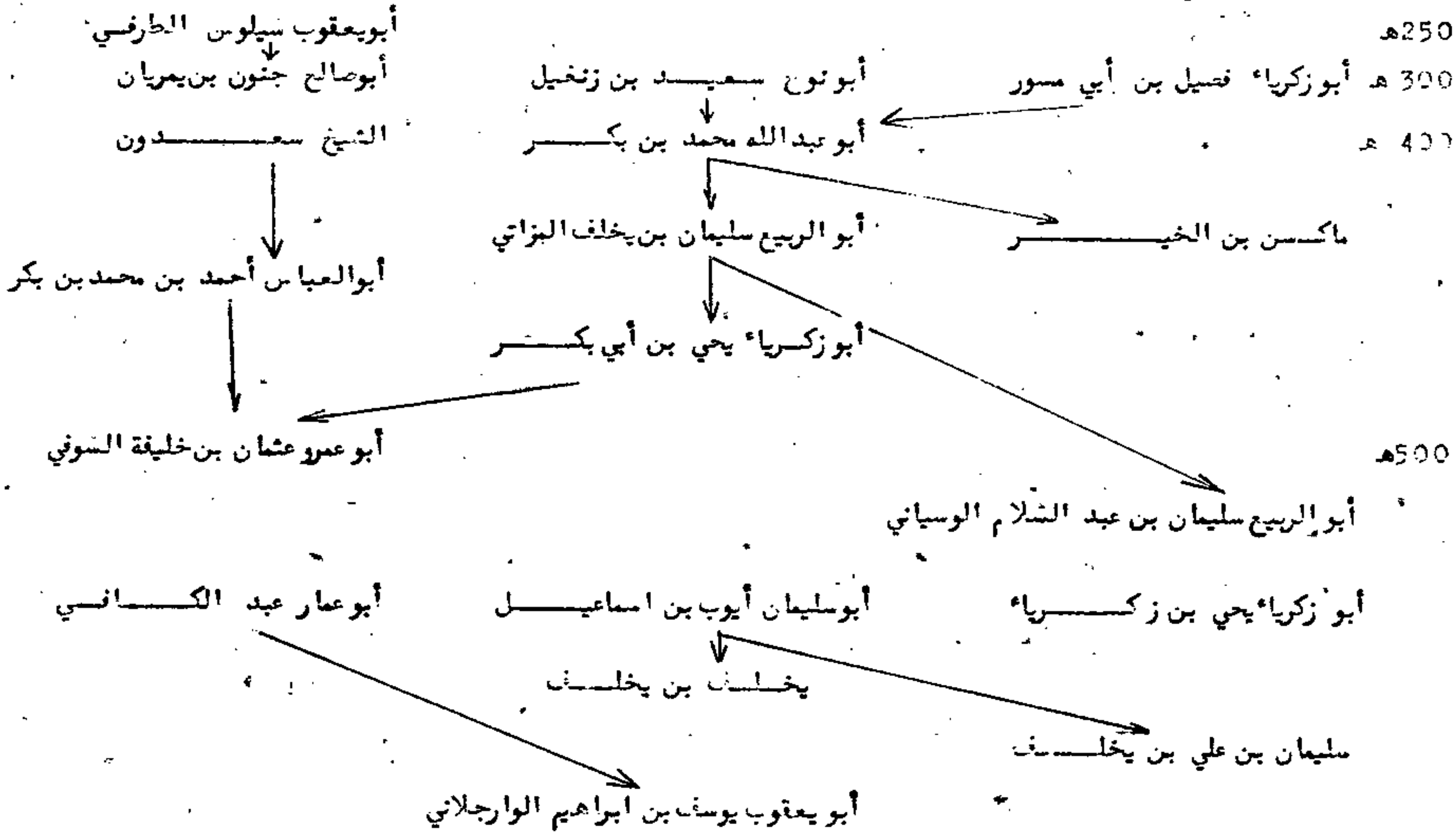
الهيكل العام لأعضاء الحلقة ومهامهم (1)



---

(1) حوّلت النصوص إلى شكل توضيحي بتصرّف.
الدرجيني، طبقات المشايخ، ج 1، ص: 172.
البرادي، الجواهر المنتقاة، ص: 209.

ملحق سلسلة أشهر العلماء (في الفترة المدروسة) (1)



.../...

(1) الملحق مستخلص مما درسناه من الكتب المختلفة التي تعنى بسير المشايخ وطبقاتهم .
والسهم يبيّن انتقال العلم من شيخ الى آخر.

.../...

500 هـ أبو زكريا يحيى بن زكريا

600 هـ سعيد بن سليمان

أبوسهل يحي بن ابراهيم

أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني

نســـب الديــــــــن (1)

1ـ "وذكـر أن أبا خليــل رحمه الله كان يقول واللّــه ماتركتكم إلاّ على الواضحة النيّــرة تــقود الضال ، ومابيني و بيــن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أرهـم وقد أخذ عن الخمســة و الخمسة عن أبي عبيــدة و أبوعبيــدة عن جابــــر وجابــر عن ابن عبــاس وابن عــباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ."

2 ـ "وقد كان الشيخ أبو عمرو رحمه الله في اسناده يقول أخذ الدين أبوعمــرو عن أبي العبـــاس عن أبي الربيــع سليمان بن يخلــف عن أبي عبد الله محمـــد ابن بكر عن أبي نوح سعيــد بن زنغيــل عن أبي خزر عن سحنون بن أيـــوب عن سعيــد بن أبي يونــس وسيم بن نصــر عن الامام افلح عن والده عبد الوهــا ب عن الامام أبيه عبد الرحمــن بن رستم عن أبي عبيــدة عن جابر بن زيد عن ابــن عــباس عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن ميكايل عن اسرافيل عــــن اللوح المحفوظ عن لا إله إلاّ اللّـــه مخلصين له الدين و لو كره الكافــرون ."

3ـ "وأما اسناد اخواننا وأهل مودتنا و دعــوتنا الاطــرابلسيين رحمة اللـــه عليهم : أبو عمرو عن أبي العباس عن أبي عبد الله ، عن أبي زكــرياء فصيــل عن والده أبي مسـور عن أبي معروف عن أبي ذر ابان بن وسيـــم عن أبي خليــل عن الخمســة الحملة العلم إلى المغرب عن أبي عبيدة رحمـــة اللّــه عليهــم ."

---

(1) من مخطوطة سير المشايــخ للوسيانـــي .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد

بعد أن ما ثبت لدينا سند الدين

أخذت ديني أنا باالبقطان وأنا معاصر للشيخ
يوسف بن ابراهيم بن عمر عن شيخنا الحاج عمر بن يحيى في أوائل
القرن الرابع عشر عن الشيخ أطفيش محمد بن يوسف عن أخيه
الحاج ابراهيم بن يوسف عن عمر بن سليمان نوح عن الشيخ
ابن الحاج بن كاسر القراري عن الشيخ يحيى بن صالح عن ~~ابن~~ محمد
عن ابن عبد الله محمد بن الشيخ يوسف المصعبي المليكي عن
ابن الربيع سليمان بن الشيخ أحمد الحيلاتي ذكر أنه بحومة
شـ جعبرة من جربة وكان في آخر القرن الحادي عشر معاصر الله
بن عمر بن الشيخ أحمد ابن ستة القصيبي قال يعني شيخه ~~أبا القاسم~~
أبا الربيع وبيان الاسناد الصحيح أن شيخنا أبا القاسم بن سعيد
الصدغياني الساكن بحومة سدفيا من وادي الزبيب بجربة
عن شيخه ابن زيد عبد الرحمن بن أحمد الحيلاتي عن ابن يوسف

يعقوب بن صالح التندميري عن ابن النجاة يوسف بن
سعيد بن يحيى النعاريتي الخيري عن ابن زكرياء بن افلح
الحصد غيان عن ابن عمران موسى بن ايوب عن ابن يعيش بن
يخير بن يوجمة اولاد ابن علي قرب جعبرة مسكنا
بن صالح بن عمر النفوسي عن ابن عثمان سعيد المزاتي
[illegible] وابدلاين عن ميمون بن تكنيس الورغمي الساكن بأبدلان
عن ابن عمرو عثمان بن خليفة المرغني السوفي عن ابن العباس
احمد بن محمد بن بكر عن ابن الربيع سليمان بن يخلف المزاتي
عن ابن عبد الله محمد بن بكر عن ابن نوح سعيد بن زنغيل
عن ابن خزر يغلى بن زلتاف عن ابن القاسم [illegible] عن سحنون
ابن ايوب عن سعد بن ابي يونس عن الامام افلح عن ابيه
عبد الوهاب عن ابيه عبد الرحمن عن ابن عبيدة مسلم
ابن ابي كريمة البصري عن جابر بن زيد الازدي عن
ابن عباس عن عائشة ام المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن جبريل عن اللوح المحفوظ عن رب العالمين

[illegible] ٣ رجب ١٣٨١ نقلا عن الكتب البارونية بجربة

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد و آله

هذا ماثبت لدينا من نسب الدين (1)

أخذت ديني أنا أبا اليقظان وأنا معاصر للشيخ بيوض ابراهيم بن عمر ، عن شيخنا الحاج عمر بن يحي في أوايل القرن الرابع عشر ، عن الشيخ اطفيش امحمد بن يوسف ، عن أخيه الحاج ابراهيم بن يوسف ، عن عمر بن سليمان نوح ، عن الشيخ بن الحاج بن كاس القراري ، عن الشيخ يحي بن صالح ، عن ابي عبد الله محمد بن الشيخ يوسف المصعبي الملكي ، عن أبي الربيع سليمان ابن الشيخ أحمد الحيلاني ذاكرا أنه في حومة جمبرة من جربة وكان في آخر القرن الحادى عشر معاصرا للعلامة الشيخ أحمد بن عمر بن أبي ستة القصيبي قال يعني شيخه أبا الربيع ، وبيان الاسناد الصحيح أن شيخنا أبا القاسم بن سعيد الصدغياني الساكن بحومة سفحارمن وادى الزبيب بجربة عن شيخه أبي زيد عبدالرحمان بن أحمد الحيلاني ، عن أبي يوسف يعقوب بن صالح التندميرتي عن أبي النجاة يونس بن سعيد ابن يحي التماريتي الخيرى ، عن أبي زكرياء بن افلح الصدغياني ، عن أبي عمران موسى بن أيوب عن أبي يعيش بن موسى الخيرى بحومة أولاد أبي علي قرب جمبرة مسكنا ، عن أبي البهر صالح بن عمر الغمراوى ، عن أبي عثمان سعيد الزارتي ، عن ايفاو الأبدلاني ، عن ميمون بن تكنيس الورغمي الساكن بأبدلان ، عن أبي عمرو عثمان بن خليفة المرغني السوفي ، عن أبي العباس أحمد بن محمد بن بكر ،

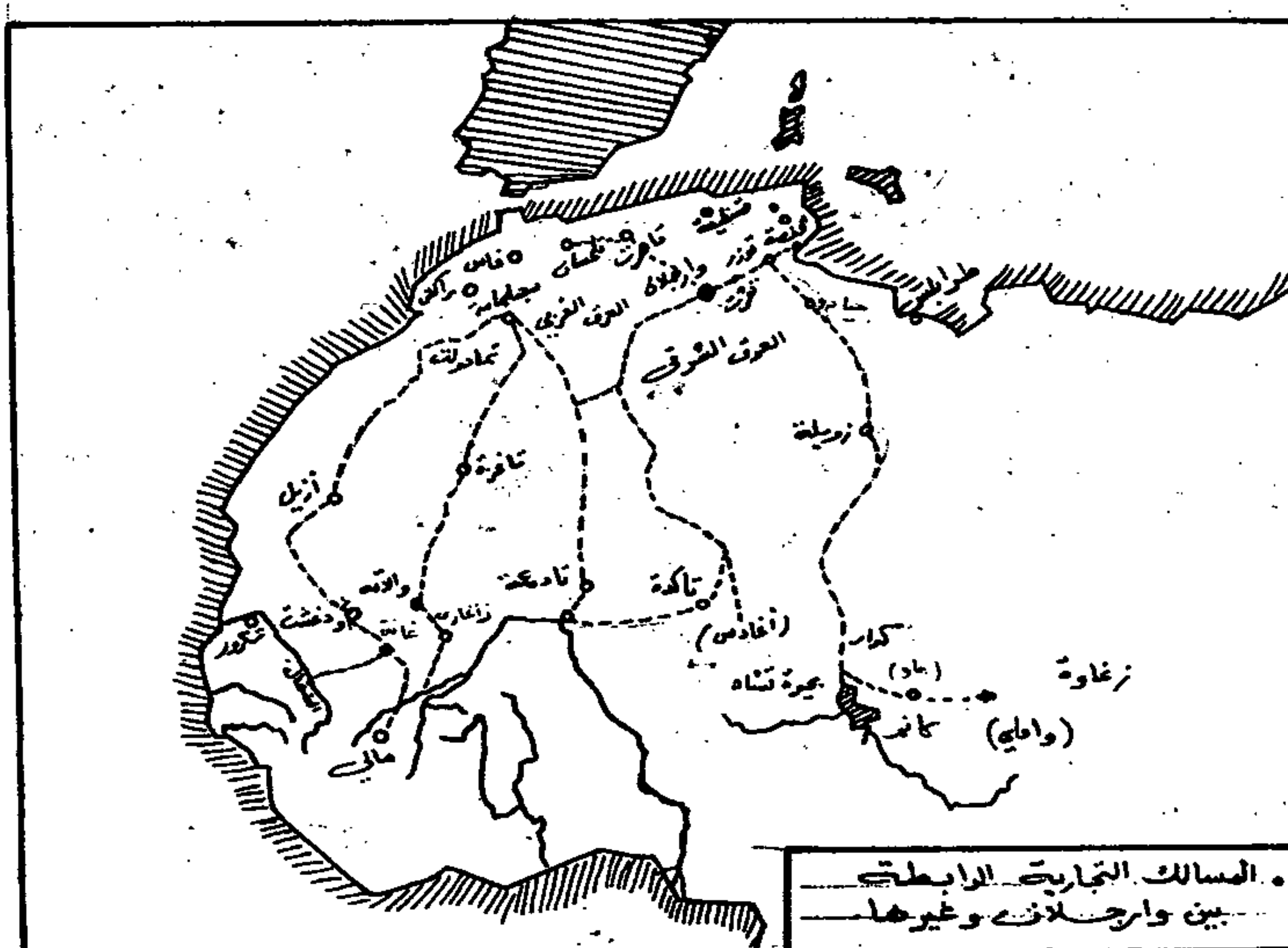
---

(1) نقلا عن المكتبة البارونية بجربة .

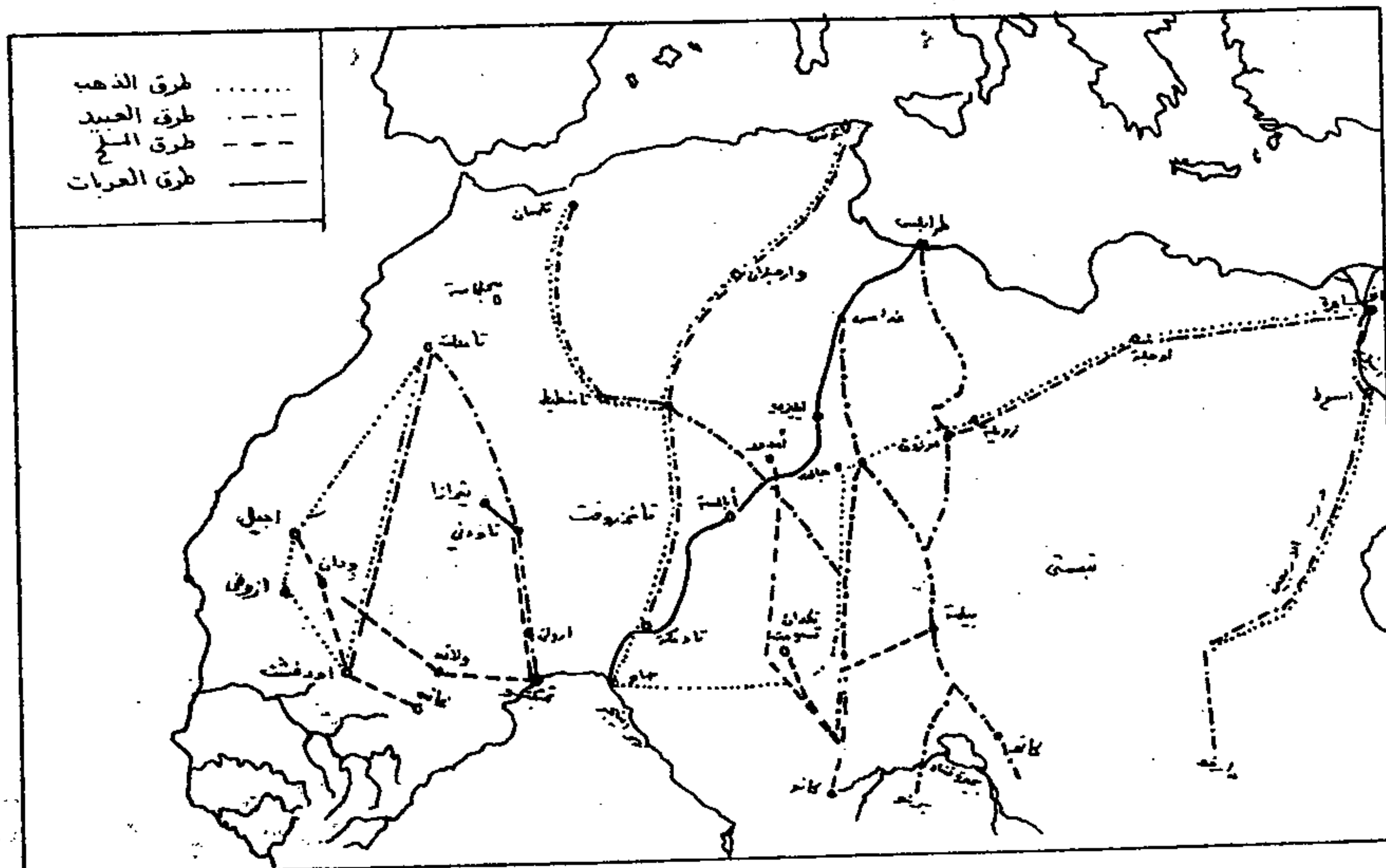
عن أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي ، عن أبي عبد الله محمد بن بكر ، عن أبي نوح سعيد بن زنغيل ، عن أبي خزريغلا بن زلتاف ، عن أبي القاسم الحامي ، عن سحنون بن أيوب ، عن سعد بن أبي يونس ، عن الامام أفلح ، عن أبيه عبد الوهاب ، عن أبيه عبد الرحمان ، عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة البصرى ، عن جابر بن زيد الأزدى ، عن ابن عباس ، عن عائشة أم المؤمنين ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن جبريل عن اللوح المحفوظ ، عن رب العالمين .

القرارة 13 رجب 1381 هـ

﴿ ملحق ﴾
الحياة الاقتصادية


فاس
مراكش
سجلماسة
تلمسان
تاهرت
وارجلان
توزر
طرابلس
العرق الغربي
العرق الشرقي
زويلة
تاغزة
تادمكة
تاكدة
(أغادس)
كوار
زغاوة
بحيرة تشاد
كانم
أودغشت
غانة
والاتة
مالي
المسالك التجارية الرابطة
بين وارجلان وغيرها

مخطط : الطرق الصحراوية القديمة (HENRI Lhote) - Sahara p. 195 .



ملحق المسالك التجارية (المراحل)

مــن	الــى	عدد المراحل	المصـدر
وارجلان	نفوسة	12 مرحلة	الادريسي
وارجلان	الجريد	24 مرحلة	الحميرى
وارجلان	غدامس	20 مرحلة	الحميرى
وارجلان	أودغشت	31 مرحلة	الادريسي - الحميرى
وارجلان	غانه	30 مرحلة	الادريسي
وارجلان	المسيلة	12 مرحلة	الادريسي
وارجلان	تادمكة	50 مرحلة	البكرى
وارجلان	قسطيلية	14 مرحلة	البكرى
وارجلان	قلعة أبي الطويل	13 مرحلة	البكرى
غانة	بجوجو	45 مرحلة	الادريسي
غانة	أودغشت	12 مرحلة	الادريسي
غانة	أودغشت	15 مرحلة	البكرى
غانة	أود غشت	20 مرحلة	الحميرى
غانة	ونقارة	8 أيام	الادريسي
غانة	تادمكت	50 يوما	الحميرى
غانة	سجلماسة	60 يوما	الحميرى
تادمكة	غدامس	40 يوما	البكرى
تادمكة	كوكو(جوجو)	9 أيام	البكرى

من	الى	عدد المراحل	المصدر
أودغشت	جرمة	25 مرحلة	الادريسي
أودغشت	جزيرة اوليل	30 مرحلة	الادريسي
أودغشت	سجلماسة	60 يوما	الادريسي - البكرى
أودغشت	سجلماسة	50 يوما	اليعقوبي - ابن حوقل - الحميري
نفطة	قابس	3 مراحل	الادريسي
سفاقس	المهدية	2 مراحل	الادريسي
المهدية	القيروان	2 مراحل	الادريسي
قابس	البحر	6 أميال	الادريسي
قابس	سفاقس	70 ميلا	الادريسي
الجريد	القيروان	7 أيام	الادريسي
زغاوة	كوكو	16 يوما	الادريسي
كوكو	غانة	45 يوما	الادريسي
تكرور	بريسي	11 يوما	الادريسي
بريسي	لملم	10 أيام	الادريسي
دو	ملل (بلملم)	4 أيام	الادريسي
سلي وتكرور	سجلماسة	40 يوما	الادريسي
انكلاس (كوار)	قصر أم عيسى	40 ميلا	الادريسي
بريسي	أودغشت	12 مرحلة	الحميرى
سلي	اوليل (بلد الملح)	16 مرحلة	الحميرى
سجلماسة	وادى درعة	5 أيام	الحميرى

مــن	الــى	عدد المراحل	المصدر
ولاتن	زاغاري	10 أيام	ابن بطوطة
باغاي	قسنطينة	3 مراحل	الادريسي
باغاي	طبنة (الزاب)	4 مراحل	الادريسي
باغاي	قسطيلية	4 مراحل	الادريسي
الحمة	قسطيلية	1 مرحلة	الادريسي
الحمة	تقيوس	20 مرحلة	الادريسي
قفصة	تقيوس	1 مرحلة	الادريسي
قفصة	نفطة	2 مرحلة	الادريسي
قفصة	نفزاوة	2 أيام (يومان)	الادريسي
قفصة	جبل نفوسة	6 أيام	الادريسي
قفصة	سفاقس	3 أيام	الادريسي

المصادر المخطوطة

أعزام ابراهيم (ت 1385 هـ/ 1965 م)

غصن البان في تاريخ وارجلان .

يوجد بمكتبة الشيخ عمر بومعقل بوارجلان ،

عدد صفحاته 234 .

أطفيش أمحمد بن يوسف (ت 1332 هـ / 1914 م)

كتاب مختصر العمارة

يوجد بمكتبة الشيخ بالحاج بالقرارة ، 85 صفحة

البرادي ابراهيم أبو القاسم (ت ق 8 هـ / 14 م)

رسالة فيها تقييد كتب أصحابنا . ثلاثة أوراق

ضمن أحكام الديوان ، مخطوطة بدار الكتب

المصرية ، رقم : ب 21719 .

البغطوري مقرين بن محمد النفوسي (ت ق 6 هـ /13 م)

كتاب سير أهل نفوسة . أكمل كتابته في شهر

ربيع الاخر عام 599 هـ في جناون . 140 صفحة .

صورة مخطوطة عند أبي العلا عيسى بن عبدالله القرارة .

سالم بن حمود السيابي

أصدق المناهج في تمييز الاباضية من الخوارج (مخطوط)

مطرح سنة 1385 هـ .

أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر (ت 471 هـ / 1078 م)

السيرة وأخبار الائمة

- نسخة بدار الكتب المصرية ، رقم : ح 9030

- نسخة مجموعة تادوشر ليفيتسكي ، كراكوفيا ، بولونيا .

114 صفحة

أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي (ت 504هـ / 1110 م)

أصول الاراضين . 8 أجزاء ، جزآن في القسمة

6 أجزاء في العمارة .

نسخة مخطوطة بمكتبة الشيخ بالحاج القرارة ، 370 صفحة .

أبــو عبد اللــه محمد بن علـي بن حمــاد (القاضــي)
ملوك بنـي عبد الله حتى سنة 617 هـ .
ميكــروفيــلم عن نسخــة ذي الحجــة 1265 هـ
المكتبــة الوطنيــة ، الجزائــر ، رقم : 1588 ، نسخــة
مخــرومــة من الجهتيــن

أبــو عمــار عبد الكافــي (600 هـ / 1203 م)
سيــر الحلقــة
- نسخة من مجموعــة تاد يوز ليفيتسكــي ، كراكوفيا ، بولونيا
د ، تا ، 7 صفحــات

مؤلــف مجهــول
سد رتــن (أسد راتــن) وعمارة المطــف ، ونسب
أولاد عبد اللــه
- نسخــة من مجموعــة تاد يوز ليفيتسكــي ، كراكوفيا ، بولونيا
د ، تا ، 6 ورقــات .

الوارجــلانــي أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم (570 هـ / 1174م)
القصيــدة الحجــازيــة ، 373 بيت ، 17 صفحــة ،
توجد بمكتبــة الشيخ فقيــه محمــد بن موسى ، وارجــلان .

فهرس المصادر و المراجع المطبوعة

ابـن الابّـــار أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت ، 658 هـ)
الحلّـة السيـــراء . تحق ، حسين مؤنس .
الشركة العربية للطباعة و النشر ، القاهرة ، 1963 .

ابـن الاثيــر عز الدين أبو الحسن علـي بن أبي الكرم محمد (ت 630 هـ)
الكامــل فـي التاريخ ، دار بيروت للطباعة و النشر
لبنــان ، سنــة 1402 هـ ـ 1982 م .

[illegible] الادريسي المغربي (ت 5[illegible] هـ / 11[illegible] م)
وصف افريقيا الشمالية و الصحراوية مأخوذ عن كتــاب
نزهة المشتاق في اختراق الآفــاق . صححه و نشــره
هونري بيـرس ، دار الكتب ، الجزائر ، 1376 هـ / 1957م

أبــو اسحاق ابراهيم أطفيــش ، (ت 1964 م)
الفرق بين الاباضيــة و الخوارج ، مكتبة الاستقامــة
روي سلطنة عمــان ، 1400 هـ / 1980 م

الاشعــري علي بن اسماعيـل (ت 330 هـ)
مقالات الاسلاميــن تحق ، محمد محيي الدين عبد الحميد
القاهــرة 1369 هـ .

أشفيتســر ألبرت
فلسفـة الحضــارة ، تر ، د . عبد الرحمان بدوي ،
ط / 3 ، دار الاندلس بيروت لبنان ، سنة 1983 م .

الاصطخــري أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفاســي (ت ، ق ، 4 هـ)
تحق ، محمد جابر عبد العال ، مرا ، محمد شفيق غربال
وزارة الثقافـة و الارشـاد القومي ، الادارة العامـــــة
للثقافــة ، الجمهورية العربية المتحدة ، 1381 هـ / 1961م

اطفيــش أمحمد بن يوسف (قطب الائمة) (ت 1332 هـ / 1914 م)
الرد على العقبــي . طبعة حجرية . د ، تا .

أعوشــت بكيــر بن سعيــد
الورجــلاني و المدارس الكلاميــة الاسلاميــة
المطبعـة العربيــة ، غردايــة 1987 م .

ألفرد بل

الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي من الفتح العربي حتى اليوم . تر ، عبد الرحمان بدوي .
ط 2 ، دار الغرب الاسلامي بيروت لبنان ، سنة 1981م

باجية صالح

الاباضية بالجريد في العصور الاسلامية الاولى
دار بوسلامة للطباعة و النشر و التوزيع ، تونس
سنة 1396 هـ / 1976م .

بارتولد . ف.

تاريخ الحضارة الاسلامية ، تر ، حمزة طاهر
دار المعارف مصر ، 1966م .

الباروني سليمان بن الربيع

مختصر تاريخ الاباضية ، د . مط ، د . د ، د . تا

الباروني سليمان بن عبد الله النفوسي

كتاب الازهار الاباضية في أئمة وملوك الاباضية
القسم الثاني ، مط ، الازهار البارونية ، القاهرة ، د ، تا

الباروني عبد الله بن يحيى

رسالة سلم العامة و المبتدئين الى معرفة أئمة الدين
مط ، النجاح مصر ، 1324 هـ .

بحاز ابراهيم بكير

الدولة الرستمية ، دراسة في الاوضاع الاقتصادية و
الحياة الفكرية . (160 — 296 هـ / 777 — 909م)
مط ، لافوميك الجزائر ، 1985م .

البرادي أبو القاسم بن ابراهيم

الجواهر المنتقاة لما أخل به كتاب الطبقات
طبعة حجرية ، القاهرة ، 1302 هـ / 1884م

البسوي أبو يوسف يعقوب بن سفيان

كتاب المعرفة و التاريخ ، تحق ، أكرم ضياء العمري
مؤسسة الرسالة . ط ، 2 ، 1401 هـ / 1981م .

ابـــن بطـــوطـــة شمس الدين أبوعبد الله محمد بن ابراهيـم (ت703 هـ)
رحلة ابن بطـــوطـــة ، دار صادر للطباعة و النشر
بيـروت لبنان ، سنة 1384 هـ / 1964م .
البكـري أبوعبيد اللـــه (ت 487 هـ)
المغرب في ذكـر بلاد افريقيـا و المغرب (وهـــو
جزء من كتاب المسالك و الممالك) . نشر دي سلان
المطبعة الحكوميـة الجزائر ، سنة 1857 م
بكـــوش يحيـــى محمـــد
التواجد الاباضي بالاندلـس . المطبوعات الجميلـــة
الجزائر ، سنة 1984م .
البهـــي محمـــد
الدين و الحضارة الانسانيـة ، نشر ، مكتبة مرازقـــة
الجزائـــر . د ، تا .
بورويبـــة رشيـــد
— الدولـة الحمادية تاريخها و حضارتهـــا .
ديوان المطبوعات الجامعيـة ، المركز الوطني للدراســات
الجزائـــر ، سنة 1979م .
— مدن مندثـــرة : تاهرت ، سدراتـة ، أشيـــــر ،
قلعة بني حمـــاد . سلسلة فن و ثقافـة ، الجزائر د ، تا
بوعزيـــز يحيـــى
علاقات الجزائر الخارجيـة مع دول و ممالك أوروبــــــا
(1500 — 1830م) ديوان المطبوعات الجامعيـة
الجزائـــر سنة 1985م
بلـــوم دنيـــر
الحضارات الافريقيـة ، تر علـي شاهيـــن .
منشورات دار مكتبة الحياة لبنان ، سنة 1974م
الجعبيري فرحـــات
— دور المدرسة الاباضية في الفقه و الحضارة الاسلاميـــة
دار الجويني ، تونس ، سنة 1988م
— نظام العزابة عند الاباضية الوهبية في جربة
المطبعة العصرية ، تونس ، سنة 1975م .

الجناوني أبو زكرياء يحيى بن أبي الخير
كتاب الوضع ، مختصر في الاصول و الفقه
تعليق أبو اسحاق أطفيش . مكتبة الفجالة الجديدة ، مصر
الحبيب الجنحاني
دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي
للمغرب الاسلامي ، دار الطليعة ، بيروت لبنان ، 1980م .
جودت عبد الكريم يوسف
العلاقات الخارجية للدولة الرستمية ،
المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 1984م
الجيطالي أبو طاهر اسماعيل بن موسى (ت 750 هـ)
قواعد الاسلام . تصحيح و تعليق ، بكلي عبد الرحمان
المطبعة العربية ، غرداية ، 1976م
الجيلالي عبد الرحمان بن محمد
تاريخ الجزائر العام . ط، 6 ، دار الثقافة بيروت
لبنان ، سنة 1403هـ / 1983م .
الحارثي سالم بن حمد بن سليمان بن حميد
العقود الفضية في الاصول الاباضية .
دار اليقظة العربية ، سوريا و لبنان . د ، تا .
الحريري محمد عيسى
مقدمات البناء السياسي للمغرب الاسلامي ،
الدولة الرستمية (160 _ 296 هـ) ط ، 2
دار القلم الكويت ، سنة 1403هـ / 1983م .
ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد (ت 456هـ / 1064م)
جمهرة أنساب العرب تحق ليفي بروفنسال ،
دار المعارف ، مصر القاهرة ، سنة 1948م .
حسن ابراهيم حسن
انتشار الاسلام في القارة الافريقية . ط، 3 .
مكتبة النهضة المصرية ، مصر ، سنة 1984م .
حسونة محمد أحمد
أثر العوامل الجغرافية في الفتوح الاسلامية .
مكتبة النهضة . مصر ، سنة 1960م .

حسيـــن مؤنـــس
المساجـد . ط ، الانباء ، الكويت ، سنة 1401هـ / 1981م
الحميـري محمـد عبد المنعـم (ت 727 هـ 1326 م)
الروض المعطـار في خبر الاقطـار ، تحق ، د احسان عباس
مؤسسة ناصـر للثقافـة ، بيروت ، سنة 1980م .
ابـــن حوقـل أبو القاسم النصيبـي (ت 376 هـ / 977م)
كتاب صورة الارض . منشورات دار مكتبة الحياة .
بيـروت ، د ، تا .
ابـــن خلـدون عبد الرحمان (808 هـ/ 1406م)
— كتاب العبـر وديوان المبتدأ والخبـر في أيـام
العرب والعجم والبربـر ومن عاصرهم من ذوي
السلطـان الاكبـر . دار الكتاب اللبناني بيـروت
سنـة 1981م .
— المقدمـة . طبع مصنع الكتاب للشركة التونسية للتوزيع
تونـس ، سنة 1984م .
خطـاب محمـود شيـت
المغرب العربـي (قادة الفتح الاسلامي ، قادة فتـح
المغـرب العربـي) ط ، 7 ، دار الفكر العراق
(بغداد) سنة 1404 هـ/ 1984م .
الخطيـب سليمـان
أسس مفهـوم الحضارة في الاسـلام .
الزهراء للاعلام العربـي ، القاهرة ، 1406 هـ / 1986م
الخطيـب عز الدين التميمـي
نظرات في الثقافـة الاسلاميـة
المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائـر ، 1988م
ابـــن الخطيـب لسـان الديـن
تاريخ المغرب العربـي في العصر الوسيـط
تحق ، د . أحمد مختار العبادي ، والاستاذ محمـد
ابراهيم الكتانـي . نشر وتوزيع دار الكتاب الدار
البيضـاء المغرب ، سنة 1964م .

ابـــن خلكـــان أبو العبـاس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت 681 هـ)
وفيات الاعيـان وأنباء الزمـان . تحق ، احسان عباس
— دار الثقافة ، بيروت ، سنة 1971م .
خليفـات عوض محمـد
— الاصول التاريخيـة للفرقـة الاباضيـة
دار الجويني ، تونس ، سنة 1984م .
— التنظيمات السياسيـة والادارية عند الاباضية في
مرحلـة الكتمـان نظرة خاصة الى المغرب العربـي
المطابع العالمية ، روي ، سلطانة عمان ، د ، تا
— نشأة الحركـة الاباضيـة
مطابع دار الشعب ، عمّان الارذن ، سنة 1978م .
— النظم الاجتماعيـة والتربويـة عند الاباضية في شمـال
افريقيـا في مرحلـة الكتمـان . ط ، شركة المطابـع
النمودجيـة . عمّـان 1982م .
الخليلـي أحمـد بن حمـد
الحـق الدامـغ
مطبعة النهضة ، سلطنة عمان ، سنة 1409 هـ
دبـوز محمـد علـي
تاريخ المغـرب الكبيـر
مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، سنة 1383 هـ
1964م .
دحـو العربـي
مدخل في دراسـة الادب المغربـي القديـم .
ديوان المطبوعات الجامعيـة ، الجزائـر سنة 1988م .
الدرجينـي أبو العباس أحمد بن سعيـد (ت 670هـ)
طبقـات المشائخ بالمغرب . تحق ، ابراهيم طلاي
مطبعـة ، قسنطينـة الجزائر . د ، تا .
دوزي ، ر .
تاريخ مسلمـي اسبانيـا . تر ، د ، حسن حبشي ،
دار المعارف ، القاهرة ، سنة 1963م .

الربيـــع بن حبيـب
مسند الجامع الصحيح
المطبعة السلفية ، مصر ، سنة 1349 هـ
رجـــب محمد عبد الحليم
الاباضيـة في مصـر و المغرب وعلاقتهم باباضية عمان
و البصـرة . مكتبة العلـوم ، مسقط سلطنة عمان
1410 هـ / 1990م .
رزقـانـة ابراهيم أحمـد
الجغرافيـا الطبيعيـة
دار المحامي للطباعـة ، القاهرة ، سنة 1967م .
رعـد سعيد محمـد
العمـران فـي مقدمـة ابن خلدون
دار طـلاس ، سوريـا ، سنة 1985م .
الزاوي الطاهـر أحمـد
تاريخ الفتح العربـي في ليبيـا
طبع دار الفتح ، لبنـان ، سنة 1972م .
زباديـــة عبد القادر
الحضارة العربيـة و التأثير الاوروبـي في افريقيا الغربية
جنـوب الصحـراء . المؤسسة الوطنية للفنون المطبعيـة
الجزائـــر ، سنة 1989م .
الزبيـرى محمد العربـي
التجارة الخارجيـة للشرق الجزائـري في الفتـــرة
ما بين (1792 ـ 1830م) المؤسسة الوطنيـــة
للفنـون المطبعيـة ، سنة 1984م .
أبـــو زكريـــاء يحيـى بن أبي بكـر الورجلانـي
كتـاب السيرة و أخبار الائمـة . تحق عبد الرحمـان
أيـوب . الدار التونسية للنشـر ، تونس ، 1405 هـ/ 1985م
سامـــح كمال الديـن
فـي العمـــارة الاسلاميـة
دار الاتحاد العربي للنشر ، مصر ، سنة 1974م .

سعد زغلول عبد الحميد
تاريخ المغرب العربي من الفتح الى بداية عصور
الاستقلال . (ليبيا ، تونس، الجزائر ، المغرب)
نشر ، منشأة المعارف بالاسكندرية ، سنة 1979 م .
السيّد عبد العزيز سالم
تاريخ المغرب الكبير
الدار القومية للطباعة و النشر ، سنة 1966 م .
شريط عبد الله ، الميلي محمد
- الجزائر في مرآة التاريخ
طبع و نشر مكتبة البعث قسنطينة ، سنة 1965 م .
- مختصر تاريخ الجزائر السياسي و الثقافي و الاجتماعي
المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 1985م .
الشكعة مصطفى
اسلام بلا مذاهب
ط، 7 . المطبعة الفنية ، القاهرة ، سنة 1409هـ/ 1989م .
شلبي أحمد
تاريخ الاسلامي و الحضارة الاسلامية
ط، 2 . طبع و نشر مكتبة النهضة المصرية القاهرة، 1959م .
الشماخي أحمد بن سعيد (ت 928 هـ)/ 1521 م)
- كتاب السير ، طبعة حجرية ، القاهرة 1304 هـ/ 1884م
- كتاب السير ، تحق ، أحمد بن سعود السيابي ،
مطابع النهضة ، سلطنة عمان ، سنة 1407هـ/ 1987م .
ابن الصغير ، ق 3، هجري
أخبار الائمة الرستميين ، تحق ، و تعليق
د . محمد ناصر ، ابراهيم بحاز . المطبوعات الجميلة
الجزائر ، سنة 1986 م
الصنهاجي أبو عبد الله محمد
أخبار ملوك بني عبيد . تحق جلول أحمد بدوي
المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 1984م .

طمـــار محمد
الروابط الثقافيـة بين الجزائـر و الخارج
الشركة الوطنية للنشرو التوزيع ، الجزائر ، 1983 .
عاشـورسـعيد عبد الفتاح و من معـه
دراسات في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية
منشورات ذات السلاسـل ، الكويت ، سنة 1405هـ / 1985م .
العـدوي ابراهيم أحمـد
بلاد الجزائـر : تكوينها الاسلامي
مكتبة الانجلوالمصريـة ، القاهرة ، سنة 1970م .
العربـي اسماعيـل
- الصحراء الكبـرى و شواطئهـا
المؤسسـة الوطنية للكتـاب ، الجزائر ، سنة 1983م .
عز الديـن أحمـد موسـى
النشـاط الاقتصادي في المغـرب الاسلامي مـن
خلال القرن السادس الهجـري .
دار الشروق ، بيروت / القاهرة ، سنة 1983م .
عكاشـة ثـروت
القيمـة الجماليـة في العمارة الاسلاميـة
طبع دارالمعارف ، مصر ، سنة 1981م .
أبـو عمـارعبد الكافـي الاباضـي ، ق ، 6 هجري .
كتاب الموجـز . تحق ، عمار طالبي ، الشركة الوطنيـة
للنشـر و التوزيـع ، الجزائر ، 1396هـ / 1978م .
ابـن عميـرة محمـد
دور زناتـة في الحركة المذهبيـة بالمغرب الاسلامـي
المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، سنة 1985م .

العياشـي أبو سالـم عبد الله بن محمد (ت 1090 هـ / 1679م)
الرحلـــة ، طبعة حجريـة ، فاس ، 1316هـ/ 1898م .
الغربـي محمـد
كتاب بداية الحكم العربي في السودان الغربـي
مؤسسةالخليج العربي للطباعةوالنشر ، الكويت ، 1982م .

الغرناطي الوزير
القسم الثالث من كتاب أعمال الاعلام ، تحق ، أحمد مختاري العبادي ، دارالكتاب ، الدار البيضاء المغرب ، سنة 1964م .
أبو الفداء عماد الدين اسماعيل المويد (ت 732هـ/ 1331م)
تقويم البلدان . تصح ، رينود ، البارون ماك كوكين دي سلان ، دار الطباعة السلطانية باريس ، 1840م .
فرّاج عز الدين
فضل علماء المسلمين على الحضارة الاوروبية دار الفكر العربي ، القاهرة ، سنة 1978م .
فرج محمود فرج
اقليم توات خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشر الميلاديين ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، 1984م .
فلهوزن يوليوس
أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الاسلام تر ، عبد الرحمان بدوي ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، سنة 1958م .

أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ابن خرداذبة (ت 301هـ/ 913م)
المسالك و الممالك ،
مطبعة برايل ليدن ، سنة 1889م .
القرشي يحيى بن آدم (ت203 هـ 818م)
كتاب الخراج ، تصح ، و شرح ، أبو الاشبال أحمد محمد شاكر ، مكتبة دار التراث القاهرة ، د ، تا .
القيرواني أبو اسحاق ابراهيم بن القاسم (الرقيق) (ت بعد 417 هـ 1026م)
تاريخ افريقيا و المغرب ، تحق ، المنجي الكعبي ، نشر ، رفيق السقطي ، تونس ، د ، تا .

الكروي ابراهيم سلمان ، و د . عبد التواب شرف الدين
المرجع في الحضارة العربية الاسلامية .
منشورات دار السلاسل ، الكويت ، 1404هـ/ 1984م .
الكعاك عثمان
موجز التاريخ العام للجزائر منذ العصر الحجري الى الاحتلال الفرنسي ، مكتبة العرب ، تونس ، 1379ه 1927م .
لقبال موسى
- الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي نشأتها و تطورها
الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر سنة 1971م .
- دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها الى منتصف القرن الخامس الهجري (11 ميلادي)
ش . و . ن . ت . الجزائر سنة 1979م .
- ملحمة أبي عبد الله الايكجاني
ط ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 1990م .
- المغرب الاسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج ، سياسة و نظم .
ش.و.ن.ت. الجزائر ، سنة 1981م .
لواب بن سلام اللّواتي (ت 273 هـ / 887م)
- الاسلام و تاريخه من وجهة نظر اباضية
تحق ، سالم بن يعقوب ، فيرنر شفارتز ، دار اقرأ
بيروت ، سنة 1985م .
- كتاب فيه بدء الاسلام و شرائع الدين
تحق ، سالم بن يعقوب ، و فيرنر شفارتز ،
نشر ، فرانز شتاينر ، ب فيسبادن ، 1406هـ/ 1986م
موريس لومبار
الاسلام في مجده الاول ، القرن 8 – 11م (2 – 5 هـ)
ترجمة و تعليق اسماعيل العربي ، ش.و. ن.ت
الجزائر ، سنة 1979م .

مـــالك بن نبـــي

ـ شروط النهضـــة ، تر ، عمر كامل مسقـاوي ، عبد الصابور شاهيـــن . ط ، الثالثة ، دار الفكر بيروت ، 1969م .

ـ وجهــة العالــم الاسلا مـي ، تر ، عبد الصابور شاهيـــن مطبعة المدنـــي ، القاهرة ، 1959 م .

مبـارك بن محمد الميلـي

تاريخ الجزائـر في القديـم و الحديـث تقديم و تصحيح ، محمد الميلـي ، المؤسسة الوطنيـــة للكتـاب ، سنة 1989 ، ط ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت

محمـد محفـــوظ

تراجـم المؤلفيـن ، ط ، 1 ، دار الغرب الاسلامي بيـروت ، 1982م .

محمـود اسماعيــــل

الخوارج في المغـرب الاسلامـي ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغـرب ، موريتانيـا .

دار العـودة ، بيروت ، 1976 م .

محيـي الدين صابـر

التغيـر الحضاري و تنمية المجتمـع

دار المعـارف ، مصر ، 1962م .

المدنـــي أحمد توفيـق

كتاب الجزائـر ، المطبعة العربية ، الجزائر ، 1350هـ

المراكشـي ابن عذاري

البيان المغـرب في ذكر أخبـار ملوك الاندلس و المغرب نشـر ، ليفي بروفنسـال ، دار الثقافة ، بيروت ، 1983م .

المزاتـــي أبو يعقـوب يوسف بن خلفـــون

أجوبـة ابن خلفـــون ، تحـــق ، عمرو خليفة النامـــي دار الفتح لبنـان ، سنة 1394 هـ / 1974 م .

معمّـر علـي يحيـى

ـ أضواء على الاباضيـــة

المطابـع العالميـة ، روي سلطنة عمان ، سنة 1984م .

ـ الاباضية في موكب التاريخ (الحلقة الاولى) نشـــأة

- الاباضية في موكب التاريخ (الحلقة الاولى)
نشأة المذهب الاباضي . مطبعة الاستقلال الكبرى
مصر ، سنة 1384 هـ / 1964م .
- الاباضية في موكب التاريخ (الحلقة الثالثة)
الاباضية في تونس . دار الثقافة ، بيروت
سنة 1385 هـ / 1966م .
- الاباضية في موكب التاريخ (الحلقة الثانية)
الاباضية في ليبيا (القسم الثاني)
مطبعة الاستقلال الكبرى ، مصر ، 1384 هـ/ 1964م .
- الاباضية في موكب التاريخ (الحلقة الرابعة)
الاباضية في الجزائر ، المطبعة العربية
غرداية ، الجزائر ، سنة 1986/ 1985م
- الاباضية بين الفرق الاسلامية عند كتاب المقالات
في القديم والحديث .
مطابع سجل العرب ، نشر مكتبة وهبة
القاهرة ، سنة 1396 هـ / 1967م

المقدسي شمس الدين أبوعبد الله محمد
أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم .
ط 2 . مطبعة بريل ، ليدن ، سنة 1906م .

المقّري أحمد بن محمد التلمساني (ت1041 هـ / 1631م)
نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب
حققه ، د . احسان عباس ، دار صادر
بيروت ، سنة 1388 هـ/ 1968م .

المودودي أبو الاعلى
- الحضارة الاسلامية أسسها ومبادئها
تر ، محمد عاصم الحداد ، دار العربية للطباعة والنشر
والتوزيع ، بيروت ،
- نحن والحضارة الغربية
الدار السعودية للنشر والتوزيع ، السعودية ، 1407هـ
1987م .

الناصري أبو العباس أحمد بن خالد
الاستقصاء لأخبار دول المغرب الاقصى
تحق ، جعفر الناصري ، محمد الناصري ، دار الكتاب
الدار البيضاء المغرب ، سنة 1954م .
نايف محمود معروف
الخوارج في العصر الاموي ، دار الطليعة
للطباعة والنشر ، ط ، 2 ، بيروت ، 1401هـ/ 1981م .
النجار عامر
الخوارج : عقيدة ، وفكرا ، وفلسفة .
ط ، 3 ، 1990م ، ط ، دار المطرف ، مصر 1990م
النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (677 - 733 هـ)
نهاية الأرب في فنون الأدب ، مطابع كوستا تسوماس
القاهرة ، سنة 1954م .
هويدي يحيى
تاريخ فلسفة الاسلام في القارة الافريقية
(الجزء الاول في الشمال الافريقي).
طبع ونشر ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1965م .
الوارجلاني أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم (570 هـ / 1174م)
كتاب الدليل لأهل العقول لباغي السبيل
بنور الجليل لتحقيق مذهب الحق بالبرهان
والصدق (المعروف بالدليل والبرهان)
المطبعة البارونية ، طبعة حجرية ، مصر 1306هـ
الوزان الحسن بن محمد
كتاب وصف افريقيا . تر ، د . محمد حجي ،
د محمد الاخضر ، الشركة المغربية
للناشرين المتحدين ، المغرب ، 1402 هـ / 1982م .
الوسياني أبو الربيع سليمان بن عبد السلام
سير مشائخ المغرب ، تحق ، تعليق اسماعيل العربي
ديوان مطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1985م
ملاحظة : (وهو في الاصل الجزء الثاني من السيرة لأبي زكرياء
ونسبته الى الوسياني يعد خطأ من اسماعيل العربي .)

فهرس المعاجم

ابراهيم مصطفى وآخرون
المعجم الوسيط ، مطبعة مصر ، القاهرة 1960م .
الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت 626هـ)
معجم البلدان ، دار صادر للطباعة والنشر
بيروت ، 1404هـ/ 1984م .
الزركلي خير الدين (1311هـ/ 1893م)
الاعلام ، مطبعة كوستاتسوماس ، مصر ، 1373-1378هـ
1954 - 1959م .
ابن منظور محمد بن مكرم بن علي الانصاري (ت 711هـ/ 1311م)
لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، 1375هـ/ 1955م .
وجدي محمد فريد
دائرة معارف القرن العشرين ، دار المعرفة
بيروت ، ط ، 3 ، 1971م .
اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت 284هـ / 897م)
البلدان ، منشورات المكتبة الحيضرية ،
النجف الاشرف ، العراق ، 1384 هـ / 1964م .

فهـرس الدوريـات

الأصـالـة ، مطبعة البعث ، قسنطينة الجزائـر .

- بلحميسي مولاي ، مدينة ورقلة في رحلة العياشي ، عدد 41 السنة السادسة ، محرم 1397هـ/ جانفي 1977م .
- بلغـراد محمـد ، الحركة الاباضية في تاهـرت ، وسدراتة وفردايـة ، عدد 41 ، السنة السادسة ، محـرم 1397هـ/ 1977م .
- طالبـي عمـار ، أبوعمارعبدالكافي والنسق الكلامي ، عدد 41 السنة السادسة ، محرم 1397 هـ / 1977م .
- عبـاس احسـان ، مصادر ثورة أبـي يزيـد مخلد بن كيداد ، عدد 41 ، السنةالسادسة، محرم 1397هـ / 1977 م .
- النامي عمـر خليفـة ، ملامح عن الحركة العلمية بوارجلان عدد ، 42ـ 43 ، صفـر 1397هـ/ 1977م .

الأمـة

- مقـال بدون امضـاء ، وقفـة على أطـلال سدراتـة : تلـك آثـارنـا تـدل علينـا ، عدد 153ـ 156 ، 22 ذو القعـدة 1306هـ 25 جانفـي 1938م .

السـلام

- د . محمد ناصـر ، الاباضيـة : المذهب ، والتصور ، والواقـع عدد ، 19 ديسمبر 1990م

الفيصـل (مجلـة) تصدر بالريـاض ، المملكة العربية السعودية .

- د . محمد فتحـي عثمـان ، كيف تتحقـق لنا حضارة اسلامية معاصـرة ، عدد 42 ، ذوالحجة 1400هـ / أكتوبر 1980م
- د . ولفني عبد المجيـد ، زخارف التوريـق ، من روائـع الفنونالاسلامية عـدد 42 .

المبشـر (جريدة) ، الورقـة الخبريـة الجزائريـة ، الجزائـر

مقـال بدون امضـاء ، قصـر سدراتـة . عدد 2192 ، السبت 29 جانفـي 1881م .

المكتبة الوطنية الجزائرية ، رقم 60023 .

(صحيفــة) معهـد الدراسـاتالاسلاميـة في مدريـد .
ابن تاويـت محمـد . ، دولـة الرستميين أصحاب تيهـرت
مج . 5 . ع . 1 _ 2 (1957) ص . 105_ 128 .
الهـلال (مجـلـة) القاهــرة
د . أحمـد الشرباصي ، حديث العروبـة في القرآن . عـدد 7
رجب 1396 هـ / يوليـو 1976م . ص 5 _ 14 .
هنـا الجزائـر (مجلـة) الجزائـر
مرغريت فان برشم ، سدراتـة ، عـدد 18 . نوفمبر 1953 .
المكتبـة الوطنية الجزائرية ، 150625 .

فهـــرس المحاضـــرات

بكــوثر يحيـــى

التواجد الاباضي بالاندلس ، محاضرة القيت بدار العلــم بواحة غرداية ، يوم 13 جويليـة 1984 م .

حسيــن أحمـد اليـاس

دور فقهاء الاباضيـة في اسلام مملكـة مالـي قبل القرن الثالــث عشر الميلادي ، القيت بالخرطــوم في نــدوة تحت اشراف المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم 28 ـ 30 يوليــو 1983 م .

مسعــودي محمـد عبد الغنـــي

طرق القوافــل أثرها في انتشــار الاسلام ، ملتقــى أدرار جانفــي 1988 م .

عــز الدين عمــر موســـى

انتشــار الاسلام في غرب افريقيـــا في القـــــرن السادس عشــر الميــلادي ، القيت في الخرطـــوم في ندوة تحت اشراف المنظمة العربيــة للتربية و الثقافة و العلــوم ، 28 ـ 30 يوليـــو 1983 م .

فخـــار ابراهيــم

العلاقات التجاريـة بين الدولـة الرستميـة و السودان الغربـي ، ملتقـى تاهـرت ، 1ـ2 أفريل 1987 م .

الماحــي عبد الرحمان عمــر

أثــر الاســلام في المجتمع الافريقي وملتقـــى أدرار ، جانفي 1988 م .

د . محمد ناصــر

دور الاباضيــة في نشــر الاسلام ، غرداية 1988 م .

الراشــدي مبارك بن عبد اللــه

نشأة التدوين للفقه واستمراره عبر العصـور ، ندوة الفقــه الاسلامي ، مسقط سلطنة عمان ، من 22ـ 26 شعبان 1408هـ الموافــق لـ 9 ـ 13 أفريــل 1988 م .

المقابلات الشخصية مع العلماء داخل الوطن وخارجه

مقابلات قبل تسجيل الرسالة :

1) مقابلات مع الشيخ علي يحيى معمر (مؤرخ وفقيه) طرابلس 78/ 1979 م .

2) مقابلة مع الشيخ سالم بن يعقوب (مؤرخ وفقيه) غيزن ، جربة تونس 1986م .

مقابلات بعد تسجيل الرسالة :

أولا : داخل الوطن :

1) مقابلة مع الدكتور عمر الساحلي (مؤرخ) القاهرة 1988م .

2) الدكتور محمد ناصر (أديب ومهتم بالتراث الاباضي) الجزائر 1990م .

3) الشيخ عمر بن داود بومعقل (المعتمد في تاريخ وارجلان) وارجلان 1990م .

4) الشيخ عيسى بن عبدالله أبو العلا (مهتم بالتاريخ) القرارة 1990م .

5) مقابلات مع علماء المناطق الجنوبية : قرى وارجلان ، نقوسة قرى وادي ميزاب ، قرى منطقة توات .

ثانيا : خارج الوطن :

1) الحاج يحيى زكرياء (حافظ للمسالك الصحراوية) باريس 1989م .

2) تاديوش ليفيتسكي (مختص في الدراسات الاباضية) كراكوفيا بولونيا 1989م .

3) جون ديفيس (متخصص في الآثار) باريس 1989م .

4) جوزيف فان أيس (مستشرق) ألمانيا الغربية 1989م .

5) فارنار شفارتز (مستشرق) ألمانيا الغربية 1989م .

=============

مختصرات فهرس المراجع الاجنبية :

R.E.I : Revue d'Etude Islamique

T.I.R.S : Travaux de l'Institut de Recherches Sahariennes.

فهرس المراجع الاجنبية

ANDRE Négre

Revue d'histoire et de civilisation du Maghreb (la fin de l'état Rostomide) . Alger . I.PN. Juillet 1969

ARMAGNAC (Lieutenant d')

Le M'ZAB et le pays des CHAAMBA . (Sahara) . Alger Edition Baconier 1936

AUMASSIF Ginette

Néolithique sans poterie de la région de l'Oued Mya (Bas-Sahara).Alger . SNED . 1972

BAJOLLE Capitaine

Le sahara d'Ouargla de l'Oued Mya à l'Oued Igharghar. Alger 1887

BASSET René

Les manuscripts arabes des bibliothèques de Zaouia de Ain Madh, et Témacine et d'Ouargla et d'Adjedja. Alger, I.A.O.F; 1886.

BEGNER G.

Les routes commerciales du Soudan Occidental.

Paris Imprimerie F.LEVE 1886

BEKRI Chikh

Le Kharijisme Berbère .Annal de l'Institut des études orientales Alger 1957.

BLANCHET Paul

L'Oasis et le pays d'Ouargla.Annales de Géographie No.44.Alger Mars 1900

COUDREAU

Le pays d'Ouargla et le peuple de l'Afrique . Paris. Hartman 1881

CUPERLY Pierre

Introduction à l'étude de l'Ibadisme et de sa Téologie

O.P.U. Alger Dec. 1984.

ENNAMI Amar Khalifa

A description of new IBADI manuscripts from north Africa journal of semitic studies vol. 1 No 1 Spring 1970

GAUDIO Attilio

Sidjilmassa antique cité de l'or et du sel (Sciences et voyages) No 6 Octobre 1965.

LAJOUX Jean Dominique

Des hommes vivaient au Sahara ,il y a 5000 ans (le coopérateur de France) No 191 Printemps 1958

LARGEAU V.

Le Sahara Algérien , les déserts de l'érg . 2eme edition Paris 1881

LETHIELLEUX Jean

Ouargla cité saharienne . des origines au début du XXe siècle Paris Paul Geuthner . 1983

LEWICKI Tadeusz

-Etudes maghrébines , soudanaises . Edition Scientifique de Pologne Varsovie 1976

-Les historiens , biographes , et traditionnistes ibadites wahbites de l'Afrique du Nord du 13ème au 16ème siècle Folia Orientalia vol. 3 . Krakow . 1962

-Quelques extraits inedites relatifs aux voyages des commerçants et des missionnaires ibadites Nord-Africain au pays du Soudan Occidental et Central au moyen-âge .vol.2 . Krakow. 1960 .

LHOTE Henri

Route antique Sahara central (encyclopédie mensuelle d'outre-mer) 15 Novembre 1951

MASQUERAY Emile

Chronique d' Abouzkaria sur les livres de Beni M'ZAB .

Imprimerie V. Aillaud et Cie. 1878.

MOTYLINSKI A. de C.

Bibliographie du M'ZAB . Bulletin de correspondance africaine .

Vol.3 1885

MUKHENCHI Jamel

Elèments de l'histoire de Touat . Revue Parcours maghrébin No 6.

Alger . Mars 1987

RIVAL L.

Abouyazid l'homme de l'âne . (encyclopédie d'outre mer)

No 77 . Janvier 1957

ROCHE Manuelle

Le M'ZAB , Architecture Ibadite en Algérie Barthand 1973

ROUVILLOI Brigol Madleine

Le pays d'Ouargla (Sahara algériem). Publication du département de

géographie de l'université de Paris .Sorbonne 1975

SCHARTE Josef

Sur la diffusion des formes d'architecture religieuse musulmane à

travers le Sahara . travaux de I. des R.S. Alger 1954 et 1958

TARDY Hrold

Les villes berbères de la vallée de l'Oued Mya .Revue d'Ethnographie

vol. 3 . 1885

VAN Berchem Marguerite

Deux compagnies de fouilles à Sedrata : 1951-1952.

Travaux des I.R.S. vol. 2 1955

WEYER Alfred , HENRI Lothe

Sahara . Edition géographique . Berne 1980

فهـــرس الاعــــلام

_ أ _

_ ب _

- ر -

- ز -

- س -

— غ —

— ف —

- ق -

- ك -

- ل -

- م -

- و -

- ي -

فهـــرس الامـاكـــــن

- أ -

- م -

- ن -

فهـــــرس

القبائل - الاجناس - الاديان

— ص —

— ط —

— ع —

— غ —

— ف —

فهرس المحتويات